

صالح محمد العابد
دور القواسم في الخليج العربي
١٧٤٧ - ١٨٢٠م
ساعدت جامعة بغداد على نشره

دور القواسم في الخليج العربي

١٧٤٧ - ١٨٢٠م

صالح محمد العابد

كلية القانون والسياسة ـ جامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

رقم تسلسل التعضيد (١٠٦) لسنة ١٩٧٥

مطبعة العاني ـ بغداد

١٩٧٦

الأطروحة التي قدمها المؤلف لنيل الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بغداد ، وأجيزت بتقدير (امتياز في حزيران ١٩٧٤) ·

الإهداء

الى ذكرى فرسان البحر الذين دافعوا ببسالة وكبرياء
عن عروبة خليجهم ، فمزجوا مياهه بدمائهم
وهم يصارعون أعتى القوى الغازية ..
اهدي هذه الدراسة
حسن العابدين

المُقَـــدِّمَة

يتناول بحثنـا هـذا دراسة لـدور القواسم في الخليج العربي ، منذ انطلاقتهم الاولى في ١٧٤٧ وحتى انهيـار سـلاحهم البحري في ١٨٢٠ • لقد مثل القواسم احدى اهم القوى البحرية في الخليج خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وعنصراً رئيسـاً في سياسات المنطقـة في العقدين الاولين من القرن التاسع عشر • وهذا البحث هو محاولة للكشف عن أهمية الدور الذي لعبته هذه القوة البحرية في سير الاحداث التي شكل الخليج مسرحها الرئيس • ولهـذا فقد انصب على دورهم في المجـالات السياسية والعسكرية المرتبطة بعلاقاتهم الايجابية والسلبية ، مع القوى المحلية اولا ، والاجنبية ، وبخاصة علاقاتهم بالانكليز ثانيا •

فبالنسبة الى علاقاتهم بالقوى المحلية، نجد ان بروز القواسم كان يتعامد مع تثبيت حكم سلالة البو سعيد في عمان وازدياد الروابط السياسية توثقا بين العمانيين والانكليز ، من جهة ، ومع ظهور وتعاظم الحركة الوهابية في وسط الجزيرة العربية ووصولها الى ساحل الخليج العربي من جهة اخرى ؛ تلك الحركة التي أصبح القواسم فيما بعد جزءاً اساسيا منها ، عقائديا الى الوقت الحاضر ، وسياسيا حتى انهيار الدولة السعودية الاولى في ١٨١٨ •

اما عن علاقاتهم بالانكليز ، فنرى انه قد رافق بروز القواسم ، ازدياد الهيمنة البريطانية في جهات شبه القارة الهندية[١] ، وتفوقها على منافسيها

---

(١) من بين أهم الدراسات التي تناولت هذا الحدث المهم بتحليل علمي لتطور الاحداث التي قادت اليه ، كتاب :

Sir J.R. Seeley, The Expansion of England, (London, 21st ed., 1921), pp. 207-96.

من القوى الاوربية في الخليج • وغني عن القول أن الخليج من المناطق الحيوية لبريطانيا من النواحي الاقتصادية والسياسية ، اضافة الى الستراتيجية المتمثلة بالارتباط الوثيق بين أمن مستعمراتها الهندية وضرورة التحكم فيه[1]. ولقد مثلت قوة القواسم البحرية ونشاطاتها في تلك الجهات ، وضعاً مربكاً للمخططات البريطانية ، وتهديدا مباشرا لأمن مواصلاتها البحرية • ولهذا فقد توجه اهتمام بريطانيا في الشرق ، من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية ، وبشكل متزايد منذ ١٨٠٥ وحتى ١٨١٩ ، لاخضاع هذه القوة العربية وتجريدها من سلاحها البحري •

ان اختيار سنة ١٧٤٧ كبداية لهذه الدراسة ، يرجع بشكل أساس ، الى ما خلفه اغتيال نادر شاه من تطورات حادة أثرت على المنطقة بشكل اجمالي ، وعلى القواسم بشكل خاص ، منتهين بها في ١٨٢٠ ، وهو التاريخ الذي يشير الى انهيار الاتحاد القاسمي • وتمثل هذه الحقبة من الزمن ، مرحلة حاسمة في تاريخ المنطقة ، تميز فيها الصراع الحاد بمحاولة القوى المختلفة ، عربية وغير عربية ، تثبيت تفوق بحري ، يؤدي بالنتيجة الى فرض التحكم على كلا جانبي الخليج[2] •

---

(١) في ٩ تشرين الاول ١٨٠٠ ، كتب جون مالكولم من أصفهان — في خلال بعثته الاولى الى مسقط وايران — الى المستر ادمنستون Admenstone ، يقول « ••• اذا نجح هؤلاء الاوغاد الفرنسيون في تثبيت أنفسهم في مصر ، بأى شكل من الاشكال ، فان أقصى قلقنا وعنايتنا يجب أن ينصب على الخليج العربي اكثر من أى مكان آخر »

John W. Kaye, The Life and Correspondence of Major-Gen. Sir John Malcolm, (London, 1856), Vol. I, p. 128.

(٢) ان الخليج العربي ذو حساسية كبرى للقوى البحرية • فكل القوى التي استطاعت أن تلعب دورا كبيرا ومتحكما فيه ، هي=

يقع البحث في فصول خمسة • تنـاول الفصل الاول منهـا تمهيدا للاوضاع العامة في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، بقدر ما يتعلق الامر بنشأة القواسم وتنامي قواهم ، في النصف الثاني من ذلـك القرن •

وتطرقنا في الفصل الثاني لنشوء القواسم وتطورهـم ودورهـم في الخليج حتى دخولهم في التبعية الوهابية في سنة ١٨٠٠ • حيث بحثنا فيـه مختلف الآراء التي تناولت أصل القواسم وتسميتهم ونشأة الاتحاد القاسمي وطبيعته ، وتأثـيرات البيئة على حياتهـم ومواردهـم الاقتصادية • ومن ثم علاقاتهم بالقوى المحلية والاجنبية ، وبخاصة علاقاتهم مع عمان والكيانات العربية في الساحل الشرقي من الخليج وبالانكليز •

وقد خصص الفصل الثالث لفترة التبعية الوهابية (١٨٠٠ – ١٨١٨) ، حيث حللنا طبيعة الارتباط القاسمي – الوهابي ، كما فصلنا بعلاقاتهم مـع سلالة البو سعيد في عمان ، وذلك للأهمية التي نتجت عنها تلك العلاقات ، ذلك انها خرجت من مجالها المحدود الى آخر اكثر شمولا ، بدخول قوى

= قوى بحرية متفوقة • والسيادة التي مارسها كل من العرب والبرتغاليين والهولنديين والانكليز ، في مراحل تاريخية مختلفة، تشكل توضيحا من الطراز الاول لما عبر عنه الستراتيجي البحري الفرد ماهان Mahan في كتابه عن تأثير القوة البحرية علـى التاريخ ، ينظر :

Adm. Alfred Thayer Mahan, Influence of Sea Power upon History, 1660-1783, (1890).

وهـذه الحقيقة تنفـي التسمية الغربيـة لهـذا الخليـج بالفارسي • ذلك اننا لا نجد للفرس دورا بحريا هاما منـذ العصور القديمة • وكان نادر شاه (١٧٢٩–١٧٤٧) هو أول من وضع نواة لاسطول فارسي في الخليج • ومع هذا فقد اعتمد في تسيير اسطوله على البحارة العرب من سكان الخليج بالدرجة الاولى •

اخرى متمثلة بالوهابيين والانكليز والفرس •

ولقد كرسنا الفصل الرابع على العلاقات القاسمية ـ الانكليزية في فترة التبعية الوهابية ، موضحين مركز بريطانيا في الخليج ، والمنافسة الفرنسية ـ الانكليزية بين (١٧٩٨ ـ ١٨١٠) ، والتي تمخضت عن التفوق البريطاني في المنطقة بشكل حاسم • وحللنا في هذا الفصل ايضا العلاقات بين القواسم والانكليز في جانبيها الايجابي والسلبي • خلال هذه الفترة ، وما أسفر عنها من نتائج •

اما الفصل الخامس ، فقد خصصناه بصورة كلية للحملة البريطانية الكبرى على القواسم في ١٨١٩ ، التي انتهت بتحطيم الاتحاد القاسمي ؛ وضمور دورهم في الخليج •

اعتمدنا في انجاز هذه الرسالة ، على معظم ما كتب عن الموضوع من مصادر عربية واجنبية • وركزنا بشكل خاص على المصادر الاولية ومجموعات الوثائق البريطانية خلال الفترة موضوعة الدراسة • ونظرا لعدم توفر تلك الوثائق وبعض الكتب الاساسية في العراق ، فقد ارتأيت ان استقي تلك المعلومات مباشرة من اماكن توافرها في المكتبات الكبرى في لندن ، وبخاصة مكتبة دائرة الهند India Office Liberary and Records ومكتبة المتحف البريطاني • حيث أمضيت فيها قرابة خمسة أشهر ، كانت حصيلتها ، مع ما تمكنت من جمعه من المكتبات العراقية ، في خلال مدة تزيد على السنة ، هذه الرسالة •

يمكننا تقسيم وتقويم المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة ، على النحو التالي :

(أ) السجلات الرسمية الخطية غير المنشورة :

تحتفظ مكتبة دائرة الهند في لندن بمجموعات متنوعة من السجلات البريطانية ، هي في الواقع مصادر أساسية في تعقب تطور السياسة البريطانية

الهنديـة في الخليج ، في الفترة موضوعـة البحث • وعلى رأس هـذه المجموعات تبرز بصورة خاصة مجموعة :

Factory Records of the late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf.

وتتكون اساسا من تقاريـر الـوكلاء البريطانيين في بوشهر والبصرة الى رؤسائهم في بومباي • وتتألف من ٣٢ مجلدا • ركزنا بصورة خاصة على المجلد العشرين ، الـذي يغطي الفترة من ١٣ كانون الثـاني ١٧٩٩ وحتى كانون الاول ١٨١١ • وعلى المجلد الثاني والثلاثين، الذي يضم كل التقارير ومحاضر الجلسات السرية لمجلس رئاسة بومباي والمراسلات المتبادلة بينه وبين مجلس المديرين والحاكم العام ، بكل ما يتعلق بالاستعدادات للحملة البريطانية الكبرى على القواسم ، ويغطي الفترة من ١٩ مايس ١٨١٥ ولغاية ٢٥ مايس ١٨٢١ • اما المجموعة الثانية التي استخدمت هنا ، فمصنفة تحت اسـم :

Persian Gulf Territories, R/15, Bushire.

وتتألف من اثنين وعشرين مجلدا تبدأ في ٢٠ نيسان ١٧٦٣ ، وتنتهي بـ ٢٩ كانون الأول ١٨٢١ • وتتضمن كل الرسـائل الصادرة من مركز بوشـهر والواردة اليه من بومباي • وهذه المجموعة ذات أهمية خاصة في معرفة الاوضاع العامة في المنطقـة ونشـاط السفن البريطانية ، التجاريـة منهـا والحربية • وقد اقتصر استعمالنا على المجلدات الحادي عشر والثامن عشر والواحد والعشرين ، المتعلقة بموضوعنا بشكل مباشر • ومن المجموعة الثالثة المصنفة تحت اسم :

Bombay Political Letters Received.

والمتكونة من خمسين مجلدا ، تبدأ بسنة ١٨٠٣ وتنتهي بسنة ١٨٥٩ • والتي تضم الرسائل الواردة الى مجلس المديرين والحاكم العام من رئاسة بومباي ، اقتصر استعمالنا على المجلد الخامس الذي يتناول الوقائع التي حدثت في الفترة ١٨١٦ ــ ١٨١٧ •

(ب) السجلات المنشورة والمختارات المستندة على وثائق رسمية :

معظم هذه المطبوعات وضعت أصلا لغرض الاستعمال الرسمي ، وعلى نطاق محدود في دوائر الدولة • ولذلك فان الكثير منها يصعب الحصول عليها كالسجلات الخطية• ومكتبة دائرة الهند تحتفظ بكل تلك المجموعات• ومن أهم هذه المطبوعات التي استخدمت في هذه الدراسة :

(1) Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, 1600-1800, (Calcutta, 1908).

وقد عمل على وضعها سالدانا J. A. Saldanha بايعاز من الدائرة الخارجية في حكومة الهند البريطانية • ويحتوي هذا المطبوع على مختارات مهمة وكثيرة من المراسلات الصادرة من حكومتي الهند وبومباي ، والمتعلقة بقضايا الخليج العربي • ولذا فانه يزودنا بمعلومات غزيرة ، ويكون في معظم الاحيان مفاتيح للتفتيش في المجلدات الحكومية الخطية •

(2) Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV: Historical and other Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrein, and other Places in the Persian Gulf, Complied and edited by, R. Hughes Thomas, (Bombay, 1856).

وهو احد المصادر الرئيسة لتاريخ الخليج وساحل عمان في النصف الاول من القرن التاسع عشر • معظم مواضيعه كتبها المسؤولون البريطانيون ، سواء في مجلس رئاسة بومباي او العاملين في المنطقة • وهو في الاساس يضم تقارير اولئك المسؤولين المقدمة لحكومة بومباي •

(3) Précis of Correspondence Regarding the Affairs of the Persian Gulf; 1801-1853, ed. J.A. Saldanha, (Calcultta, 1906).

وهو واحد من سلسلة من الخلاصات Precises التي عمل على نشرها سالدانا لاستعمال الدائرة الخارجية في حكومة الهند • وهذا المصدر مهم عن تطور العلاقة بين حكومة بومباي ومسقط ، وعن الحملات البريطانية على ساحل القواسم وتعليمات الحكومة لقادتها العسكريين • وهو بالتالي ذو أهمية خاصة في تعقب نشوء الهيمنة البريطانية السياسية في منطقة الخليج العربي •

(4) Precis of Nejd Affairs, 1804-1904, (Calcutta, 1904).

يضم تسجيلا بالتطورات التي شهدتها الحركة الوهابية خلال القرن التاسع عشر •

(5) R.H. Thomas, ed., Treaties, Agreements and Engagements, between the H.E.I.C. and the Native Princes, Chiefs, and States in Western India, the Red Sea, the Persian Gulf, also between H.B. Majesty's Government, and Persia, Portugal, and Turkey, (Bombay, 1851).

ويحتوي على مجموعات كاملة من الوثائق والمعاهدات نظمت بعناية • والمقدمات القيّمة التي تسبق كل وثيقة تضيف اهمية كبيرة على هذا الكتاب •

(6) C.U. Aitchison, compiled of: A Collection of Treaties, Engagements and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries, (Calcutta, 1909), Vol. XII.

وهو على غرار الكتاب السابق يضم معظم الاتفاقيات والمعاهدات بين بريطانيا واقطار الخليج • كما ان المقدمات التي تسبق الكثير من تلك الوثائق مهمة ايضا في التعريف بالظرف الذي عقدت فيه •

(ج) المصادر والمراجع باللغات الاجنبية :

تعتبر مؤلفات الرحالة الاوربيون الـذين زاروا المنطقـة في فترات مختلفة ، مصادر هامة لا يستغني عنها الباحث • وعلى الرغم من ان معلومات الكثير من هؤلاء الرحالة عن خلفية الاحداث التي يسجلونها ، تعوزها الدقة، لاقطار المنطقة • ومن بين أبرز هؤلاء ، الرحالة الشهير نيبور Niebuhr الا انها تقدم معلومات قيمة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فـي مـؤلفـه (Travels Through Arabia, 2 Vols.) زار نيبور المنطقة في ١٧٦٥ ، فقدم لنا صورة مختصرة جدا ولكنها مهمـة لنشاط القواسم في المراحل الاولى من ظهورهم في الخليج بشكل بارز • اما بكنغهام Buckingham ، فان كتابه (Travels in Assyria, Media, and Persia, Vol. II).

يعتبر بحـق واحـدا من اهم المصادر عن القواسم ، وامتاز الفصلان اللذان افردهما للقواسم من مجلده الثاني ، بدقة كبيرة ، بخاصة وانه كان شاهد عيان للاحداث بل وأسهم فيها ، ومن ذلك زيارته لرأس الخيمة في ١٨١٦ ولقاؤه بزعيم القواسـم حسـن بن رحمة • وتتطابق المعلومات التي سجلها عن تلك الحادثة مع سجلات حكومة بومباي • ولعل من المفيد ان نسجل ان لو Low في فصلـه عن القواسم في كتاب (History of the Indian Navy, Vol. I) يعتمد في كثير من أقواله على ماكتبه بكنغهام • ومن هذه الطائفة ولستد Wellsted في كتابيه Travels in Arabia, 2 Vols., & Travels to the city of Caliphs, 2 Vols. أمضى ولستد الفترة من ١٨٣٥ الى ١٨٣٦ ، متنقلا في مناطق عمان الداخلية وزار ساحل عمان • وقد امتاز بالدقة في روايته للاحداث وقلة روح التحيز ضد القواسم • وعلى العكس من بكنغهام وولستد نجد ان الصفحات الثلاث

التي كتبها Heude عن القواسم في كتابه

(Voyage up the Persian Gulf and a Journey Overland form India to England in 1817, (London, 1819).)

تنضح بالكراهية والحقد •

أما كتاب (Shaik Mansur, History of Seyd Said, Sultan of Muscat, Together with an Account of the Countries and People on the Shores of the Persian Gulf...).

لمؤلفه مريزي Vincenzo Maurizi وهو طبيب ايطالي عمل في خدمة سيد سعيد حاكم عمان ، فانه مهم جدا لأنه يركز على الفترة ١٨٠٨ — ١٨١٠ ، اي فترة الصراع الحاد بين القواسم وعمان • والمؤلف كان شاهد عيان اذ كان يقود احدى الفرق العمانية المهاجمة للقواسم • ولا نجد تحيزا في كتابه على الرغم من انه كان في خدمة خصومهم •

ولا يمكن لباحث في تاريخ الخليج ان يستغني عن كتاب : حامد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادات البو سعيديين • الذي اصبح في متناول يد الباحثين حينما ترجمه بادجر Badger باسم :

(History of the Imams and Seyyids of 'Oman, by Salil ibn-Razik, from A.D. 661-1856, Trans. and ed. with Notes, Appendices, and an Introduction, Continuing the History down to 1870, (London, 1871).

حيث انه مصدر اساسي عن تاريخ عمان • وملاحظات بادجر ، سـواء في المقدمة أو في الهوامش او في الملاحق، تزيد من قيمة الكتاب بدرجة كبيرة •

ومن بين المؤلفات الأجنبية الاخرى ، ما يزال كتاب :

J.K. Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman and Central Arabia.

ابرز مصدر غني بالمعلومات عن الخليج العربي منذ بداية الوصول

الاوربي وحتى ١٩٠٤ • المجلد الاول منه ويقع في قسمين يتناول تاريخ الاحداث في المنطقة ، ويعتمد اساسا على سجلات حكومة الهند البريطانية • والمجلد الثاني ويتألف ايضا من قسمين ، هو خلاصة جغرافية واجتماعية للمنطقة كما كانت عليه في ١٩٠٤ • وهناك قسم آخر يحتوي على خرائط وجداول بالسلالات والاسر الحاكمة •

ولابد لمن يبحث في تاريخ عمان من الرجوع الى كتاب مايلز Miles

(Countries and Tribes of the Persian Gulf)

الذي هو مرجع اساس ، يحتوي على معلومات قيمة ، الا أن التنظيم يعوزها ، كما ان العنوان لا ينطبق على محتويات الكتاب ، لأنه ينصب بالدرجة الاولى على عمان •

ومن بين اهم المؤلفات الحديثة عن فترة مهمة من تاريخ الخليج حفلت بالاضطرابات والتغيرات السريعة التي تركت آثارها على معظم القوى في المنطقة كتاب الدكتور عبدالامير محمد أمين ، (British Interests in the Persian Gulf) الذي يتناول الفترة ما بين ١٧٤٧ ولغاية ١٧٧٨ • والكتاب هو اوسع مما يوحي به العنوان ، حيث لا يقتصر على دخول بريطانيا في الخليج ونمو مصالحها فيه وأوضاع وكالاتها المختلفة فقط ، بل يتناول بالتحليل والدراسة اوضاع القوى المحلية الاخرى ، عربية وغير عربية ، وصراعها لتثبيت تفوق سياسي واقتصادي • والكتاب ذو أهمية خاصة في دراستنا هذه ، حيث انه يلقي الضوء على بدايات النشاطات القاسمية ودور أول زعماء القواسم وهو رحمة بن مطر ، وينقد تلك المؤلفات التي تنسب بروز القواسم الى زعماء آخرين • ولابد لنا من التنويه بملاحق هذا الكتاب ، وبخاصة الملحق الاول عن الفعاليات الهولندية في الخليج في الفترة ١٧٤٧ – ١٧٦٥ اي الى الوقت الذي طرد فيه الهولنديون من آخر معاقلهم في جزيرة خارج •

ويبرز كتاب جون كيلي (J.B. Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880) **بكونه بحق من اهم واكمل** الدراسات عن الخليج وعلاقة بريطانيا به منذ اواخر القرن الثامن عشر وحتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، اي فترة نمو التدخل البريطاني فيه • وهذا البحث الشامل المتسم بالتبصر الحاد والملاحظة الدقيقة اعتمد اساسا على السجلات البريطانية الانكلو - هندية ، اضافة الى المجموعات الخاصة الشخصية • وملاحظات كيلي عن المصادر في آخر كتابه ذات اهمية بالغة في التعرف بدقة على مجموعات السجلات المتنوعة المتعلقة بعلاقات الخليج ببريطانيا •

اما عن الفترة **١٨١٨ - ١٨١٩** ، وهي الفترة التي اشتدت فيها الاشتباكات بين التشكيلات البحرية للقواسم والانكليز ، وبخاصة في الخليج العربي فان من اهم مصادرها ، **كتاب** (Pelgrave, the Pirate Coast) الذي هو في واقعه نشر لمذكرات الكابتن لوك Lock قبطان الفرقاطة (ايدن Eden) وقائد العمارة البريطانية في الخليج العربي• وهو تسجيل لمطاردته للسفن القاسمية في المنطقة ، كما أشار فيه الى محاولة حسن بن رحمة ، عقد معاهدة جديدة مع **الانكليز في سنة ١٨١٩** ، **ورفض سلطات بومباي** لذلك العرض •

وثمة مرجعان عالجا بشكل خاص ساحل عمان ، احدهما كتاب بارتليت (Moyse-Bartlett, The Pirates of Trucial Oman)

وعنوان الكتاب يوحي باكثر مما تناوله فعلا ، ذلك انه يركز بشكل خاص على الجانب البريطاني فقط في حملات **١٨٠٩** و **١٨١٩ - ١٨٢٠** ، وعلى بعض الهجمات المتبادلة بين سفن القواسم والانكليز ، التي تخللت تلك الفترات • والثاني كتاب هاولي (Hawley, The Trucial States) وهو دراسة عامة عن المنطقة حتى الفترة الحديثة • وهذا الكتاب لايستند في دراسته على الوثائق واعتمد بشكل اساس على لوريمر •

(د) المصادر والمراجع باللغة العربية :

هناك عـدد ضئيل من المصادر العربية تتحـدث عن تاريخ القواسم ، وحتى هذه المصادر لا تتناولهم كمادة مستقلة ، وانما تتحدث عنهم عرضا وهي تتناول مواضيع اخرى • ومن بين ابرز المصادر العربية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة : كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبـدالوهـاب لمؤلف مجهول ، تحقيق د • ابو حاكمه) ، ويعتبر هذا الكتاب بحق من أهم المصادر عن الوصول الوهابي الى ساحل الخليج العربي • وينفرد هذا المصدر بتسجيله لوقائع مقاومة القواسم محاولات الوهابيين الاولى لاخضاعهم • ولكن عيب مؤلف هذا الكتاب انه لا يذكر تواريخ الاحداث ، التي على الباحث استنتاجها من مقارنـة الوقائـع بعضها وربطها بالحدث المذكور • ويعتبر كتاب عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسـيرة اهل عمان ، مرجعا اساسيا عن تاريخ عمان حتى بداية القرن العشرين • ولابد لنا من الاشارة هنا الى مخطوط مهم في مكتبة المتحف البريطاني ، هو كتاب الشيخ محمد البسام المسمى (الدر المفاخر في أخبار العرب الاواخر) ، وهو يسجـل معلومات مختصرة ولـكنها مفيدة عن القبائل العربية القاطنة في الجزيرة العربية واليمن والعراق وسوريا ، فيذكر المؤلف عدد المقاتلين من الفرسان والمشاة لكل قبيلة • وفيه اشارات مختصرة عن القواسم ، الا انهـا مهمة في توضيح نفوذ تلك القبيلة في خـلال العقـدين الاولين من القرن التاسع عشر • وتكمن اهمية هذا المخطوط في ان مؤلفه كان معاصرا لتلك الفترة المهمة ، حيث ألف كتابه في سنة ١٨١٩ بتكليف من المستر كلوديوس ريـج C.J. Rich المقيم السياسي في بغداد آنذاك •

اما فيما يتعلق ببروز القواسم الاول ونشاطاتهم البحرية في المنطقة ، مع صراع القوى المختلفة ، عربية واجنبية في سبيل تثبيت التفوق البحري في خلال القرن الثامن عشر ، فان كتاب الدكتور عبدالامـير محمد أمـين

(القـوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر) يعتبر اول محاولة علمية ناجحة في تسليط الضوء على تأثير القوى البحرية على تاريخ الخـليج •

ومما يؤسف له ان معظم المؤلفات العربية الحديثة الاخرى التي اطلعت عليها ، عالجت تاريخ الخليج بشكل عام ، وحتى تلك المؤلفات التي تناولت تاريخ ساحل عمان ـ موطن القواسم ـ فانها تناولته بشكل سـرد سـريع ، وتمتاز اغلبيتها بالاقتضاب وقلة المعلومات وتناقضاتها • لذلك لا أرى ضرورة لذكرها في هذا الصدد خشية ان تبعدنا عن البحث المباشر •

ولابد لي اخيرا ان أشير الى ان اهم صعوبـة واجهتهـا هي استخدام وقراءة وتحليل ، الكمية الضخمة من مجلدات الوثائق ، معظمها مخطوط ، خصوصا وقد تضاعفت الصعوبة بسبب ضيق الوقت ، والفيض الكبير من الوثائق التي كان عليّ دراستها • كنت احس باليأس يطبق ، ولكن تعلقي بهذا الموضوع، والرغبة العارمة في ازالة بعض استار الغموض التي تغلف هذه القوة ، كانت اكبر حافز لي على مضاعفة الجهد • وانني مدرك بأن بعض جوانب البحث بحاجة الى المزيد من التوضيح ، كما ان الموضوع يستحق المزيد من الدراسة المعمقة ، ولكني مـع هـذا أشعر بالارتياح لاني بذلت ما أملكه من طاقة في سبيل ان احقق بحثا علميا •

كثير من الشخصيات والمؤسسات شاركت في خلق هذا البحث ، وفي الوقت الذي أنا مسؤول فيه عن اخطائه ، فانني اعبر عن امتناني في ان الكثير من مزاياه هو نتيجة لجانب عظيم من المساعدة والارشاد التي قدمت الي • اني أرغب أن أشكر استاذي الدكتور عبدالقادر اليوسف ، الذي تم هذا العمل تحت اشرافه ، وكانت توجيهاته ونصائحه دائما في متناول طلباتي • واشعر بالامتنان لاستاذي الدكتور عبدالامير محمد أمين ، على مساعداتـه

القيّمة ونصائحه الثمينة • وفي الحق انني مدين بالشكر والامتنان للبروفسور جون كيلي ، الخبير بتاريخ الخليج ، الذي خفف عني الكثير من العناء في قراءة مجلدات كثيرة ليست لها اهمية مباشرة في دراستي حيث نصحني بالتركيز على تلك التي لها علاقة مباشرة بالموضوع • كما كان لملاحظاته القيمة أثر كبير في تلافي بعض الهفوات • وفي الواقع ان علمه الغزير لا يوازيه الا تواضعه الرقيق • واسجل شكري لموظفي مكتبة دائرة الهند في لندن ، الذين أبدوا من الكياسة واللطف ما يدفع الى أقصى درجات الامتنان ، ، وهذا ينطبق على مسؤولي وموظفي مكتبة المتحف البريطاني العريقة •

الفصل الأول

تمهيد

المحاور الثلاثة في الخليج العربي
في النصف الاول من القرن
الثامن عشر

يتطلب التعرف على نشأة القواسم في خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، دراسة فترة النصف الاول من ذلك القرن ، لما كان لها من تأثير في ظهور هـذه القوة على مسرح الاحداث ، ودورها المتميز فيـه • لقد تمثلت القوى في هذه الفترة بثلاثة محاور رئيسة ، هي : القوى الاوربية وعمان وايران ؛ وكان لكل من هـذه المحاور الثلاثة اهمية واضحـة • اما القوة الاخرى ، والتي كان بامكانها ان تلعب دورا فيه ، وهي العثمانية ، فلم يكن لها دور مؤثر كبير على سير الاحداث في الفترة موضوعة البحث • وفي الواقع ان العثمانيين ، منذ اندحارهم امام البرتغاليين في سلسلة المعارك البحريـة التي استمرت حتى اوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر[١] ، لم يلعبوا ورا ذا بال في هـذه الانحاء[٢] • لهذا فسوف يقتصر بحثنا على المحاور الثلاثة التي أشرت اليها •

أ ـ المحور الاوربي :

تميّز النصف الاول من القرن الثامن عشر بانفراد قوتين اوربيتين تجاريتين في المنطقة ، هما هولندا وبريطانيا، والملاحظ ان ايا منهما لم تمتلك تفوقـا حاسما كالذي مارسـه البرتغاليون خلال القرن السادس عشـر • لقد كان الخليج احد الميادين الرئيسة التي جرى فيها التنافس والتصادم بين

(١) عن تفاصيل المعارك البحرية بين العثمانيين والبرتغاليين انظر : الميرالاي اسمعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، (القاهرة ، ١٣١٢هـ) ، جـ١ ، ص٥٤٧ ــ ٥٥٠ ؛

J.G. Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, (Reprinted, Holland, 1970), vol. I A, pp. 6-7; Arnold Wilson, The Persian Gulf, (London, 3rd Impression, 1959), pp. 124-6.

(٢) انظر : د • عبدالامير محمد أمين ، القوى البحرية في الخليـج العربي في القرن الثامن عشر ، (بغداد ، ١٩٦٦) ، ص١١ •

القوى الاوربية ، والـذي أسفر ، مع تداخل عوامل متشابكة ، عن انهيـار السيطرة البرتغالية ، وانفراد هولندا وبريطانيا ، لتدخلا في صراع من اجل التفوق ، دخلته فرنسا كطرف جديد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[1] • ولذا يمكن القول ، بأن صراعا ذا اوجه ثلاثة تواصل طيلة قرن من الزمن من اجل السيادة • ونجـد ان القاء نظرة سـريعة على بدايات الوجود الاوربي في المنطقة ، أمر لا يخلو من اهمية •

كانت البرتغال من اوائل الـدول الاوربية الحديثة التي تدخـل الى المحيط الهندي ، ولتوجد بالتالي طريق رأس الرجاء الصالح ، الذي ظل قناة التجارة طيلة القرون الثلاثة والنصف التالية • ففي خلال سنوات قليلة من رحلة فاسكوديكاما (١٤٩٧ ــ ١٤٩٨) ، اسس البرتغاليون مركزا تجاريا في گـوا Goa على الساحل الغربي للهند ، والذي اصبح منذ سنة ١٥٠٩ قاعدتهم الرئيسة في شبه القارة • واندفعوا اكثر نحو الشرق ؛ الى جـزر التوابل (اندونيسيا والملايو) ، ليؤسسوا لمائة السنة التالية ، احتكارا لتجارة التوابل مع اوربـا ، قائما على المحطة التجارية الكبرى التي اسسوها في مالقـا Malacca[2]

---

(١) دخلت فرنسا ميدان الصراع البحري في البحار الشرقية في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ذلك ان شركتهم للهند الشرقية لم تتأسس الا في سنة ١٦٦٤ • وقد تركز نشاطهم في بدايته على الهند • وعلى الرغم من انهم قاموا بفتح مركز لهم في گمبرون (في ساحل ايران) في أواخـر القرن السابع عشـر ، الا ان نشاطاتهم في الخليج العربي كانت متقطعة ، كما لـم تزدهر تجارتهم فيه كحال الهولنديين والانكليز • عن تفاصيل النشاط الفرنسي في الشرق ، انظر : William Milburn. Oriental Commerce, (London, 1813), vol. I, pp. 379-407.

(٢) John Marlow, The Persian Gulf in the Twentieth Century, (London, 1962), pp. 3-4.

بدأ الغزو البرتغالي للخليج في سنة ١٥٠٧ ، كجزء من خطة واسعة امتزجت فيها الجوانب الاقتصادية والدينية، وضعها الكابتن أفونسو البوكيرك Affonso D'Albuququne لضرب الوجود الاسلامي في البحار الشرقية وكسر احتكار العرب التجاري ، واستحواذ البرتغال عليه بالسيطرة على منافذها المعروفة المتمثلة بصورة خاصة بـ : البحر الأحمر والخليج العربي ومضايق مالقا[١] ، وتحويلها الى طريق رأس الرجاء الصالح[٢] . فقد هاجم البوكيرك هرمز[٣] ، في سنة ١٥٠٧ ، وتمكن من احتلالها مؤقتا ،

(١) تقع مالقا على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو ، على نقطة تكون فيها المضايق بين القارة وسومطرة على أضيق ما يكون . وكانت ذات أهمية عظمى لنظام التجارة الاسلامي ، لكونها ليست الميناء المهم المؤدي الى الصين فحسب ، بل لكل جزر الهند الشرقية أيضا ، وكانت تبحر منها معظم التوابل المطلوبة في اوربا . وقد جعلها موقعها الجغرافي مرسى لاية قوة تسيطر على المحيط الهندي ، ومفتاح جزر التوابل ، احتلها البوكيرك في سنة ١٥١١م . للمزيد من التفاصيل ، انظر :

D.G.E. Hall, A History of South-East Asia, (London, 1955), pp. 180-185, 198; Boies Penrose, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, (Cambridge, 1967), p. 62.

(٢) J.B. Kelley, Britain and The Persian Gulf 1795-1880, (Oxford, 1968), p. 1.

(٣) كانت هرمز دولة غنية تسيطر على البحرين وجميع الجزر الواقعة في مضيق هرمز ، كما تمتد سيطرتها من رأس الحد الى المضايق . كما كانت لها تجارة واسعة مع الخارج . وقد بلغت هرمز هذه الدرجة من الازدهار منذ بداية العقد الثالث من القرن الرابع عشر واستمرت في ذلك حتى الغزو البرتغالي . للتفاصيل انظر :

Tomé Pires, Summa Oriental, An Account of the East, From the Red Sea to Japan, Written in Malacca and India in 1512-1515, Translated and Ed. by Arman Cortesáo, (London, Hak. Soc., 1944), vol. I, pp. 19-21.

ولكنه اجبر على تركها في السنة التالية بسبب تمرّد بعض بحارته • ومع ذلك فقد اعاد البوكيرك الكرة في سنة ١٥١٥ ، على رأس اسطول قوي ، فلم يجد صعوبة في اعادة السيطرة البرتغالية على الجزيرة • كما استولى على جزيرة قشم الى جانب جزء من ساحل فارس ، الى الشمال والشمال الغربي من هرمز ؛ وذلك من اجل تقوية مركزه في الخليج ، ولتأمين التموين من مياه الشرب والمواد الغذائية للقاعدة البرتغالية(١) • وبذا جعل البرتغاليون انفسهم ، ولمدة قرن من الزمن ، سادة الموانيء الرئيسة على جانبي الخليج ، فكانت هرمز على الجانب الفارسي ، ومسقط والبحرين على الجانب العربي ، قواعد ارتكازهم الاساسية • كما استخدموا مركزهم بقدر الامكان ، لمنع أية سفينة اجنبية اخرى من التجارة فيه • واصبحت سفن البرتغاليين تسيطر على مياهه ، وأخذ حكامهم ينظمون تجارته باجازات يمنحونها ، ويتحكمون بمدخل الخليج عن طريق استحكاماتهم القوية في هرمز • لهذا اصبح من المتعذر على اي من دول الخليج تحدى قوة البرتغال البحرية خلال تلك الفترة(٢) •

اقتربت الهيمنة البرتغالية من نهايتها في اوائل القرن السابع عشر ، بسبب عوامل متشابكة ، يأتي في مقدمتها اتحاد العرشين الاسباني والبرتغالي في سنة ١٥٨٠(٣) ، اذ توجه اهتمام هذه الدولة بشكل رئيس نحومستعمراتها

---

(١) Lorimer, Op. Cit., IA, pp. 3-4; Laurence Lockhart, Persian Cities, (London, 1960), pp 172-3.

(٢) Kelly, Op. Cit., p. 2.

(٣) سقط الملك البرتغالي سباستيان Sabastian قتيلا في معركة (الكزار الكبير) في مراكش سنة ١٥٧٨ ، فخلفه الامير هنرى الابله ، الذى توفي بعد ثمانية عشر شهرا • وهكذا جاءت نهائية سلالة (أفنيس Avis) البرتغالية ، التي أسسها جون الاول • وبالتالي وجد البرتغاليون أنفسهم رعايا لفليب ملك اسبانيا • انظر : Penrose, Op. Cit., p. 75.

في امريكا[1] • كما ان تعصب البرتغاليين وقساوتهم ، الى جانب جشع حكامهم وموظفيهم ، جعلهم مكروهين بين سكان الخليج[2] • هذا بالاضافة الى ظهور قوى اوربية اخرى منافسة لهم ، وبخاصة الانكليز والهولنديين[3] • ناهيك عن تنامي قوى العرب العمانيين في عهد اليعاربة[4] • العوامل الآنفة الذكر ، حسب رأينا ، هي المسؤولة عن تدهور قوى البرتغال البحرية ، وازالة هيمنتهم في جهات الخليج • وبذلك خلا المجال ، في تلك الجهات لكل من الانكليز والهولنديين •

برزت انكلترا منذ اواخر القرن السادس عشر ، كقوة بحرية ضاربة بين القوى الاوربية • وراحت تفتش عن سبل الوصول الى مناهل الثراء الشرقية وكسر الاحتكار البرتغالي[5] • ان النشاط التجاري البحري المنتظم لانكلترا في البحار الشرقية ، بدأ فعلا على أثر قيام شركة الهند الشرقية

---

(١) Fredrick C. Danvers, The Portuguese in India, Being a History of the Rise and Decline of their Empire, (London, 1894), vol. II, pp. 35-40.

(٢) Lockhart, Op. Cit., p. 173; Abdul Amir Amin, British Interests in the Persian Gulf, (Leiden, 1967), p. 2.

(٣) Amin, Op. Cit., p. 2.

(٤) راجع الفقرة التالية من هذا التمهيد ص٣٩ ـ ٤١ •

(٥) لتفاصيل الخطوات الاولى لانكلترا في سبيل الوصول الى الشرق انظر :

I.O. List of Marine Records of the Late East India Company, and of Subsequent Date, Reserved in the Record Department of the India Office, London, 1896, pp. III-IV; James Williamson, The Age of Drake, (London, Fourth Edition, 1960), pp. 38-9, 155-6, 40-2, 153-65, 249-2.

الانكليزية ، التي تأسست بموجب مرسوم ملكي صدر في ٣١ كانون الاول سنة ١٦٠٠[١] • فقد كانت الشركة ، في السنوات الاثنتي عشرة الاولى من قيامها ، ترسل مجموعة من السفن التجارية في كل سنة الى جزر الهند الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح[٢]• في هذا الوقت ذاته كانت الشركة تنشط في ايجاد قواعد تجارية لها على السواحل المهمة المؤدية الى الهند • ففي سنة ١٦٠٨ ، اسست الشركة قاعدة تجارية في سورات على الساحل الغربي للهند ، لا تبعد كثيرا عن مستعمرة گوا البرتغالية[٣] • وارسلت الوكالة الانكليزية في سورات ، في سنة ١٦١٦ ، سفينة محملة الى جاسك ، حيث استقبلت بترحاب من قبل السلطات الفارسية ، وقد توجه مسؤول البعثة الى اصفهان ، ونجح في اقامة مركز تجاري فيها ، كما تم الحصول على ثلاثة (فرمانات) لمصلحة الانكليز ، تبعتها معاهدة اعطتهم تسهيلات كبرى للتجارة مع ايران[٤] • وقد كان هدف الشركة من اختراقها للخليج العربي، بيع الاصواف الانكليزية في ايران مقابل الحصول على الحرير[٥]• وقد لقيت الشركة الانكليزية ترحيبا من الشاه عباس ، الذي منحها تسهيلات

---

(١) I.O. List of Marine Records, p. IV.

(٢) عن تفاصيل هذه الرحلات ونتائجها ، انظر :
Ibid, pp. IV-VII; Hall, Op. Cit., pp. 227-8, 237-43.

(٣) Marlowe, Op. Cit., p. 5.

(٤) [I.O.] List of Factory Records of the Late East India Company, (London, 1897), p. XXII.

(٥) بعد سنوات قليلة من ابتداء الشركة تجارتها في الهند ، أثبت السوق عدم امكانيته تصريف الكميات الكبيرة من الاقمشة الصوفية المكدسة في مركز سورات ، والتي طلبت من انكلترا • ولذلك فقد أخذ رجال الشركة بالبحث حولهم عن سوق جديدة • وقد توجه اهتمامهم الى ايران ، ذلك أن مناخها يحتم الحاجة الى الاقمشة الثقيلة لحوالي نصف العام. Amin, Op. Cit., p. 4.

واسعة للتجارة في بلاده[١] ، مع رخصة لبناء حصن ومركز تجاري في جاسك[٢] . ويفسر موقف الشاه الايجابي من الشركة الى رغبته في الاستعانة بالانكليز ضد البرتغاليين ، الذين كان في صراع مسلح معهم . حيث نشب هذا الصراع منذ سنة ١٦٠٢ ، إثر اندلاع ثورة في البحرين ، استغلها الشاه لبسط سيطرته على الجزيرة[٣] . وبذلك فقد التقت مصالح كل من الفرس والانكليز لمهابهة العدو البرتغالي المشترك[٤] . وقد بلغ الخطر الانكليزي الفارسي ، على مركز البرتغاليين ، أوجه في كانون الثاني ١٦٢٢ ، وذلك على اثر الهجوم المشترك الذي شنه الانكليز والفرس على هرمز[٥] . لقد شكل سقوط هرمز ضربة قاصمة للوجود البرتغالي في

---

(١) Milburn, Op. Cit., (London, 1813), p. 143.

(٢) تقع جاسك على بعد ٩٠ ميلا الى الشرق من هرمز ، وقد وصفت بكونها مكانا ملائما قريبا من مدخل الخليج العربي ، وعلى بروز أرضي منحدر ، وبعيد نسبيا عن الخطر البرتغالي (Amin, Op. Cit., pp. 4-5)

(٣) Lockhart, Op. Cit., p. 173.

(٤) وقعت عدة اشتباكات بين الانكليز والبرتغاليين في المياه الهندية وخليج عمان في الفترة ١٦١٢ و١٦١٨ . وللتفاصيل ، انظر : Arnold Wright, Early English Adventurers in the East, (London, 1914), pp. 247-8; Amin, Op. Cit., p. 5; Marlowe, Op. Cit., p. 6.

(٥) للتفاصيل عن هذه العملية المهمة وشروط الاتفاق بين الانكليز والفرس ، انظر :

William Foster, The English Factories in India 1622-1623, A Calender of Documents in the India Office and British Museum, (Oxford, 1908) pp. VII-XI; Captain Alexander Hamiltion, A New Account of the East Indies, Ed. by W.=

منطقة الخليج ، اذ فقدوا قاعدة ارتكازهم الرئيسة فيه ، كما انه وضع خاتمة لعظمة وازدهار هذه الجزيرة التاريخي • ذلك ان الشاه عباس أمر بتدمير تحصينات هرمز ، وحول التجارة الى كمبرون على الساحل المقابل[1] • ومن غير شك ان نقص القوة البحرية للشاه ، هي التي دفعته الى اتخاذ القرار بهجر ميناء الجزيرة لمصلحة كمبرون ، التي اسماها (بندر عباس)[2] •

لم يكن التحدي الانكليزي ـ الفارسي ، هو الخطر الوحيد الذي هدد الهيمنة البرتغالية في الخليج ، اذ برز للبرتغاليين ، على أثر اندحارهم في هرمز ، اعداء آخرين تمثلوا بالهولنديين والعمانيين • فقد تعاون الهولنديون مع الانكليز لازاحة المنافسة البرتغالية ، ونجح اسطول انكليزي ـ هولندي ، مؤلف من ثمان سفن ، في دحر اسطول برتغالي من ثمان سفن ايضا ، بالقرب من هرمز في سنة **١٦٢٥**[3] • ومن **الجانب العربي** ، **تمكن الامراء** اليعاربة من ايقاع هزائم متوالية بالبرتغاليين ، ونجحوا في انتزاع مواقعهم الساحلية الواحد بعد الآخر ، فطردوا من خور فكان ، وانتزعت منهم صحار في **١٦٤٣** ، وفي **١٦٥٠** فقدوا مسقط ، آخر مواقعهم **لامام عمان** ، وبهذا

=Foster, (London, Reprinted, 1930), vol. I, pp. 64-5; Sir T. Herbert, Some Years Travel into Africa and Asia the Great, (London, 1638), p. 115; Wright, Op. Cit., pp. 249-55; Amin, Op. Cit., p. 6.

(١) Edward Ives, A Vogae From England to India, in the Year 1754, Also, a Journey From Persia to England, (London, 1773), p. 197.

(٢) Lockhart, Op. Cit., p. 174.

(٣) [I.O.] List of Marine Records p. XXII.

الاندحار « لم يعد البرتغاليون منافسين خطرين في اي حقل من حقول التجارة الشرقية »[1] •

ان التعاون الانكليزي ـ الهولندي لمواجهة البرتغاليين ، لم يستمر طويلا ، فحالما وضح انهيار الأخيرين في منطقة الخليج ، حتى نشبت الخلافات بينهما ، حول الاحتكار التجاري في تلك المياه • لقد برزت هولندا على المسرح الملاحي كقوة لا يستهان بها منذ انتهاء الحكم الاسباني للاراضي المنخفضة في سنة ١٥٩٥ • حيث تسنت للهولنديين الفرص لاستئناف فعالياتهم التجارية على نطاق واسع في شتى الجهات وبخاصة الشرقية منها • ويلاحظ في هذا المجال ان الاندفاعين ، الانكليزي والهولندي ، كانا متعامدين زمنيا • ذلك ان الهولنديين اسسوا شركتهم للهند الشرقية في سنة ١٦٠٢ ، وتمكنوا في خلال وقت قصير من ذلك التاريخ ، من ان يصبحوا المنافسين الرئيسين للبرتغاليين في تجارة التوابل[2] • وفي سنة ١٦٢٥ ، اقام الهولنديون مركزا لهم في بندر عباس ، واخذوا مباشرة بالسعي لاحتكار التجارة في السلع الثمينة كالتوابل[3] ، هذه التجارة التي لم يكن الانكليز قد حققوا حتى

(١) R. Couplant, East Africa and it's Invaders From the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856, (Oxford Rep., 1956), p. 53.

في نفس هذه الفترة عانى البرتغاليون سلسلة من الانتكاسات في مستعمراتهم الشرقية على أيدي الهولنديين • ففي ١٦٥٦ ، انتزع الهولنديون من البرتغاليين كاليكوت ، وفي ١٦٥٨ أخرجوا من سيلان ، كما استولى الهولنديون على أماكن عديدة من ساحل كورماندل Cormandel انظر :

(Milburn, Op. Cit., (London, 1813), vol. I pp. 308-9.

(٢) Marlowe, Op. Cit., p. 7.

(٣) Amin, Op. Cit.. p. 7 باحتلال الهولنديين لملقا في سنة ١٦٤١ ، حققوا تفوقا حاسما في المضايق الهندية ، المتحكمة بتجارة التوابل •

S.B. Miles, Countreis and Tribes of the Persian Gulf. (London, 1966), p. 210; Penrose, Op. Cit., p. 62.

ذلك التاريخ وسيلة للوصول اليها • كما سعوا في سبيل انتزاع الاحتكار الانكليزي لتجارة الحرير ، الى جانب امتيازات الانكليز الكمركية ، التي منحها لهم الشاه عباس ، اعترافاً منه بمساعدتهم في الاستيلاء على هرمز • وقد سجل الهولنديون تفوقا واضحا على الانكليز في بداية المنافسة ، وكان مركزهم في بندر عباس اكثر نشاطا ونجاحا[١] • وكان من بين اسباب ذلك الكوارث التي سببتها منافسة عدة هيئات انكليزية تأسست في انكلترا للمتاجرة مع الشرق ، خلال السنوات الباقية من القرن السابع عشر ، وقسم من القرن الثامن عشر[٢] • ولم يقتصر التفوق الهولندي في الخليج فقط ، بل شمل معظم المناطق الأخرى • فقد اقاموا لهم مستعمرات في موريشيوس سنة ١٦٤٤[٣]، وفي خليج تيبل (Table Bay) في ١٦٥٢، ونجحوا في دفع البرتغاليين من سيلان سنة ١٦٥٨ • وبنهاية القرن ، كانت مراكزهم التجارية وقلاعهم منبثة في انحاء الشرق : في الخليج العربي ، وعلى سواحل الهند وارخبيل الملايو[٤] • وحينما نشبت الحرب الانكليزية ـ الهولندية في اوربا سنة ١٦٥٢ ، عانى الانكليز من عدة ارتدادات على

---

(١) انظر في تعليل ذلك : Amin, Op. Cit., pp. 7-8.

(٢) انظر عن الكوارث التي سببتها الشركات الانكليزية المنافسة لشركة الهند الشرقية :

Lorimer, Op. Cit., vol. IA, pp. 50-1 and 56-7

الى أن تم دمج هذه الشركات بشركة الهند الشرقية بموجب مرسوم صدر في ٢٥ مايس ١٧١٠

[I.O.] List of Marine Records, P. XI.

(٣) جزيرة تقع في القسم الجنوبي من المحيط الهندي الى الشرق من مدغشقر ، وهي ذات موقع ستراتيجي مهم في هذه المياه • وأول سفينة هولندية زارت الجزيرة في سنة ١٥٩٨ ،

(Coupland. Op. Cit., Footnote 1, p. 53).

(٤) Ibid, p. 53.

ايدي الهولنديين في الخليج[1] • وكان عليهم ان يذعنوا لذلك التفوق الهولندي ، السياسي والتجاري ، لجانب كبير من ذلك القرن[2] ، وبحلول سنة ١٦٨٠ ، كان الهولنديون قد ثبتوا انفسهم بقوة في كل من بندر عباس والبصرة[3] ، واصبحت قوتهم كقوة البرتغاليين في القرن الماضي •

اخذ النفوذ الهولندي بالتدهور لصالح الانكليز في اواخر القرن السابع عشر ، ويرجع ذلك الى تدهور حكومة هولندا ، وبذلك فقد الهولنديون الدعم المادي والهيبة المعنوية التي تمتعوا بهما في المياه الشرقية ، خلال معظم القرن السابع عشر • وفي سنة ١٦٨٨ ، تحالفت هولندا وانكلترا ضد فرنسا[4]، وبذلك اصبحت المصالح الهولندية تابعة لتلك التي للانكليز ،

---

(١) وقعت عدة اشتباكات بين السفن الانكليزية والهولندية ،اسفرت عن اندحار الانكليز • نظر :
[I.O.] List of Marine Records, p. XVII.

(٢) عن التفوق الهولندي في هذه الفترة ، وعن الحروب الهولندية ـ الانكليزية ، انظر :
Lorimer, Op. Cit., vol. IA, pp. 41-2 and 46-7.

(٣) في سنة ١٦٣٩ ، وبسبب الصعوبات في بندر عباس ، قام الانكليز برحلة الى البصرة ، نجحت فيالحصول على اذنبالتجارة من الوالي العثماني ، وتم تأسيس مركز هناك بعد وقت قصير ، والذي وصف في سنة ١٦٤٤ باعتباره من أهم المراكز للتبادل التجارى ، كانت الشركة تتمتع به في ذلك الوقت [I.O.] List of Factory Records, p. XXII ولكن الهولنديين مدوا حربهم التجارية ضد الانكليز الى العراق ، فأرسلوا اسطولا من ثماني سفن الى البصرة ، وكانت النتيجة تدمير التجارة الانكليزية هناك في ذلك الوقت ، انظر :
Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 41; Amin, Op Cit., p. 8.

(٤) أثر اتحاد العرشين الهولندى والانكليزي وتولى مارى وزوجها وليم اورنج العرش الانكليزي ، نتيجة لثورة ١٦٨٨ الانكليزية•

كثمن لهذا التحالف[1] • كما كانت اساليب الهولنديين العنيفة ، التي برزت للعيان في احتلالهم لجزيرة قشم بالقوة من الفرس في سنة ١٦٤٥[2] ، قد ولدت حقدا كبيرا عبّر عن نفسه بالعمل كلما سنحت للعثمانيين والفرس فرصة لرد الضربة[3] • وفي الواقع ان الهولنديين استمروا في الاحتفاظ بمراكزهم في كمبرون وكثير من الاماكن المهمة الاخرى في الخليج ، وكانت تجارتهم لا تزال ذات قيمة كبيرة ، ولكنهم في الوقت الذي كانوا فيه يلعبون هذا الدور الهام ، التجاري والسياسي ، في جزء كبير من القرن الثامن عشر ، الا انهم لم يعد بمقدورهم مطلقا ان يكونوا سادة هذه المياه[4]• وبانتهاء النصف الاول من القرن الثاني عشر ، بلغ التدهور الهولندي أوجه • وفي سنة **١٧٥٩** ، كان على الهولنديين ترك بندر عباس ، وفي **١٧٦٦** ، وحينما قضى العرب على آخر مواقعهم المحصنة في جزيرة خارج[5] ،

---

(١) Amin, Op. Cit., p. 11; Lorimer, IA, p. 47.

(٢) في سنة ١٦٤٥ ، قام الهولنديون ، الذين كانوا يهدفون الى تقوية نفوذهم في ايران بأية وسيلة كانت ، وبضمنها القوةالعسكرية ، بارسال اسطول كبير الى الخليج ، وطالبوا بارجاع ٩٠٠/٤ تومان ، كان الفرس قد أخذوها كمكوس من وكيلهم في بندر عباس • وقد دفع خطر الالتحام الهولندي ـ الفارسي بالانكليز ، الى نقل ممتلكاتهم الى البصرة • وفي خريف نفس السنة ، وحينما **لم يتم التوصل الى اتفاق مع الفرس ، هاجم الهولنديون قشم ،** فاستجاب الشاه على الفور لمطالبهم التجارية وفق شروط أفضل لهم • وتم منحهم رخصة شراء الحرير من ايران وتصديره معفيا من الرسوم الكمركية • انظر :

Lorimer, Op. Cit., vol. IA, pp. 40-1; Amin Op. Cit., pp. 7-8.

(٣) Marlowe, Op. Cit., p. 8.

(٤) Amin, Op. Cit., p. 11.

(٥) عن المؤسسة الهولندية في جزيرة خارج ، باعتبارها مركزهم =

فان النفوذ الهولندي في المنطقة لم يعد له وجود •

اما بالنسبة للشركة الانكليزية ، فقد حصل تطور خطير في اواخر القرن السابع عشر ، كان له تأثير مهم في تغيّر طابع الشركة التجاري • فالملاحظ انه حتى ذلك الوقت ، كانت الشركة مشروعا تجاريا بحتا ، ولكن التطورات السياسية والنجاح التجاري في الشرق ، تطلب اتخاذ مسؤوليات سياسية وعسكرية واسناد وتشجيع من حكومة الوطن • وبموجب هذه التقديرات ، اصدر چارلس الثاني مرسوما ملكيا في سنة ١٦٦١ ، فوض الشركة بموجبه « اعلان الحرب او السلام مع اي أمير غير مسيحي ، وان تعقد المعاهدات باسم التاج »[١] • كما تم التوصل الى اتفاق بين الحكومة البريطانية وشركة الهند الشرقية، في سنة ١٦٦٨ ، تم بموجبه تسليم جزيرة بومباي[٢] الى الشركة ، وكانت ملكية هذه الجزيرة قد انتقلت الى التاج الانكليزي في سنة ١٦٦١ ، كجزء من دوطة زواج ابنة ملك البرتغال من

= التجاري ، انظر : Ives, O. Cit., pp. 207-226
ان المؤلف زار الجزيرة في سنة ١٧٥٨ • وعن وصف الجزيرة ، ونشاطات الامير (مير) مهنا ، الزعيم العربي

Niebuhr, Travels Through Arabia, (Beirut, Reprinted,?), vol. II, pp. 154-6; Milburn, Op. Cit., (London, 1813), vol. I, pp. 127-8; Abraham Parsons, Travels in Asia and Africa, (London, 1808), pp. 192-8; Amin, Op. Cit., Appendix I, pp. 149-150.

(١) H.M. Albaharna, The Legal Status, (London, 1968), p. 8.

(٢) تعتبر جزيرة بومباى ، الواقعة قرب الساحل الغربي للهند ، من أفضل موانىء شبه القارة • للوصف التفصيلي للجزيرة وأهميتها الستراتيجية والتجارية ، انظر :
Milburn, Op. Cit., (London, 1825), pp. 122-7

الملك چارلس الثاني[1] • وقد رافق هذه التطورات اتجاه الشركة الى تبني موقف سياسي ، اخذ يطغى بصورة متزايدة على الطابع التجاري للنشاط الانكليزي الاول • ويرى مالكولم ان هذا التغيير في اوضاع الشركة تعـود اهم اسبابه الى المنافسة الفرنسية[2] • ولكن اوضاع البريطانيين في الخليج ، خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر لم تكن مزدهرة ، على الرغم من هـذه الزيادة في القوة والمركز ، وينطبق ذلـك على الهولنديين ايضا • ومع ان هاتين القوتين كانتا تمتلكان مصالح هامة في الخليج ، الا ان ايا منهما لم تمتلك نفس الدرجة من التفوق الذي تمتـع بهـا البرتغاليون في القرن السادس عشر ، والهولنديون في منتصف القرن السابع عشر ، ويعود سبب ذلك جزئيا الى المنافسة بين هذين الطرفين ، ولكن بشكل اهم الى فعاليات

---

(١) تنازلت البرتغال عن هذه الجزيرة الى انكلترا ، بموجب المعاهدة المعقودة في ٢١ حزيران ١٦٦١ ، بين چارلس الثاني والفونسو السادس Alfonsus VI ملك البرتغال • وقد عكست هـذه المعاهدة الضعف الذي آلت اليه البرتغال اذ نصت المادة الحادية عشرة على : « ••• من أجل تمكين ملك بريطانيا العظمى من الدفاع ومساعدة وحماية رعايا ملك البرتغال في تلك الانحاء ••• فأن ملك البرتغال ، ينقل الى ملك بريطانيا وورثته ، الى الابد ، ميناء وجزيرة بومباي بجميع حقوقها وثرواتها ومقاطعاتها ••• » انظر نص المعاهدة في :

R. Hughes Thomas, Treaties, Agreements, and Engagements, Between the H.E.I.C. and the Native Princes,... etc., (Bombay, 1851-53), pp. 563-4.

ونقلت الجزيرة وميناؤها الى الشـركة بموجب المرسوم الملكي الصادر في ٢٧ مارت ١٦٦٨ • انظر نصه في :

Ibid, pp. 565-7.

(٢) Sir Jhon Malcom, The Political History of India from 1784 to 1823, (London, 1826), vol. I. p. 2.

ونشاط القوى المحلية في المنطقة(١) •

لقد عانى الخليج في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، من اضطرابات وتغييرات واسعة شملت جانبيه ، تاركة آثارها الواضحة على مراكز القوى الاوربية فيه • اذ تعرضت ايران الى فترات من التغير والاضطرابات والفوضى شمل معظم القرن(٢) ، عرّضت مراكز القوى الاوربية فيها الى مخاطر جسيمة(٣)• كما شكلت فترة الغزو الافغاني لايران (١٧٢٢ - ١٧٢٩) ، محنة كبرى للتجارة البريطانية • حيث ان فقدان الأمن في مناطق واسعة من البلاد ، والغزو الروسي والعثماني ، ولدت كسادا اقتصاديا قاسيا • كما خابت آمال الشركة البريطانية في قيام عصر مزدهر ومستقر ، بعد طرد الافغان من خلال المآثر العسكرية لنادر شاه • ذلك ان نادر شاه لم يكن اقتصاديا يهمه تشجيع التجارة ، كل ما اراده المزيد من الرجال والاموال والتجهيزات ، لكي يواصل تحقيق مشاريعه العسكرية ، ولم يقدر بأن اساليبه هذه من شأنها ان تؤدي الى الاضرار بالبلد(٤) • وكان من نتائج التدهور الاقتصادي ان قام الانكليز باغلاق مراكزهم في اصفهان سنة ١٧٣٥(٥) •

---

(١) Amin, Op. Cit., p. 14.

(٢) انظر الفقرة ٣ من هذا التمهيد •

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب Hamilton, Op. Cit. Vol. I, pp 68-9 الذي وصف دفاع الانكليز والهولنديين عن مراكزهم حين هجوم البلوش على بندر عباس سنة ١٧٢١ • والمؤلف اشترك في الدفاع عن المركز الانكليزي ، ويقدم صورة واضحة عن تدهور أوضاع ايران في هذه الفترة •

(٤) L. Lockhart, Nadir Shah, A Critical Study Based Mainly Upon Contemporary Sources, (London, 1938), p. 283.

(٥) Ibid, p. 284.
على انهم أعادوا فتحه في صيف ١٧٤٢ ، لمواجهة قيام شركة =

تفاقمت الاوضاع الى درجة خطيرة من السوء في خلال اخريات سنوات حكم نادر شاه • فقد عمت التمردات ارجاء ايران ، كما ان الشاه اثبت نفسه في هذه الفترة ، شديد الوطأة على مصالح كل من البريطانيين والهولنديين • كل هذه الظروف ادت الى مردود عكسي على الحياة التجارية في البلاد ، حتى لقد كتب المقيم دوريل الى لنـدن في كانون الاول ١٧٤٥ يقول[١] : « ان اسم التجارة قد نسي ••• في ايران » • وفي اوائل سنة ١٧٤٧ كتب بيرسـون J. Pierson المقيم في اصفهان قائلا[٢] « ان اعمال الشاه الوحشية ، قد وضعت نهاية لكل اشكال التجارة ، و لاشيء يُعمل في ايران فيما عدا جمع الاموال له » • هذه الاوضاع دفعت بالشركة البريطانية الى التفكير اكثر من مرة ، في ان تترك كليا مصالحها في ايران ، ولكنها مـع ذلك بقيت ، وبمرور الوقت « اجتازت العاصفة »[٣] •

هذا مع العلم بأن اوضاع الهولنديين لم تكن باحسن حالا من منافسيهم الانكليز في تلك السنوات المضطربة • كما ان الفرنسيين ، اختاروا وقتا سيئا لاعادة تجارتهم في بندر عباس ، في سنة ١٧٤٠ • ولكنهم ما لبثوا ان ادركوا عدم جدوى الاحتفاظ بمركزهم هناك ، فاستدعت الشركة الفرنسية وكيلها ، الذي غادر بندر عباس في تموز ١٧٤٣ • على ان السفن الفرنسية، واصلت التردد بشكل غير منتظم ، وممارسة بعض النشاط التجاري في بندر عباس وبوشهر[٤] •

= روسيا بنشاط واسع في شمال ايران لانتزاع حصة مـن تجارة البضائع الصوفية • (Ibid, p. 285).

(١) Quoted in: Ibid, p. 286.

(٢) Quoted in: Amin, Op. Cit., p. 19.

(٣) Lockhart, Op. Cit., p. 286.

(٤) Ibid.

يتوضح لنا مما سبق ، ان الانكليز ومن بعدهم الهولنديون والفرنسيون، الذين دخلوا الخليج ، لم يكن هدفهم تأسيس امبراطورية في الخليج على الطراز البرتغالي ، وانما وجهوا نشاطاتهم بشكل متزايد للتجارة[1] . فكان فقدان القوة البحرية المتفوقة ، عاملا في ظهور ونمو القوى العربية البحرية ، التي دخلت في صراع فيما بينهما من اجل الهيمنة على مياه الخليج . كما تظهر لنا حقيقة اخرى ، وهي ان وصول القوى الاوربية الى المنطقة لم يكن له الا تأثير هامشي على القبائل البحرية في ساحل (السر) ، موطن القواسم . اذ اننا لم نجد للبريطانيين ولا للهولنديين مصالح في منطقة القواسم او اهتماما بها ، الا حين دفعت التطورات السياسية توجيه البريطانيين اهتمامهم اليها بشكل متزايد في اوائل القرن التاسع عشر .

ب ـ المحور العماني :

تحتل عمان الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، وهو موقع يمتاز بأهميته البالغة من الناحيتين الستراتيجية والتجارية . ولقد لعب سكانها العرب، وغالبيتهم من الازد الذين جاءوا من اليمن والباقون من نجد ، دورا مهما في تطوير التجارة العربية في المحيط الهندي، وفي القرن الحادي عشر ، اشتهروا بخبرتهم العالية في بناء السفن[2] ، فكانوا من أقدم وأمهر البحارة في البحار الشرقية . وفي خلال فترة الازدهار الاقتصادي للخليج التي سبقت مجيء البرتغاليين ، كان لبحارة وتجار عمان ، خاصة من صحار ،

---

(١) سنرى تغيرا كليا في سياسة بريطانيا في الخليج منذ أواخر القرن الثامن عشر ، اذ تصبح المواقف السياسية هي الاساس ، وهذا ما سيجرى توضيحه في الصفحات القادمة من هذه الدراسة .

(٢) R. Coupland, East Africa and It's Invaders, From the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856, (Oxford, Rep. 1956/61), p. 21.

ادوار رئيسة في حياة التجارة الشرقية • اذ كان هؤلاء من بين اوائل المسلمين الذين سلكوا الطريق البحري الى الصين[1] • ولعبوا دورا اساسيا في انشاء العديد من الموانيء التجارية على طول سواحل شرقي افريقيا[2] • كما كانت هناك ارتباطات وثيقة بين عمان والموانيء الهندية في ذلك الوقت • لسنا في صدد التفصيل في تاريخ عمان[3] ، ولكن يجدر بنا ان نتعرض

---

(١) Robert Landen, Oman Since 1856, (Princeton, 1967) pp. 52-3.

(٢) عن السيطرة العمانية في شرقي افريقيا ، انظر :

Coupland, Op. Cit., pp. 15-40; Wendell Phillips, Oman, A History, (London, 1967), Chap. 2, pp. 24-56; Sir Harry H. Johnston, A History of the Colonization of Africa by Alien Races, (Cambridge, Rep., 1930), p. 83.

(٣) عن التاريخ المبكر لعمان والاباضية ، انظر :

G.P. Badger, History of the Imam and Seyyids of Oman, By Salil ibn-Razik, From A.D. 661-1856, Translated from the Original Arabic and Edited with Notes, Appendices and Introduction, Continuing the History Down to 1870, (London, 1871), pp. 1-XXX, 1-99; Selections From the Records of the Bombay Government, No. XXIV, New Series, (Bombay, 1856), pp. 3-5; R. Taylor, "Extracts from Brief Notes Containing Historical and Other Information Connected with the Province of Oman, Muscat and Adjoining Country"; Miles, Op. Cit., pp. 1-18; Wilson, Op. Cit., pp. 77-83; T. Lewicki, 'Al-Ibadiya', The Encyclopaedia of Islam, New Edition, (Netherland, 1969), vol. III, pp. 648-660;

نورالدين عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الاعيان بسيرة أهل =

بشيء من الاختصار لمبادىء الاباضية لتأثيرها الخطير في تاريخ عمان •

الاباضية فرقة معتدلة من فرق الخوارج تختلف عن الفرق الخارجية المتطرفة المتمثلة بالازارقة مثلا ، في نواح عدة ، أهمها : الاعتقاد بأن المسلم غير الخارجي يعتبر (كافرا) لا (مشركا) ، بخلاف ما يعتقده الازارقة ، ولهذا فانهم يرفضون القتل لاسباب دينية الذي طبقه متطرفو الخوارج[1] • اما من الناحية السياسية ، فانهم لا يعتبرون وجود الامامة أمرا أساسيا لا مفر منه • حيث يمكن الاستغناء عنها في حالة قيام ظروف غير ملائمة ، يدعوها الاباضيون بـ « الكتمان » • ويعود أمر الانتقال من مرحلة « الكتمان » الى مرحلة « الظهور » الى مشايخ القطر[2] • ويتم انتخاب الامام من قبل مجلس يضم كبار المشايخ والقضاة ، يعقد سرا ثم يعلن قراره على الناس ، والامام المنتخب هو بنفس الوقت القائد العسكري والقاضي والفقيه ، وهو بذلك ذو سلطة مطلقة • على انه يمكن عزله اذا ما خرج عن العقائد الاساسية او خالفها[3] •

استرجعت الامامة أهميتها في حياة القطر ، بانتخاب ناصر بن مرشد ،

= عمان ، (القاهرة ، ١٣٥٠) جـ١ ؛

R.D. Bathurst; Maritime, Trade and Imamate Government: Two Principal Themes in the History of Oman to 1728, in the Arabian Peninsula, Society and Politicics, Ed. Derek Hopwood, (London, 1972), pp. 89-95.

(١) Lewicki, Op. Cit., pp. 657-8.

(٢) Ibid, p. 658.

(٣) Ibid.

من قبيلة اليعاربة[١] في الرستاق سنة ١٦٢٤[٢] • اذ حقق اليعاربة بعثاً للنفوذ العماني في سياسات الخليج والبحار الشرقية ، و « الامبراطورية البحرية التي سيبنيها اليعاربة ستكون ندا لتلك التي للقوى الاوربية ، ومن ثروتها اصبحت عمان من جديد لقرن او حوالي ذلك قطراً مزدهرا »[٣] •

سلك ناصر بن مرشد سياسة نضالية نشطة ، خططت لتوحيد كل العمانيين ، حيث صرف السنوات الاولى من حكمه في حملات في الداخل لتحقيق هذه الوحدة • وتكللت جهوده ، بعد بضع سنوات ، بالقضاء على معارضيه من القبائل النزارية[٤] • وعلى الأثر وجه اهتمامه نحو البرتغاليين، ونجح في الفترة ١٦٣٠ – ١٦٤٩ ، وبعد معارك طاحنة ، من انتزاع معاقلهم في جلفار[٥] وصور وقريات وخورفكان ، كما فرض الحصار على مسقط ، وحين وفاته في ٢ نيسان ١٦٤٩ ، لم يكن في قبضة البرتغاليين سوى

---

(١) اليعاربة قبيلة من أصل قحطاني ، وهم من أوائل من نزح الى عمان من اليمن • ما بقي منهم في الوقت الحاضر يتبعون طائفة الغافرية ، ويعيشون في عزلة وحالة فقر واهمال • اذ قامت سلالة البو سعيد ، بمصادرة ممتلكاتهم في القرن التاسع عشر . Phillips, Oman, p. 44

(٢) Miles, Op. Cit., pp. 201-2 . ويخطىء فيليبس في تحديد سنة انتخاب ناصر بن مرشد ، كما يورد سنوات متضاربة ، فهو حينا يحددها بسنة ١٦٢٠ ، وحينا آخر بسنة ١٦١٥ – ١٦١٦ • انظر: Phillips, Oman, pp. 43, 223

(٣) J.C. Wilkinson, The Origins of the Omani State, in The Arabian Peninsula, ed. Derk Hopwood, (London, 1972), p. 82.

(٤) للتفاصيل ، انظر : السالمي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣–١٠٥ ؛ Miles, Op. Cit., pp. 202-3.

(٥) Badger, Op. Cit., pp. XXII-XXIII, 66-7.

التحصينات الداخلية لمسقط ومطرح[1] .

انتخب ابن عمه وقائده العسكري ، سلطان بن سيف ، في نفس يوم وفاته[2] ، وقد نجح الامام الجديد في طرد البرتغاليين من مسقط في كانون الثاني ١٦٥٠[3] . هذا الانتصار الكبير ، الهب حماس العمانيين ، فلم يكتفوا بطرد البرتغاليين من مناطق عمان فحسب ، بل شنوا عليهم حربا تمثلت بسلسلة من الغارات ضدهم في المحيط الهندي برا وبحرا . وقد تعرضت المواقع البرتغالية في الهند الى تلك الهجمات : بومباي في ١٦٦١ ، وديو في تشرين الثاني ١٦٦٨ وكانون الثاني ١٦٧٦ ، وباسين Bassein في ١٦٧٤ ، وكونك في ١٦٧٠[4] ، وامتدت المعارك لتشمل غرب المحيط الهندي ، وخاض الطرفان صراعا طويلا للسيطرة على شرقي افريقيا[5] . في هذا الصراع ساعد العمانيين تبنيهم طرازا جديدا من السفن والمدفعية . وعلى سبيل المثال ، أنهم تركوا استعمال السفن ذات الهيكل المخاط (المكلفت) Sewn hull ، وهو الاسلوب التقليدي لبناء السفن المستخدمة في الخليج[6] ، واخذوا في تسيير سفن على الطراز الاوربي، ذات الاشرعة

---

(١) انظر :
Miles, Op. Cit., pp. 203-204; Lorimer, Op. Cit., vol. IA, pp. 400-401.

(٢) Miles, Op. Cit., p. 210; Bathurst, Op. Cit., p. 98.

(٣) Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 402; Wilson, Op. Cit., p. 155; Bathurst, Op. Cit., p. 99.

(٤) Bathurst, Op. Cit., pp. 99-100; Low, Op. Cit., vol. I, pp. 311-12; Wilson, Op. Cit., p. 155.

(٥) Miles, Op. Cit., p. 212; Coupland, Op. Cit., pp. 65-6; Bathurst, Op. Cit., pp. 99-100.

(٦) من أقدم الاوصاف الغربية لصناعة السفن المحلية في الخليج ، =

المربعة ، وحتى تلك المراكب المبنية على الاسلوب القديم ، اخـذت تبنى بألواح مثبتة بالمسامير(١) • وبحـلول القرن الثامن عشر ، فان كل القوى البحرية في الخليج ، كانت تمتلك عددا من السفن ذات الطراز الغربي ، ومزودة بمدفعية حديثة(٢) •

جعل حكام اليعاربة المتعاقبين ، ولغاية ١٧١٨ ، مسقط أعظم قوة بحرية غير أوربية في المياه الشرقية • وبلغ اسطولهم أوج عظمته في خلال العقد الثاني من القرن الثامن عشر ، فقد كان يتألف في سنة ١٧١٥ ، حسب قول هاملتون من : « سفينة واحدة ذات ٧٤ مدفعا واثنتان ذواتا ٦٠ مدفعا وواحدة ذات ٥٠ مدفعا ، وثمان عشرة سفينة أصغر حجما تحمل من ٣٢ الى ١٢ مدفعا لكل منها ، وبعض سفن الترانكي ، او السفن ذات المجاذيف تحمل من ٤ الى ٨ مدافع لكل منها »(٣) •

حركت هذه القوة المتنامية خوف الانكليز ، فقدم المقيم الانكليزي في سورات ، خطة لاحتلال مسقط في سنة ١٦٥٩ ، ولكنها لم تسفر عن نتيجة

= حسب المصادر المتوفرة لدينا ، ما جاء به ماركوبولو : « ان سفنهم سيئةالصنع ، وخطرة في الملاحة ••• ويعود ذلك الى عدم استخدام المسامير في بنائها ••• يربطون ألواحها أو بالاحرى يخيطون بعضها ببعض ، بواسطة حبال مجدولة من قشرة جوز الهند ••• ولا يستعمل الزفت لحماية قاع السفينة ، ولكنهـا تطلى بزيت السمك ، وتسد حزوز السفينة بالحبال القديمة • وللسفينة صار واحد ودفة واحدة وسطح واحد ••• »

The Travels of Marco Polo the Ventian, Revised from Marseden's Translation and Edited with Introduction by Manue Komroff, (N.Y., 1930), pp. 48-9.

(١) Landen, Op. Cit., p. 54.

(٢) Ibid.

(٣) Hamilton, Op. Cit., vol. I, p. 51.

ايجابية • وفي سنة ١٦٩٤ ، عبر المقيم الانكليزي في بندر عباس عن مخاوفه من هذه القوة بقوله : « انهم سيثبتون انهم كارثة كبرى على الهند ، كالجزائريين في اوربا »[١] وقد اعتزمت الحكومة البريطانية على تجهيز حملة بحرية «لتطهير البحار والقضاء على عش القراصنة عرب مسقط»[٢] •

وعند نهاية القرن تمكن الامام سيف بن سلطان من الحاق هزائم كبرى بالبرتغاليين في شرقي أفريقيا • فاستولى في سنة ١٦٩٨ على ممباسا ، ثم اخضع على التوالي پمبا وزنزبار وپاتا Patta وكيلوا[٣] • والى جانب اتساع القوة السياسية لعمان، ارتقاء مسقط السريع الى مكانة (مركز التوزيع التجاري الرئيس entrepot) لمنطقة الخليج العربي وواحدة من الموانيء الرئيسة في المحيط الهندي[٤] • وهكذا ، وبابتداء القرن الثامن عشر ، حكم الائمة اليعاربة دولة كان نفوذها السياسي يشمل الاقسام الجنوبية من الخليج العربي ، ويمتد هذا النفوذ من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقي افريقيا في الغرب ، الى سواحل وادي السند في الشرق ، كما شمل نفوذها الاقتصادي ، سواحل الخليج وايران والعراق والجزيرة العربية ، وفي حدوده الغربية ، امتد هذا النفوذ الى البحيرات الافريقية المركزية ، وفي الشرق لامس دلتا الكنج[٥] •

---

(١) Quoted in: Low, Op. Cit., vol. I, p. 213.

(٢) Milburn, Op. Cit., (London, 1813), vol. I, p. 155.
ويلاحظ ان لوريمر هو الآخر يطلق على النشاط البحري العماني تسمية (القرصنة) ! • انظر :
Lorimer, Op. Cit., vol. 1A, pp. 69, 79, 403 and 405.

(٣) Hamilton, Op. Cit., vol. I, p. 18; Low, Op. Cit., vol. I, p. 312; Miles, Op. Cit., p. 220.

(٤) Landen, Op Cit. p. 55.

(٥) Ibid

اصاب التصدع هذه الدولة من الداخل في بداية العقد الثالث من القرن الثامن عشر ، وقاد بالنهاية الى انهيار سلالة اليعاربة • اذ انغمرت البلاد في حرب أهلية اوهنت قواها ، ضاعفه اندلاع الحروب القبلية بين طائفتي الهناوي والغافري •

ان الاضطرابات التي شملت القطر العماني في الفترة ١٧١٨ — ١٧٤٩) ، بدأت على أثر موت الامام سلطان الثاني بن سيف في ١٨١٧[١] ، انتخب ابنه سيف ، وهو صبي في الثانية عشرة من عمره اماما • وقد عارض عدد من كبار رجال القبائل هذه (البدعة) في انتخاب صبي[٢] ، فقاموا باختيار عضو من اسرة اليعاربة بدله[٣] • وأدى هذا الانتخاب المزدوج الى نشوب منافسة على الامامة ما بين اليعاربة وقادة القبائل البارزين ، ولم يؤد ذلك الى خفض مكانة (الامامة) فحسب ، بل أطلق العنان لعديد من حركات التمرد في انحاء عمان[٤] •

كان أكثر المتنافسين نجاحا ، محمد بن ناصر ، تميمة — الشيخ الاكبر — بني غافر ، الذي وبدعم من معظم القبائل النزارية ، تمكن من

---

(١) يخطيء د • جمال زكريا قاسم في تحديده سنة ١٧١١ تاريخا لوفاة سلطان ابن سيف الثاني • انظر كتابه : دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ — ١٨٦١ ، (القاهرة ،) ص٣٧ • ويقع بنفس الخطأ د • صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، (القاهرة ، ؟) ، ص٤٩ •

(٢) من الشروط الواجب توفرها في المرشح للامامة ، أن يكون ذكرا ناضجا وخاليا من العاهات (Phillips, Oman, p. 43) •

(٣) هو الاخ الاصغر للامام الكبير سيف بن سلطان ، المدعو مهنا بن سلطان • انظر : السالمي ، جـ٢ ، ص١١٢ ؛
Miles, Op Cit., p. 238; Bathurst, Op Cit., pp. 103-4.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن فترة التنافس هذه انظر : السالمي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١١٢ — ١٢١ ؛
Miles, Op. Cit., pp. 238-264

تأمين انتخابه للامامة في سنة ١٧٢٤[1] • اتخذ محمد بن ناصر مدينة جبرين ، في وسط عمان ، قاعدة لقيادته ، وحكم اربع سنوات بنشاط كبير • ولكنه واجه معارضة عنيفة من قبل خلف بن مبارك الملقب بالقصير ، وهو شيخ من بني هنا ، الذي حمل السلاح ضد زعيم بني غافر ، وأصبح خلف يقود القبائل اليمنية في حرب من اجل اسقاط محمد بن ناصر[2] • وأدى القتال الى انجرار كل القبائل في عمان اليه ؛ فالقبائل الشمالية أو النزارية، بصورة عامة ، انحازت مع بني غافر ، وأخذت تعرف على أثر ذلك باسم (الغافرية) ، والقبائل الجنوبية او اليمنية ، مع بني هنا ، وعرفت بـ (الهناوية)[3] • واخيرا جاءت نهاية هذين الزعيمين في سنة ١٧٢٨ ، اذ اندفع محمد بن ناصر لمهاجمة صحار التي تحدت سلطته ، وهرع خلف لنجدة الحامية المحاصرة ، وهنا وقع المشهد الاخير ، اذ قتل القائدان في الاشتباك الذي وقع تحت أسوار الحصن[4] • ان أصل التركيب ، وحتى التسمية للطائفتين الهناوية والغافرية الحديثة ، يمكن ارجاعها الى التركيب القبلي الذي تكون في هذه الحروب[5] ، كما مر بنا •

تواصل الصراع الغافري ــ الهناوي ، مؤديا الى انقسام عمان بشكل حاد الى معسكرين متناحرين • وفي خلال هذه الاحداث ، كان سيف بن سلطان قد بلغ مرحلة الرجولة ، وجرى تثبيته اماما من قبل الاتحاد الهناوي • وكأجراء معاكس قام الغافرية بانتخاب امام آخر لهم ، الا وهو

---

(١) انظر ملحق رقم ٢ •

(٢) Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 403.

(٣) Kelly, Op. Cit., p. 8.

(٤) Ibid, pp. 8-9; Lorimer, Op. Cit., vol. IA. pp. 403-4; Bathurst, Op. Cit., pp. 104-5.

(٥) Lorimer, Op. Cit., Vol, IA, p. 404.

بلعرب بن حمير • الا ان سيف لم يثبت عجزه وعدم كفاءته كحاكم فحسب، بل انه ابتعد في تصرفاته الشخصية عن الاباضية المتزمتة ، فكان حسب تعبير نيبور[1] « أميرا كسولا وشهوانيا ، لم يكتف بحريم عديـد ، فكان يحاول في المناسبات اغراء بنات رعاياه ، وعوّد نفسه على شرب النبيذ والمشروبات القوية ، مهملا شؤونه ••• » • وهكذا فلم تمض سنوات قليلة حتى كان حكمه على حافة الانهيار ، وهذا ما دفعه الى اللجوء الى نادر شاه في طلب المساعدة[2] • لقي طلبه استجابة من الشاه ، الـذي كان يتـوق الى فرصة تمكنه من مد نفوذه الى الخليج، بالسيطرة على مسقط والموانيء الاخرى على الجانب العربي ، وبالتالي تثبيت السيادة الفارسية على المنطقة • وقد شكل اندفاع نادر لتحقيق أطماعه الجديدة ، بداية لتورط فارسي دام حتى سنة ١٧٤٤ خسروا خـلالـه ٢٠،٠٠٠ رجل ، دون ان تتحقق فائدة مجديـة لايـران[3] •

---

(١) Niebuhr, Op. Cit., vol. II, p. 118. ومن الجدير بالذكر أن تايلر يقتبس حرفيا من نيبور هذا القول • ولكنه يقع في أخطاء عديدة في أسماء الاشخاص وتطورات الاحداث في عمان، خلال فترة التدخل الفارسي •

S.R.B.G., No. XXIV, p. 5, 'Tylor, Extract from Brief Notes ... Province of Oman ...).

(٢) Kelly, Op. Cit., p. 9.

(٣) للتفاصيل الكاملة لهذه الحملات ، انظر :

L. Lockhart, Nadir Shah's Campaigns in Oman 1737-1744, Reprinted from the Bulletin of the School of Oriental Studies, (University of London), vol. VIII, Part I, pp. 157-171, see also, Same auther, Nadir Shah, pp. 182-4, 212-222.

والجدير بالذكر أن جمال زكريا قاسم يخطيء خطأ كبيرا بقوله أن الفرس نجحوا في احتلال المقاطعات العمانية لفترة ثلاثة عشر عاما ١٧٢٨ ــ ١٧٤٠ ! (دولة بو سعيد ، ص٧١) •

تحرك الاسطول الفارسي في الاول من نيسان سنة ١٧٣٧ ، قاصدا خور فكان ، يقوده لطيف خان ، حاملا ٥٠٠٠ رجل و ١٥٠٠ حصان ، مع اسهام الهولنديين بسفينة من سفنهم بالحملة(١) • وصل الاسطول خور فكان بعد أربعة أيام ، فانزل قسماً من قواته فيها، ثم ابحر شمالا، دائرا حول رأس مسندم ، وانزل بقية القوات في جلفار (رأس الخيمة) ، حيث التقى القائد هناك بالامام(٢) • وبعد ان حصل لطيف خان على ولاء الشيخ رحمة ، شيخ رأس الخيمة ، وترك حامية في رأس الخيمة ، زحف بقواته يرافقه الامام وأتباعه لمقاتلة بلعرب بن حمير(٣) • واسفرت المعركة التي وقعت قرب البريمي في سنة ١٧٣٧ عن اندحار بلعرب وفراره(٤) • ثم واصل الفرس تقدمهم ، فاستولوا على كل من الجوف وابرى ونزوة •

الا ان التقدم لم يتواصل بسبب نشوب الخلاف بين لطيف خان والامام سيف • اذ استفزت تصرفات الاول وعدم ميله الى معاملة الامام بالاحترام اللائق، الاخير ، الذي أخذ يشعر بالريبة من نوايا الفرس في ارجاع المناطق المفتوحة اليه • وقد أدى ذلك الى انفراط عقد التحالف العسكري ، وعلى الاثر فضل لطيف خان العودة بقواته الى بندر عباس(٥) •

ومن الطريف حقا ان نرى الامام يعاود سيرته مع الفرس بكافة تناقضاتها • فما ان تفاقم الخطر مجددا عليه من قبل بلعرب ، وظهر عجزه

---

(١) Selections from State Papers, 1600-1800, p. 52; Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 406, أما لوكهارت فيحدد يوم ١٢ نيسان موعد لمغادرة الحملة • Lockhart, Nadir Shah, p. 182.

(٢) Ibid.

(٣) Lockhart, Nadir Shah's Campaigns, p. 162.

(٤) Ibid; Kelly, Op. Cit., p. 9.

(٥) Lockhart, Op. Cit., p. 162.

في القضاء على التمرد ، حتى وجه نـداء الاستغاثة الى الفرس ، الـذين بادروا ثانية الى انجاده • فأبحر تقي خان ، في كانون الثاني **١٧٣٨** يرافقه لطيف خان وخان لار الى جلفـار ، على رأس قـوة من ٦٠٠٠ رجـل • ونمكنت القوات المتحالفة من ايقاع الهزيمة من جديد بقوات بلعرب بن حمير ، وفتحت مدن الباهلة ونزوة كما تم الاستيلاء على مسقط ، الا ان الفرس فشلوا في الاستيلاء على القلعتين (الجلالي والميراني) برغم حصارهم لها مدة خمسة أسابيع(١) •

ما ان تراءى للامام النصر عن طريق القوات الفارسية ، حتى ساورته الشكوك ثانية في نوايا الفرس ، لذا نراه يفضل تسوية الامر مـع غريمه بلعرب فانسحب باسطوله الى برقة ، ومنها سلك طريق البر ، حيث دخـل في مفاوضات مع منافسه بلعرب ، وافق فيها الاخير على التخلي عن كل ادعاءاته بالامامة ، كما وعد بتقديم المساعدة لسيف ضد الفرس(٢) •

لم يمر على احداث الحملة الفارسية الاخيرة غير فترة يسيرة ، حتى رأى سيف نفسه مضطرا للمرة الثالثة الى الاستعانة بالفرس • وذلك عندما ظهر له منافس جديد للامامة ، الا وهو سلطان بن مرشد • وقد نجح الاخير في اخراج سيف من مسقط • ففر الامام الى ايران حيث لجأ من جديد الى نادر شاه طالبا للمساعدة العسكرية ، واعدا اياه تسليم ميناء صحار اليه(٣) • فقام جيش فارسي بالاغارة على عمان للمرة الثالثة في سنة **١٧٤٢** ، وأعيد

(١) Lockhart, Op. Cit., pp. 163-4.

(٢) Ibid, p. 164; Donald Hawley, The Trucial States, (London, 1970), p. 85;

السالمي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٤٣ •

(٣) Kelly, Op. Cit., p. 9.

ومن الجدير ذكره أن رواية مايلز تختلف قليلا عن ذلك ، اذ يقول بأن سيف أرسل رسلا الى ايران يحملون رجاءه الى نادر شاه للتدخل لصالحه • وقد استقبل نادر هـؤلاء الرسل في اصفهان في ربيع سنة ١٧٤٢ .(Miles, Op. Cit., p. 255)

سيف الى امامته من جديد[١] •

التجأ سلطان بن مرشد الى صحار التي رفض حاكمها احمد بن سعيد، تسليمه او تسليم المدينة الى الفرس • فتحولت صحار ، بسبب هذا الموقف الى بؤرة التجمع لكل العمانيين المستائين من الاحتلال الفارسي ، اذ انهم وجدوا في شخص حاكمها قائدا قويا وصلبا ، اندفع لاستعادة استقلال البلاد ، واسترجاع مكانتها الكبيرة وتحقيق وحدتها[٢] • وهكذا فقد كان احمد بن سعيد في خلال عام ١٧٤٣ قادرا على أخذ المبادرة بالهجوم على الغزاة ، متمكنا من دفعهم عن الباطنة ـ المنطقة الساحلية ـ مجبرا اياهم على التراجع الى ما وراء أسوار مسقط • وبعد سنة واحدة استسلمت له الحامية الفارسية لهذا الموقع[٣] • ونتيجة لذلك تزايد نفوذ احمد بن سعيد فشمل معظم أرجاء عمان ، فيما عدا رأس الخيمة ومشارفها ، التي ظل الفرس محتفظين بها حتى وفاة نادر شاه في سنة ١٧٤٧[٤] •

ان التطورات التي تلاحقت فيما اشرنا اليه ، مهدت لارتقاء احمد بن سعيد الى الامامة • فقد توفي الامام سيف « محزونا لأنه وجد

---

(١) Lockhart, Nadir Shah, p. 216.

(٢) Kelley, Op. Cit., p. 9.

(٣) Ibid.

(٤) Lockhart, Nadir Shah, p. 216 ، ساعد أحمد بن سعيد في صراعه مع الفرس ، اضطراب الاوضاع في ايران ، ففي كانون الثاني ١٧٤٣ ، ثار تقي خان محاولا السيطرة على اقليم فارس ، الا أن ثورته أخمدت وعوقب بقسوة • وقد أدت هذه الاضطرابات ، مع مارافق ذلك من استمرار الحرب مع العثمانيين، الى اضعاف قبضة الفرس على عمان ، وانسحب اهتمامهم منها ، فاهملوا دعم حاميتهم في مسقط • انظر
Niebuhr, Op. Cit., vol. II, p. 119, S.R.B.G. No. XXI, pp. 6-5, 'Taylor, Extract...',
أما لوريمر فانه يحدد عصيان تقي خان بسنة ١٧٤٤
(Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 84.)

نفسه مخدوعا من قبل الفرس »[1] ، كما لقي سلطان بن مرشد مصرعه في اثناء الدفاع عن صحار سنة ١٧٤٣[2] ولكن موت هذين الزعيمين لم يؤد الى انهاء الانقسام الداخلي • فما أن وصل نبأ وفاة سلطان بن مرشد الى العاصمة العمانية ، الرستاق ، حتى تنافس اثنان من اليعاربة على الامامة : هما بلعرب بن حمير ، ومجيد بن سلطان ، أخ الامام السابق سيف • ووقع الاختيار على الاول ، وانتخب اماما في العاصمة •

لم يحاول الامام الجديد ، بلعرب بن حمير ، الاشتراك في الحرب ضد الفرس ، بسبب غيرته الشديدة من غريمه احمد بن سعيد وخشيته من تزايد نفوذه • لهذا لم يقدم أية مساعدة او تأييد لصحار في مقاومتها للفرس• وعليه فبعد ان طرد العدو الفارسي ، كانت عواطف الكثيرين مع احمد بن سعيد باعتباره مؤهلا للامامة • وقد أسفر اجتماع عدد كبير من القضاة والشيوخ والناخبين في مسقط ، عن اعلانه اماما جديرا بقيادتهم[3] •

بدأت مرحلة جديدة من الحروب الاهلية بين الامامين المتنافسين ، دامت بين ١٧٤٥ – ١٧٤٩ • فقد أيدت القبائل الغافرية بلعرب ، في حين ان القبائل الهناوية التفت حول احمد • وقد مر الصراع بين الامامين بمرحلتين ، امتدت الاولى من ١٧٤٥ حتى اوائل ١٧٤٩ ، والثانية ، وهي

---

(١) Niebuhr, Op. Cit., vol. II, p. 119. أو « بسبب القلب لكسير » كما يقول لوريمر
(Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 407)

(٢) Miles, Op. Cit. 262; Phillips, Oman, Note I, p. 63

ويخطىء د • زكريا قاسم في تحديده سنة وفاة سلطان بن مرشد بسنة ١٧٣٨ ، اذ يقول « فقدت أسرة اليعاربة سيطرتها على البلاد بوفاة الامام سلطان بن مرشد في عام ١٧٣٨ ، حيث ظهرت في مكان الصدارة قبيلة أخرى هي قبيلة البو سعيد ••• » دولة بو سعيد ، ص٤٥ •

(٣) انظر : Miles, Op. Cit., pp. 262-3.

الحاسمة كانت في اواخر ١٧٤٩ • وكان التفوق حليف بلعرب في المرحلة الاولى حيث حقق عددا من الانتصارات على خصمه •

اما المرحلة الثانية الحاسمة التي وقعت في اواخر ١٧٤٩ فقد دارت فيهـا الدوائر على بلعرب ، اذ انـحدر في معركة فارك ، قرب الجبـل الاخضر ، واسفرت هذه المعركة عن مقتل بلعرب وانهيار المقاومة الغافرية(١)•

وبذلك صفا الجـو لاحمد بن سعيد ، الذي ظل في الحكم حتى وفاته في ١٧٨٣ •

شكل مجيء احمد بن سعيد للامامة في ١٧٤٩(٢) ، نهاية لحكم اليعاربة

(١) للتفاصيل انظر : Ibid, pp. 263-4.

(٢) هناك تضارب في تحديد تاريخ مبايعة أحمد بن سعيد بالامامة ونهاية حكم اليعاربة • فنيبور يحدده بسنة ١٧٤٩ ، اذ يخبرنا بأنـه في سنة ١٧٦٥ ، كان أحمد يحكم منذ ستة عشر عـاما (Niebuhr, Op. Cit., vol. II, p. 122) ويتفق كل من مايلز وكيلي على ذلك لتاريخ (Miles, Op. Cit., p. 265

Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 9)

أما لوريمر فيقول ان انتخابه للامامة تم في سنة ١٧٤٤ بعد طرد الفرس (Lorimer, vol. IA, p. 407) أما السالمي فيذكر سنة ١١٦٧هـ ـ أي ١٧٥٤م ـ ، ولكنه لا يجزم بذلك وانمـا يوحي بارتباك الروايات (السالمي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٦٠ ـ ١٦١ ، ١٦٢) ، في حين أن بادجر يحدد امامة أحمد بسنة ١٧٤١ ، اذ يقول « بعد حكم دام أربعة وثلاثين عاما ، توفي أحمد في الرستاق في كانون الثاني سنة ١٧٧٥ » (Badger, Op. Cit., p. XLIX) أما بلكريف فأنه يبتعد كثيرا عـن الصواب بتحديده سنة ١٧٥٩ بداية لمجيء أحمد بن سعيد للحكم

W. Gifford Palgrave, Narrative of a Year Journey Through Central and Eastern Arabia 1862-63, (London, 1865), vol. II, p. 43.

أما ولستد فيذكر ان امامة أحمد بن سعيد تمت في ١٧٤٧ بعد ان تخلص كليا من الفرس أثر اغتيال نادر شاة

(J.R. Wellsted, Travels in Arabia, (London, 1838), vol. I, p. 393.

ووضع الاساس لحكم سلالة البو سعيد[١] في عمان ، والتي تواصل حكمها بدون انقطاع الى الوقت الحالي[٢] .

اثبت الامام الجديد انه ذو ارادة قوية مكنته من فرض الوحدة على عمان ، ولم يكن يحجم عن استخدام أية وسيلة في سبيل تحقيق أهدافـه . حيث عرف عنه استعماله لاسلوب مثل « دعوة اعدائه الخطرين للغذاء معه ، ليقوم بذبحهم قبل انتهائهم من تنـاول الطعام »[٣] . ولم يتردد في اسكات العضو الوحيد في اسـرة اليعاربة الذي حاول مقاومة سلطته ، وهو محمد ابن سليمان ، ابن عم الامام السابق سلطان بن مرشد ، في اقطاعه منطقـة نخل[٤] . كما حاول بعد وقت قصير من حكمه ، كسب دعم السلالة التي أسقطها ، بزواجه من ابنة الامام السابق سيف بن سلطان ، وانجب منها ولدا سماه محمدا[٥] . ولكونه كان في المقام الاول تاجرا ومالك سفن ،

---

(١) قبيلة هناوية صغيرة ، موطنها آدام على حافة عمان الداخلية .

(٢) « ان السلالة الجديدة تمكنت من تحقيق سيطرتها على السلطة بطردها للفرس ، تماما كما فعلت سلالة اليعاربة سابقا بطردها للبرتغاليين »

Rudolph Said Ruete, Said-bin-Sultan 1791-1856, Journal of the Central Asia Society, vol. XVI, Part IV, (London, 1929), p. 419.

(٣) Landen, Op. Cit., pp. 58-9. في الواقع أنـه طبـق هذا الاسلوب في افتنائه للحامية الفارسية في مسقط ، اذ قام بدعوة جميع الفرس الى برقة ، على ساحل عمان ، ثم قـام بذبحهم هناك غدرا .

Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 407.

(٤) Miles, Op. Cit., p. 264.

(٥) Ibid, p. 266; Phillips, Oman, p. 66.

فقد اصبحت التجارة والقوة البحرية اسس السلطة الحاكمة في عمان[١] • غير ان هذه الاسس لم تكن كافية لوحدها لتمكينه من الحكم ، حيث واجهته العديد من التمردات القبلية وبخاصة في الظاهرة والشمال[٢] ، بسبب عداء القبائل الغافرية له[٣] • ولذا وجد نفسه مجبرا على تجنيد جيش من الفرق الأجيرة ، مؤلف من البلوش والعبيد الافارقــة ، وسار على هــذا التطبيق حلفاؤه أيضا[٤] • لقد كانت القبائل الغافرية في حركات تمرد مستمرة ، ولذا فقد أمضى احمد بن سعيد سنوات كثيرة من حكمه في شن حمــلات متواصلة ضدهم وضد حلفائهم القواسم •

اضعفت هذه التطورات من قبضة الامام العماني على مقاطعة الشمال او (السر) ، فساعد ذلك على بدايات قيام الاتحاد القاسمي المستقل في هــذه المنطقــة •

---

(١) J.B. Kelly, A Prevalence of Furies: Tribes, Politics, and Religion in Oman and Trucial Oman, in The Arabian Peninsula, ed. Derk Hopwood, (London, 1971), p. 108.

(٢) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 10.

(٣) Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 407.

(٤) Kelly, Op. Cit., p. 10.

يقول لوريمر أن سيف بن سلطان الثاني ، هو أول من أدخل خدمة المرتزقة ، اذ أسس قوة من البلوش لخدمته ، ولكن تم القضاء عليهــا من قبل منافسه • ونفس هــذه الحقيقة يمكن استنتاجها من نيبور ، اذ انه في معرض نقده لسيف ، يشير الى أنه لم يدفع رواتب جنده ، وهم من العبيد فدفعهم الى ابتزاز رعاياه
Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 406;
Niebuhr, Op. Cit., vol. II, p. 118.

ج ـ المحور الايراني :

شهد مفتتح القرن الثامن عشر ، تزايد انحلال السلالة الصفوية ، وسيرها نحو الانهيار الكامل ، رافقه بطبيعة الحال ، موجات عاصفة من الاضطراب وعدم الاستقرار ، استغرقت العقود الثلاثة من القرن ، تتوج بتمزق البلاد على أثر الغزو الاجنبي ، الافغاني أولا ومن ثم الروسي والعثماني[1] • ومن صميم هذا الاضطراب والتمزق ، برزت شخصية نادر شاه[2] ، الذي قدر له ان يلعب دورا خطيرا لا في تاريخ المنطقة فحسب ، بل امتد تأثيره الى عدد كبير من الشعوب الاخرى • وليس مجالنا التفصيل في حروب نادر شاه ونجاحه ، ليس في استعادة كل الممتلكات الايرانية فقط ، بل انه دفع حدودها الى مناطق واسعة ، حتى وصلت قواته الى دلهي ، وتمكن من خلق قوة عسكرية من أعظم القوى في آسيا ، واصبح يعد بحق « آخر الفاتحين الآسيويين العظام »[3] ، وانما يهمنا هنا انتباهه الى أهمية

---

(١) للتفاصيل ، انظر :
L. Lockhart, Nadir Shah, pp. 1-16.

(٢) ينتسب الى قبيلة الافشار التركية الاصل ، ومن عائلة فقيرة • ولد في خراسان في سنة ١٦٨٨ ، وتحول في حرفته المعاشية من جمّال ، الى قاطع طريق خطر ، واتخذ من القلعة الحصينة (كلات نادرى) ، في خراسان قاعدة لعملياته • وتزايد نفوذه الى حين التحاقه بالشاة طهماسب الثاني في صيف ١٧٢٦ ، وكان السبب الرئيس في تحرير ايران من الغزو الاجنبي • انظر عن حياته الاولى :
Ibid, pp. 17-24; Percy Sykes, A History of Persia, (London, 3rd. Edition, 1958), vol. II, pp. 247-9; Encyclopaedia Britanica, (U.S.A. 1965), vol. 15, p. 1146.
أما لوريمر فيحدد خطأ سنة ١٧٢٧ تاريخ التحاق نادر بطهماسب
Lorimer, Op. Cit., vol. IA, p. 82.

(٣) Sykes, Op. Cit., vol. 11, p. 240.

القوة البحرية لايران • ان نادر شاه هو اول عاهل ايراني في تاريخ ايران الحديث ادرك قيمة الاسطول • فمع ان ايران تمتلك ساحلين مهمين ، الا انها كانت بعيدة كليا عن أي نشاط بحري ، ويشير كيزون الى هذه الحقيقة قائلا[1] :

« لا يمكننا ان نجد في تاريخ العالم قطرا مثل ايران ، يمتلك ساحلين بحريين مهمين ، ويحتل موقعا تجاريا هاما ، وهو في نفس الوقت يجهل تماما اهميتهما ، ولم ينجب في خلال العصور الحديثة بحارا ، أو جهز اسطولا تجاريا ، أو اشتبك في معركة بحرية » •

ويضيف قائلا : « لقد كان الرعب من البحر هو الشائع بين الشعب في هذه البلاد »[2] •

هدف نادر شاه ، من انشاء الاسطول ، تحقيق غايتين ؛ الاولى : المحافظة على الممتلكات الايرانية على سواحل كل من قزوين والخليج ، وممارسة ايران لدور فعال في مياه الاخير ، والثانية : انعاش ثروة ايران عن طريق تشجيع التجارة الخارجية • وهاتان الغايتان لا يمكن تحقيقهما الا بامتلاك بحرية قوية • ولعل أول ما لفت انتباهه الى اهمية الاسطول ، هو انه بعد دحره للافغانيين ، اتجه عدد منهم الى ساحل الخليج ، ومن هناك تمكنوا من الفرار الى مسقط[3] ودفعه تمرد محمد خان البلوشي ، في

(١) George Curzon, Persia and the Persian Question (London, 1892), vol. II, p. 388.

(٢) Ibid, p. 289.

(٣) Laurence Lockhart, The Navy of Nadir Shah, Proceedings of the Iran Society, vol. I, Part I, 9th Dec., 1936, (London), p. 5.

خريف ١٧٣٣ ، وفراره مع عدد من اتباعه الى جزيرة قيس ، بعد فشل التمرد ، الى الاسراع بتنفيذ مشروعه[1] • ففي السنة ذاتها ، وصل القائد لطيف خان الى بندر عباس ، مرسلا من قبل نادر شاه ومزودا برسائل رسمية ، الغاية منها اثبات هويته كأميرال للبحرية الفارسية ، معين من قبل نادر شاه ، ولشراء سفينتين من الوكيلين الهولندي والبريطاني هناك[2] • الا ان الوكيلين رفضا بيعه أية سفينة بل عرضا تقديم العون في شراء سفن للشاه من سورات[3] • كما وافقا على تأجيره اربع سفن ، إثنين انكليزيتين واثنين هولنديتين ، وذلك لإستخدامها في العمليات العسكرية ضد المتمردين في جزيرة قيس • هذا وقد انضمت هذه السفن الاربع الى سفن إخرى قد أعدها الاميرال بمعونة زعماء من العرب ، ابرزهم الشيخ جبارة ، شيخ البحرين[4] • وقد قامت هذه التشكيلة العسكرية بتنفيذ مهمتها بنجاح ، ضد المتمردين في جزيرة قيس في نفس تلك السنة[5] •

استمر لطيف خان في تنفيذ مشروع تكوين اسطول حديث لايران ، حسب مخطط نادر شاه • ففي اواخر ١٧٣٤ اشترى ثلاث سفن اوربية الصنع ، كما حمل الشيخ راشد ، شيخ باسيدو ، على تزويده بسفينتين حربيتين عن طريق الشراء ، في السنة التالية[6] • وقد شكلت تلك السفن

---

(١) Lockhart, The Navy of Nadir Shah, p. 5.

(٢) Ibid, pp. 5-6.

(٣) اشتهرت سورات منذ وقت طويل ببناء السفن المتينة • للتفاصيل ، أنظر :

Milburn, Op. Cit., (London 1813), vol. I, p. 328.

(٤) Lockhart, Op. Cit., p. 6.

(٥) Ibid.

(٦) Ibid, p. 7.

نواة الاسطول الفارسي في الخليج واتخذ ميناء بوشهر ، قاعدة للاسطول الجديد في سنة ١٧٣٤ ، وسمي باسم (بندر النادرية) في الوقت ذاته[1] •

أول عمليات الاسطول الجديد انتهت بالفشل ، ففي نيسان ١٧٣٥ ، حاول لطيف خان مهاجمة البصرة ، مستغلا اضطراب الاوضاع فيها ، بسبب اندلاع القتال بين العثمانيين والقبائل العربية • فاخترق شط العرب ، ولكن الهجوم انتهى بالفشل لمساهمة سفينتين حربيتين بريطانيتين كانتا راسيتين في البصرة، كان الوالي العثماني قد اجبرهما على المشاركة في صد الهجوم[2]•

في خريف ١٧٣٦ ، وافقت الشركة البريطانية على بيع سفينتين ذواتي عشرين مدفعا مصنوعة في سورات[3] • وفي نفس تلك السنة ، بدأ لطيف خان استعداداته لحملة على البحرين ، وقد تألفت القوة المعدة لهذا الغرض من ٤٠٠٠ رجل ، وتحركت الحملة في الربيع ، حينما علم بأن الشيخ جبارة ، شيخ البحرين ، كان يؤدي فريضة الحج[4]• وقد نجحت الحملة، وتم فتح القلعة بسهولة ، وعين الشيخ ناصر ، حاكم بوشهر ، حاكما على البحرين بدلا من الشيخ جبارة ، كما تم تعيينه قائدا لجزء من الاسطول الفارسي في الخليج العربي[5] • وقد دفع نجاح هذه الحملة بنادر شاه الى

---

(١) Lockhart, Nadir Shah, p. 92.

(٢) Lockhart, The Navy of Nadir Shah, p. 8;
أمين ، القوى البحرية ، ص١٣ ــ ١٥ •

(٣) Lockhart, Op. Cit., p. 9.

(٤) Lockhart, Nadir Shah, p. 108.

(٥) Fereydon Adamiyat, Bahrein Islands, A Legaland Diplomatic Study of the British Controversy, (N.Y., 1955), p. 29;
محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القاهرة ، ١٣٤٢هـ) ، ط٢٠ ، ص١١٣ ، ولكن هذا الكتاب لا يمتاز بالدقة ويقع في أخطاء واضحة ، ولـذا يجب الرجوع اليه بحذر •

الشروع بتحقيق هدف طموح أكبر ، وهو احتلال عمان[١] ، من اجل ان يصبح سيد الخليج العربي وخليج عمان ، وتحقيق السيطرة الفارسية في هذه المياه • ولا شك ان هناك سببا آخر دفعه الى حملة عمان ، منها حقيقة كون هذه البلاد ، تنتج عنصرا صلبا من البحارة مفيدين لاسطوله الجديد ، بينما لا يمكن لايران ان تفاخر « الا بعدد قليل ، اذا ما وجد أحد ملائما لهذه الخدمة »[٢] •

تعرض الاسطول الفارسي للضياع ، وفقد الفرس لبعض الوقت سيطرتهم على الخليج ، في سنة ١٧٣٨ ، وكان ذلك نتيجة لتمرد البحارة العرب ، وسيطرتهم على الاسطول بسبب سوء معاملة تقي خان لهم ، الذي اسندت اليه قيادة الاسطول على اثر موت لطيف خان[٣] • وقام المتمردون وحلفاؤهم ، عرب الهولة وعمان ، بمهاجمة باسيدو والبحرين ، وكانت سيطرتهم على البحر واضحة ، بحيث ان التموينات للحامية الفارسية في جلفار ، كانت ترسل آنذاك بسفن انكليزية[٤] • واستغل الشيخ جبارة هذا التمرد ، فأعاد سيطرته على البحرين لبعض الوقت[٥] ، الا ان وقوع الخلاف بين البحارة العرب ، مكن الفرس من استعادة قسم من اسطولهم في نهاية سنة ١٧٣٨[٦] • وفي نهاية كانون الثاني ١٧٣٩ ، وقعت المعركة

---

(١) انظر اعلاه ص٤٥ ــ ٤٨ •

(٢) Miles, Op. Cit., p. 256.

(٣) بسبب وقوع الخلافات بين لطيف خان وتقي خان في خلال الحملة الفارسية على عمان سنة ١٧٣٨ ، قام الثاني بدس السم للاول ، وبذلك فقد الفرس القائد الوحيد القدير للاسطول (Lockhart, Nadir Shar, p. 183.)

(٤) Ibid, pp. 183-4.

(٥) Lockhart, The Navy of Nadir Shah, p. 10.

(٦) Lockhart, Nadir Shah, p. 184.

البحرية بين الفرس والمتمردين ، انتهت باندحار الأخيرين وانسحابهم على أثر مقتل قائدهم[1] .

وقع تمرد آخر في الاسطول ، في أيلول ١٧٤٠ ، وقام البحارة العرب ، بعد ان قتلوا الاميرال ، أمير علي خان ، وكثيرا من ضباطه ، بنقل الاسطول بأجمعه الى خورفكان[2] ، وتقسّم بعد ذلك ووضع تحت قيادة عبد الشيخ وشيخ رحمة Rahma[3] . وقد لجأ الفرس الى الهولنديين ، الذين كانت لديهم سفينتان ذواتا عشرين مدفعا لمساعدتهم على مطاردة المتمردين ، وقد التقوا باسطول عبد الشيخ ، ولكن لم يسفر شيء عن تلك العملية ، اذ تمكن الاخير من الافلات[4] . وبعد ايام قلائل ، وصل الى بندر عباس الاميرال الجديد المدعو محمد تقي خان ، ولكنه كان بدون خبرة كليا ، اذ لم يركب البحر في حياته[5] ، بل انه « لم يكن قد رأى سفينة او بحرا في حياته »[6] وقد لجأ هذا الى الوكيل البريطاني ، طالبا منه بيعه سفينة حربية كبيرة ، كما طلب منه التوسط ، ثم كتب الى البحارة المتمردين طالبا منهم التسليم الى شركة الهند الشرقية . على انه قبل ان ينتظر الجواب ، تمكن من اقناع الهولنديين بتأجيره اثنتين من سفنهم ، وابحر لمهاجمة المتمردين[7] في ٢٣ أيلول . وقد تألفت القوة التي كانت تحت قيادة الاميرال الجديد من سفينة بريطانية وسفينتين هولنديتين وغراب.

---

(١) Lockhart, Nadir Shah, p. 184.

(٢) Lockhart, The Navy, p. 11.

(٣) Selections From State Papers, 1600-1800, p. 54.

(٤) Ibid, pp. 54-55.

(٥) Lockhart, The Navy, p. 11.

(٦) Selections From State Papers, p. 55.

(٧) Lockhart, The Navy, p. 11.

صغير[1] وحوالي عشرين ترانكي[2] ، وجرت مناوشة قصيرة مع العرب ، ارتعب منها الاميرال الى درجة بحيث تراجع في ١٢ تشرين الاول ، بدون ان يحقق أي شيء ، وطارده المتمردون حتى كونك[3] • وعلى الرغم من وقوع خلاف بين الشيخين اللذين تزعما التمرد ، الا ان الفرس لم يتمكنوا من الوصول الى اتفاق معهم[4] •

في اواخر ١٧٤١ ، وصل السردار قردي خان الى بندر عباس وتسلم المسؤولية من الاميرال ، وحمل معه اوامر قاطعة من الشاه بوجوب تقديم الاوربيين كل ما يملكونه من قوة لمساعدة الفرس من اجل استعادة الاسطول[5] • وقد قام في شهر تشرين الاول ، بمصادرة سفينتين

---

(١) يضيف اولاف تورين ، وهو قسيس في احدى سفن شركة الهند الشرقية السويدية ، الغراب بقوله انه « سفينة ذات صاريتين أو ثلاث ، مبنية على طراز سفننا ، بنفس طراز الاشرعة ، الا أن قيدومها منخفض وحاد كما في الغليون Gallies [سفينة حربية شراعية ضخمة ذات مجاذيف ، استعملت في القرن ١٦ و١٧] ، وفي الإمكان تثبيت بعض المدافع عليها ، وتسير بالمجاذيف في حالة سكون الريح ••• تستعمل للقرصنة والتجارة »
Olaf Toreen, Avoyage To Suratte, (London, 1771), p. 205. See also: James Morier, A Journey Through Persia, (London, 1813), p. 8;
أمين ، القوى البحرية ، ص٣١

(٢) نوع من السفن كان يستعمل في الخليج العربي سابقا على نطاق واسع ، وكان يسير بالمجاذيف والاشرعة معا (أمين ، القوى البحرية ، ص٣٢) ، ويصفها نيبور بأنها تشبه برميلا كبيرا ، ليس لها سطح ، ألواحها رقيقة جدا وتبدو كأنها مرتبطة بعضها ببعض فقط بدون أن تطلى بالزفت • مخاطة أجزاؤها بدون استعمال المسامير ، والالواح مربوطة بعضها ببعض الحبال
Niebuhr, Op. Cit., vol. I, p. 239, and vol. II, p. 123.

(٣) [I.O.] Selections from State Papers, p. 55.

(٤) Lockhart, The Navy, p. 11.

(٥) Selections from State Papers, p. 56.

هولنديتين ، أصعد فيها عددا من الجنود ، وتوجه لمهاجمة البحارة المتمردين في جزيرة قيس ، وبعد ان انزل قسما من رجاله ، ظهرت سفن المتمردين ، فنشبت معركة بحرية عنيفة ، اسفرت عن جرح السردار وموته ، وتراجع الفرس عن القتال ، تاركين القوات التي سبق انزالها تواجه قدرها[1] .

حاول نادر شاه ، في ذلك الوقت . تنفيذ مشروع جديد ، هو بناء السفن في (بوشهر)[2] . وبسبب عدم توفر الخشب اللازم في منطقة الساحل ، خطط نادر لجلب الخشب من شمال ايران . وبتضحيات جسيمة في الارواح البشرية ، جرى نقل الخشب عبر ايران ، من غابات مازندران ، التي تقع على بعد ٦٠٠ ميل[3] . ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح ، وكانت النتائج الوحيدة له ، بقايا سفينة غير منجزة كان بالامكان رؤيتها على ساحل بوشهر ، في فترة مبكرة من القرن التاسع عشر[4] . على ان نادر نجح عن طريق الشراء والهدايا والمصادرة ، في امتلاك اسطول كبير[5] ، كما تم بالتدريج اخضاع البحارة المتمردين واستعادة السفن منهم . وفي شهر شباط ١٧٤٥ ، كتب الوكيل البريطاني في بندر عباس الى لندن ، يقول بأن الشاه يمتلك حاليا ثلاثين سفينة ، الى جانب عدد كبير

---

(١) Lockhart, The Navy, pp. 11-12.

(٢) Ibid, p. 12.

(٣) Miles, Op. Cit., p. 255; Sykes, Op. Cit., vol. II, p. 272.

(٤) Curzon, Op. Cit., vol. II, p. 392.

(٥) تمكن تقي خان عن طريق الشراء من الحصول على سفينةفرنسية في بوشهر . واشترى نادر أربع سفن من سورات في ١٧٤٢ ، كما أن امام مسقط ، في احدى فترات علاقاته الودية ، قدم لنادر سفينتين ، احداهما ذات ٦٤ مدفعا
Lockhart, The Navy, p. 13.

من السفن الصغيرة ؛ ومضى الوكيل قائلا[1] : « ... يبدو ان جلالته [نادر] لا يزال على تصميمه لامتلاك اسطول كبير لتعزيز مشروعه التجاري الذي وضعه مؤخرا ، كما أمر بالحصول على سفينتين سنويا ... » .

أهمل الاسطول في سنوات حكم نادر الاخيرة بسبب انشغاله بالحرب التركية (١٧٤٢ ـ ١٧٤٥)[2] ، واندلاع الثورات ، التي كانت احد الظواهر التي ميزت سنواته الاخيرة ، بسبب قساوته التي لا تعرف الحدود[3] . وحين اغتياله في حزيران ١٧٤٧[4] ، كانت عدة سفن قد تحولت الى حطام ، والباقي أصبح اقل صلاحية للملاحة وغير فعالة بمرور الوقت[5] .

نخلص الى القول ، بأن جهود نادر شاه لتحويل ايران الى دولة بحرية ذات اسطول قوي ، تمارس به دورا مهما في الخليج العربي ، لم تحقق نجاحا الا لفترة محدودة جدا . ففي غضون سنوات قلائل ، لم يكن في مقدور حاكم قوي كنادر ، بالرغم من جبروته « ان يحول الى بحارة ، شعبا لم يكن آنذاك ، لا من حيث الميول ولا بالمران ، ذا ذهنية ملاحية »[6] . ولذلك كان عليه ان يعتمد لتسيير الاسطول على العرب وبدرجة أقل على البلوش والهنود ، ولم يكن اي من هؤلاء يكن الولاء له او لايران ، ولعل هذا هو حد الاسباب الاساسية الذي يوضح سبب عدم تحقيق مشروعه

(١) Quoted in: Lockhart, The Navy, pp. 13-14.

(٢) عن هذه الحرب انظر : Lockhart, Nadir Shah, pp. 246-256.

(٣) للتفاصيل انظر : Ibid, pp. 238-245, 257-261.

(٤) Ibid, pp. 262-3; Sykes, Op. Cit., vol. II, pp. 272-3.

(٥) Lockhart, The Navy p. 14.

(٦) Lockhart, Nadir Shah, p. 222.

الكبير نجاحا طويلا[1] • وشكل اغتيال نادر ، علامة البداية لتدهور القـوة البحرية الفارسية ، ضاعف منه التقدم المطرد في قوة القبائل العربية علي كلا ساحلي الخليج ، وبروز قوى عربية جديدة على المسرح[2] • فعند وفاته ، كان الاسطول موزعا بين مينائي بندر عباس وبو شهر ؛ الاول في بندر عباس بقيادة ضابط عربي يدعى مـلا علي شاه ، والثاني بقيادة قائـد عربي آخر[3] ، هو الشيخ ناصر حاكم بوشـهر • ان لهذا الامـر أهمية خاصة بالنسبة الى هذا البحث ، ففي وسط الفوضى والحروب الاهلية التي مزقت ايران ثر الاغتيال[4] ، « عمد كل من شيخ بوشهر وملا علي شاه الى الاستحواذ على ما بأمرته من السفن واستخدامها لتحقيق اغراضه الخاصة ، وذلك بمحاربـة بقية القبائل العربية وتقويـة نفـوذه في المنطقة »[5] • وقد ساعد تحالف ملا علي شاه مـع القواسم على تعزيز القـوة البحريـة والنفوذ لهذه القوة البارزة •

(١) Lockhart, Nadir Shah, p. 222.

(٢) Adamiyat, Op. Cit., p. 30.

(٣) د • أمير ، القوى البحرية ، ص٢١ •

(٤) عن حالة الفوضى التي أعقبت الاغتيال ، انظر :

Malcolm, The History of Persia, vol. II, pp. 108-114; Sykes, Op. Cit., vol. II, pp. 275-77; Lockhart, Nadir Shah, pp. 263-5.

(٥) أمين ، القوى البحرية ، ص٢٢ •

الفصل الثاني

نشوء وتطور القواسم ودورهم في الخليج حتى دخولهم في التبعية الوهابية

١٧٤٧ ـ ١٨٠٠

اولا ـ آراء في أصل القواسم وتسميتهم :

اطلقت تسمية قواسم او (جواسم) بشـكل عام على كل القبـائل القاطنة في المنطقة الواقعـة ما بين رأس مسندم شمالا و (أبو ظبي) جنوبا ، التي كانت في خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الاولين من القرن التاسع عشر ، تتبع في ولائهـا لشيخ القواسم ومقره في رأس الخيمـة •

ان الغموض يكتنف كلا من الاصل والتسـمية للقواسـم • حيث ان هناك العديد من الآراء المتضاربة حول النقطتين السالفتين • فهناك جمهرة من المؤرخين تعتبر القواسم من اصل نجدي سكنت جهات (السر) في بـلاد عمان ، وكانت قبيلة متميزة منذ القدم[١] • ويشير ابن غنام ضمنا الى الاصل

(١) S.R.B.G. No. XXIV, p. 300, 'F. Warden, Shetch of the Joasmee tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819; James Grant, Cassell's Illustrated History of India, (London, 1876/77), Vol. I, p. 550; Edward Balfour, The Cyclopaedia of India and Eastern and Southern Asia, (London, Third Edition, 1885), Vol. III, p. 22.

ومن نفس هذا الرأي صاحب لمع الشهاب وروبرت تايلر ، اذ يعتبرونهم من الغافرية ومن أصل نزارى ، انظر : لمع الشهاب ، ص١٥٢ ؛

S.R.B.G. No. XXIV, p. 7, 'R. Taylor, Extracts from Brief Notes containing historical and other informations connected with the province of Oman;

ويتفق بكنغهام في ان هذه القبيلة استوطنت المنطقة منذ فترة بعيدة جدا

J.S. Buckingham, Travels in Assyria, Media, and Persia, (London, second edition, 1830), Vol. II, p. 210.

النجدي للقبيلة ، فيقول : « ... القواسم وهم عرب من آل الظفير »[1] . وتعتبر طائفة اخرى من الكتاب القواسم فرع من عرب الهولة التي تقطن الساحل الشرقي من الخليج[2] ، ومن هؤلاء الرحالة الشهير نيبور ؛ ففي تعداده لشيوخ الهولة يذكر « شيخ السر ، لكونه اصلا من هـذه البلاد [الساحل الشرقي] ، فانه يمتلك في المنطقة المجاورة لكمبرون مدن كونك ولنجة ... »[3] . ويتفق مع نيبور في ذلك المؤرخ العماني ابن رزيق ، فنراه يطلق على زعماء القواسم لقب الهولي[4] . ويذهب مايلز ، الخبير في شؤون عمان – شغل منصب الوكيل السياسي والقنصل في مسقط (١٨٧٢–١٨٨٦) – الى نفس هذا الرأي أيضا ، ولكنه يضيف الى ذلك قوله « انهم [القواسم]

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد (روضة الافكار والافهام) ، حرّره وحققه ناصرالدين الاسد ، (مصر : مطبعة المدني ، ١٣٨١/ ١٩٦١) ، ص١٨٨ – ١٨٩ . و (الظفير) قبيلة نجدية معروفة ، انظر عنها : الشيخ محمد البسام ، الدر المفاخر في أخبار العرب الاواخر ، مخطوط – المتحف البريطاني – ورقة ٣٧ .

(٢) (الهولة) اسم عام جدا أطلق في ذلك الوقت على جميع القبائل القاطنة بين بندر عباس وبوشهر وبعض أجزاء اخرى من الخليج . كانت البحرين معقلهم الرئيس . اشتهروا بين جيرانهم بالشجاعة ، ويقول نيبور « لو أمكن توحيد قواهم [الهولة] في عمل ، لاصبح بامكانهم بسهولة أن يفتحوا جميع المدن الواقعة على الخليج » . وقد شهد منتصف القرن الثامن عشر نشاطا واسعا لهم . على أن هذه القبائل ، فقدت غريزتها القتالية وكل تنظيماتها القبلية في خلال القرن التاسع عشر .

Nibuhr, Op. Cit., ol. II, pp. 143-4; Amin, Op. Cit., note 6, pp. 27-8.

(٣) Nibuhr, Op. Cit., Vol. II, p. 144.

(٤) Badger, Op. Cit., pp. XLV 111, 110, 179, 239, 320.

سموا على اسم الشيخ قاسم ، جد الشيخ المشهور راشد بن مطر »[١] ولكن مايلز يكتفي بذلك بدون ان يعين الفترة التي ظهر فيها هذا الشيخ • كما اننا لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على ايضاحات اكثر مما ورد في رواية مايلـز •

وهناك رأي آخر يشير الى انهم جاءوا من سيراف (تاهيري)[٢] الواقعة على الساحل الشرقي، على اثر تدهور هذا المركز التجاري القديم• وعلى ذلك ، فان قسما من هؤلاء المهاجرين استقروا في صور الواقعة على ساحل عمان ، وآخرون في مسقط ، وفريقاً ثالثا استقر في مقاطعة (السر) عند رأس الخيمة[٣] • اما مريزي[٤] فان رأيه يناقض الآراء القائلة بنزوح القواسم من الساحل الفارسي ، اذ انه يعتبر انهم تحدروا من زعيم يدعى

---

(١) Miles, Op. Cit., pp. 269, 439.

(٢) كانت سيراف في القرن الثاني عشر تبرز في مقدمة المراكز التجارية في الخليج العربي ، وأصبحت في القرن الثالث عشر ، المركز الرئيس لفارس • وبعد ذلك تحول الازدهار الى جزيرة قيس التي تقع الى شرقها ، وقد تدهور هذا المركز الاخير لمصلحة هرمز في حوالي القرن الرابع عشر • للتفاصيل انظر :
Wilson, Op. Cit., p. 10, and pp. 92-6.

(٣) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 18.

(٤) طبيب ايطالي من مدينة روما ، عمل فترة في أجزاء مختلفة من الشرق قبل أن ينتقل الى خدمة السيد سعيد ، سلطان مسقط ، حيث تسمى باسم الشيخ منصور وعين قائدا لقواته في حملاته على القواسم في ١٨٠٩ ــ ١٨١٠ ، وقد ألف كتابا عن حياة سيد سعيد ضمنه بيانا مختصرا عن قبائل الخليج وخاصة الوهابية ، وترجم كتابه المخطوط الى الانكليزية وطبع في سنة ١٩١٩ :
Shaik Mansur, History of Seyd Said, Sultan of Muscat, together with an account of the Countries and People of the shores of the Persian Gulf, Particularly of the Wahabees, translated from the Original Italian M.S., (London, 1819).

غيانم ، مؤسس مدينة رأس الخيمة[1] ، ويردف قائلا[2] :

« ترك غياشم ذرية كبيرة ، استفادوا من ميزات موقعهم ، فأصبحوا في خلال اجيال قليلة قبيلة كبيرة ، وعندما وجـدوا بأن ممتلكاتهم غـير كافية لاعالتهم ، عبروا الخليج ، وأسسوا مستوطنات لهم على ساحل فارس ، وبنوا مدنا مزدهرة هي خرج ولنجة ولافت ، الى جانب كثير من القرى[3] ، التي شكل سكانها دولة واحدة مع اقربائهم على الجانب الآخر من الخليج ، كما لا يزالون يحملون التسمية الاصلية [اي الغياشم] » .

كما يذهب آخرون الى ابعد من هذا ، اذ اعتبروهم قسما من القبائل العربية التي كانت تقطـن العراق ، ثم هاجرت الى (السـر) عن طريق الساحل الشرقي من الخليج[4] .

---

(١) « ثبت خيمته على نقطة من الارض تعلو قليلا عن ساحل البحر ، والتي كانت ظاهرة للسفن المارة ، فسمى البحارة المكان (رأس الخيمة) . وبمرور الزمن بنيت مدينة ، فانتقل لها الاسـم الاصلي » Ibid, pp. 31-32, see also: Low, Op. Cit., Vol. I, p. 312. أما ولستد فيورد رواية مختلفة لتسمية هذه المدينة فيقول « ان الولي جواسمي أقام على لسان منخفض من الارض ، ومن خيام اتباعه التي نصبت حول المكان جاء أسم رأس الخيمة » .

J.R. Wellsted, Travels in Arabia, (London, 1838), Vol. I, pp. 56-7.

(٢) Shaik Mansur, Op. Cit., p. 32.

(٣) مما يؤيد تبعية هذه الاجزاء لشيخ القواسم ، قول كيرزن : « لاجيال كانت حكومة لنجة والجزر القريبة من الساحل متوارثة لشيخ هذه القبيلة ... »

Curzon, Op. Cit., Vol. II, p. 409.

(٤) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 18;

د . سيد نوفل ، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن=

ولعل من الطريف ان نذكر الرواية الاسطورية التي سجلها مالكولم على لسان مرافقه العربي في بعثه الاولى الى مسقط وايران سنة ١٨٠٠ ، ونلخصها كالآتي[1] :

« ان صيادا من الساحل الفارسي سحب بشبكته مخلوقا يغطيه الشعر قام بتربيته • ولم يكن هذا المخلوق يعرف الكلام ، فكل ما كان ينطقه هو (هول هول) • فسمي بهذا الاسم (هول) ؛ وكان يرعى ماشية القرية حينما هاجمها مائة فارس ايراني لنهبها • ولكنه تصدى لهم صارعا نصفهم ففر الباقون رعبا • فاعجب اهل القرية بشجاعته وزوجوه احدى بناتهم • ونتيجة لهذا الزواج ولد لـه اربعة ابناء ، منهم جاسم ، الـذي تحدرت منه قبيلـة (الجواسم) والذين يطلق عليهم ايضا لقب (بنو الهول) • وقد اعتمدوا في كسب عيشهم على البحر فكانوا صيادين وبحارة وقراصنة » •

لا نريد هنا ان نناقش هذه الرواية ، اذ ان طابعها غير المنطقي ينفي عنها كل طبيعة واقعية • على انها من ناحية اخرى تتفق مع آراء الفئة القائلة بأن القواسم هم من جملة القبائل العربية التي قطنت الساحل الشرقي من الخليج العربي •

= العربي ، (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص٢٥٣ ؛ مصطفى مراد الدباغ ، جزيرة العرب ، موطن العرب ومهد الاسلام ، (بيروت ، ١٩٦٣) ؛ عبدالقادر زلوم ، عمان والامارات السبع ، (بيروت ، ١٩٦٣) ص٩٣ •

(١) John Malcolm, Sketches of Persia, from the Journal of a Traveller in the East, (London, New Edition), Vol. I, pp. 28-30.

مهما اختلفت الآراء وتضاربت في اصل القواسم في تاريخهم القديم ، والذي هو خارج صدد بحثنا ، فان التسمية (القواسم) اصبحت متعارفة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر • وتشير المصادر الحديثة الى انهم مجموعة من القبائل دانت بالولاء الى الاسرة الحاكمة في رأس الخيمة والشارقة ، مكونة اتحادا قبليا ظل قائماً حتى انهياره على اثر الحملة البريطانية الكبرى على موانيء القواسم في ١٨١٩ – ١٨٢٠ • يقول لوريمر عن القواسم[١] « هم الاسرة التي ينتمي اليها شيخ الشارقة واقاربه ، وهم يدعون بانهم شرفاء[٢] تحدروا من ارومة النبي محمد (ص) » • ويضيف الى ذلك بأن عددهم في مطلع القرن العشرين يبلغ « ثمانية عشر ذكرا راشدا فقط ، خمسة منهم في مدينة الشارقة، بضمنهم الشيخ نفسه ، وثمانية في رأس الخيمة •• واثنان في عجمان •• وثلاثة في الحمرية •• »[٣] • ويتفق مع لوريمر كل من هاولي[٤] وفيلبس ، ويقول الاخير[٥] : « ان قبيلة (القواسم) الشاملة ، كما يفترض بعض الكتاب ، ليس لها وجود حقيقي • وان اعضاء عائلة شيخ الشارقة والذين يعدون في الوقت الحاضر بعشرين ذكرا راشدا هم فقط قواسم بدمائهم » • وعلى كل فاننا نجد في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، ان جميع القبائل القاطنة في (ساحل عمان) ، قد نسبت الى القواسم في السجلات البريطانية[٦] ، مما

---

(١) Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, p. 1547.

(٢) يؤكد دكسن على أن القواسم قبيلة شريفة ، انظر :
H.R.P. Dickson,
Kuwait and her Neighbours, (London, 1956), pp. 83, 103.

(٣) Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, p. 1547.

(٤) Hawley, Op. Cit., p. 91.

(٥) Phillips, Oman, A History, (London, 1967), p. 113.

(٦) حتى ان علم الهدنة الذي فرضه البريطانيون على القبائل =

يدل على اتساع نفوذ هذه الاسرة وهيمنتها على هذه المنطقة وعلى اجزاء هامة من الساحل الشرقي المقابل ايضا • ومهما يكن من خلاف حول أصل القواسم ، فان المؤرخين يتفقون على انهم برزوا كقوة مهمة منذ أواسط القرن الثامن عشر ، وأخذ نفوذهم بالتزايد بمرور الوقت ، حتى انهيار اتحادهم في اوائل سنة ١٨٢٠ •

ثانيا ـ الاتحاد القاسمي وطبيعته :

يكتنف الغموض بدايات نشأة الاتحاد القاسمي وأسماء زعمائه الاوائل • الا اننا نرى من الروايات التي بين أيدينا بالرغم من قلتها ، ومن توزيع القبائل في المنطقة ، ان الاتحاد القاسمي كان مؤلفا بالشكل الآتي : غالبية السكان في رأس الخيمة ، وهي الميناء الرئيس للقواسم ، كانت تنتمي الى (الخواطر)[1] وهم فرع من القسم الجنوبي من قبيلة (نعيم)[2] التي يقيم قسمها الاكبر في (الظاهرة) • وفي الشارقة ، وهي ثاني موانيء

= البحرية في (ساحل عمان) بعد حملة ١٨١٩ ، عرف باسم العلم القاسمي • انظر :
Lorimer, Op. Cit., ol. IIB, pp. 1547-8.

(١) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 18.

(٢) تتألف (نعيم) في الاصل من ثلاثة فروع رئيسة هي : البو خريبان والخواطر والبو شامس
J. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964), p. 47.

ويقدر عدد النعيم بحوالي عشرين ألف غالبيتهم من البدو • انظر : كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق د • أحمد مصطفى ابو حاكمه ، (بيروت ،؟) ، ص١٦٧ •

القواسم ، فان الغالبية هم من بني قتب[1] • وسكان (جزيرة الحمرا) وام القيوين ، التي تقع بين المينائين اعلاه ، والذين هم من رعايا شيوخ القواسم ، فغالبيتهم من قبائل (زعاب) و (العلي)[2] • وفي عجمان التي كانت متحالفة مع القواسم ، فالسيطرة فيها بيد فرع من (البو خريبان)[3] • كما كانت رامس[4] ، وهي ميناء (الشحوح)[5] متحالفة

---

(۱) بنو قتب قبيلة كبيرة تنتشر على منطقة واسعة من سلطنة عمان والساحل المتصالح ، وتمتد حتى الظاهرة ، قسم كبير منها من البدو ، وتتفرع الى ثمانية فروع • للتفاصيل :
Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1558-9.

(۲) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 18.

يوجد قسم من قبيلة زعاب في سلطنة عمان أيضا • ويقدر عدد افرادها ب ۳٫۵۰۰ نسمة في (الساحل المتصالح) و ۱٫۵۰۰ في سلطنة عمان

Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, p. 1936

أما (العلي) فان قسمها الاكبر مستقر في المدن ، والقسم البدوي منها مؤلف من ١٤٠ عائلة تتردد في المنطقة الواقعة بين أم القيوين وجزيرة الحمرا وتتوغل في الداخل حتى (أفلاج العلي) • بعض المصادر تربط بينها وبين قبيلة (بنو بو علي) في سلطة عمان ،

Ibid, Vol. IIA, p. 62, Hawley, Op. Cit., p. 292.

(۳) Kelley, Op. Cit., p. 18.

(٤) رامس ، مدينة تقع على بعد حوالي سبعة أميال شمال شرقي رأس الخيمة ، تقوم فيها أبراج للدفاع ، وفيها خليج يعترض مدخله حاجز دفاعي ، وهي مأوى جيد للسفن •

(٥) الشحوح ، قبيلة بدائية غريبة متنقلة لا يعرف أصلها ، ومن المحتمل انها من أصل حامي ، يعيش معظم افرادها في حفر=

مع القواسم(١) وفي التلال الواقعة الى الخلف، نجد (المزاريع)(٢) و(الحبوس)(٣)٠

= محفورة في الارض أو في الكهوف الجبلية
(K.G. Fenelon, The Trucial States, A Brief Economic Survey, (Beirut, 1967), p. 71

ويتميز الشحوح عن جميع من حولهم ببشرة فاتحة وشعر أشقر وعيون زرق كالاوربيين
(Buckingham, Op. Cit., vol. II, p. 355)

ويتكلمون لغة هي في واقعها لهجة عربية ، ولكن عزلتهم حولتها الى نوع من البربرية ، بحيث ان غريبا من عمان نفسها ، لا يمكنه أن يفهمها بدون مترجم ، وأطلق عليها مرافق بلگريف العربي اسم (لسان الطيور) وأعلن بانه يفهم بصعوبة كلمة واحدة من عشر
(W.G. Palgrave, A Narrative of a year Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-63, (London, 1865), Vil. II, p. 315)

أهم مدنهم الواقعة على الساحل ، بين رأس الخيمة ، ورأس مسندم ، هي شعم وخصب وجعدى ، وكل منها أعطت اسمها الى اقرب نتوء
(Buckingham, Op. Cit., Vol. II, p. 355)

يقدر المجموع الكلي للشحوح بحوالي ٢١٫٥٠٠ نسمة ، منهم ١٤٫٥٠٠ يعيشون على الساحل ، والباقون في الداخل
Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1005-10.

(١) Kelly, Op. Cit., p. 18.

(٢) تنتشر قبيلة المزاريع في (ساحل عمان) وسلطنة عمان ٠ غالبيتها تقطن في منطقة (أبو ظبي) ، ويوجد بعضهم في (دبي) وقسم منهم رعايا لشيخ الشارقة القاسمي ، ويقطنون في وادي حام وفي رأس الخيمة
(Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, p. 1204).

(٣) الحبوس ، قبيلة من أصل يمني ، تتفرع الى خمسة عشر فرعا
(Ibid, Vol. IIA, pp. 594-6).

أما القبائل البدوية الرئيسة في اتحاد القواسم ، فهي (بنو قتب) و (الغفلة)[1] •

ان السلطة التي مارسها الشيوخ القواسم على جميع هذه القبائل لم تكن مطلقة ؛ فعلى الرغم من ان الشيخ الاعلى كانت له السلطة العليا ، الا انه كان لكل من الموانىء المهمة شيخها الذي يمارس الحكم وفق الاسلوب القبلي ، ويدين بالولاء للشيخ الاكبر • وتتم مناقشة القضايا الخطيرة بانعقاد مجلس كبير يرأسه الشيخ الاعلى ويضم الشيوخ التابعين وكبار رجال القبائل ، وفيه تقرر الحلول للقضايا موضوعة البحث[2] كما ان هناك قيداً آخر يحول دون استبدادية الشيخ ، يتمثل في العادات القبلية المتعارف عليها ، والتي يتحتم على الشيخ الاكبر مراعاتها لابقاء ولاء القبائل التابعة له • وتتمثل بالحكمة والشجاعة والكرم • كما كان عليه ان يسلك سياسة مرنة تجاه القبائل البدوية الموالية خشية من تغيير ولائها • وتكمن قوة الشيخ القاسمي في سيطرته على النواحي الاقتصادية والعسكرية • فهو المهيمن على المراكز التجارية الهامة في المنطقة ، التي هي مصدر الرزق للسكان ، ناهيك عن امتلاكه لقوة ضاربة في البر والبحر بالنسبة لاتباعه • كل تلك الامور ، مكنت الشيخ القاسمي من السيادة على المنطقة بكاملها •

تمتد منطقة نفوذ الشيخ القاسمي في الفترة موضوعة الدراسة ، من رأس مسندم الى دبي • وأهم الموانىء التابعة له هي رأس الخيمة ، قاعدة الحكم ، والشارقة[3] ، التي تقع على مسافة بضعة اميال الى الجنوب ،

---

(١) Kelly, Op. Cit., p. 18.

(٢) انظر على سبيل المثال ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ عن اجتماع الشيخ القاسمي بمستشاريه لمناقشة الموقف الواجب اتخاذه من مطالب بروس في حملته البحرية سنة ١٨١٦ •

(٣) وتلفظ (شارجة) أيضا • من أهم مدن (ساحل عمان) • تبعد حوالى خمسة اميال من عجمان وسبعة أميال عن دبي ، وحوالى =

وهي ثانية الموانيء الرئيسة في اتحادهم • كما تعترف بالسيادة القاسمية كل من الموانيء التالية : جزيرة الحمرا[1] ، وام القيوين[2] ، والحمريـة[3] وعجمان[4] • وعند دبي تتوقف سلطة القواسم ، وتبدأ سلطة بني ياس[5] ،

= مائة ميل عن رأس مسندم • تقوم المدينة على طول الساحل الشرقي لخليـج صغير يوازى البحـر • ومدخل الخليج يبعد حوالي الميل شمال شرق وسط المدينة • ولا يزيد ارتفاع الماء فوق الحاجز الموضوع عند مدخله على قدم أو قدمين في حالـة المد المنخفض • وبامكان القوارب المرور من جانب الى آخر ، في حالة المد المرتفع • يحيطها سور تقوم عليه العديد من الابـراج الدفاعية •

(Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1761-2, Balgrave, Op. Cit., Vol. II, p. 301).

(١) وتدعى أيضا جزيرة الزعاب ، تبعد اثني عشر ميلا جنوب غرب رأس الخيمة • طولها حوالي الميلين ، وهي توازي الساحل ، والخليج بين الجزيرة والساحل ، ضحل غالبية سكانها من قبيلة زعـاب (Lorimer, Op. Cit., Vol. IIA, pp. 622-3).

(٢) يقول بلگريف انه يعتقـد ان ام القيوين هـي تحريف (ام الاخوين) • Balgrave, Op. Cit., p. 303.

(٣) تبعد ثمانية أميال جنوب غرب ام القيوين وستة أميال شمال شرق مدينة عجمان • وتقوم على الجانب الشمالي من خليـج صغير • محصنة بقلعة مشادة على الساحل تعلوها عدة أبراج • معظم سكانها من النعيم وعدد قليل من قبيلة طنيج

(Lorimer, Op. Cit., Vol. IIA, p. 623).

(٤) تبعد خمسة أميال شمال شرق مدينة الشارقة ، وتقوم على الجانب الجنوبي من مدخل خليج صغير ، وهناك حاجز رملي ترتفع المياه فوقه في حالة المد ، خمسة أقدام • سكانها مـن النعيم وألبو مهير وعدد من أفراد قبائل أخرى أصغر •

(Ibid, Vol. IIA, pp. 52-3).

(٥) ان بني ياس ليسوا قبيلة واحدة مدمجة ، ولكنها تتألف من =

وهو الاتحاد الثاني الرئيس في (ساحل عمان)[١] •

يبدو ان قوة القواسم بلغت في بعض الفترات درجة بحيث لا يستبعد ان يكونوا قد اخضعوا بني ياس • وذلك حسب ما أورده البسام في كتابه ، حيث يقول : « فأما بوادي عمان فمنهم بني ياس تبع القواسم »[٢] ويؤكد ذلك في موضع آخر قائلا : « ••• بني ياس هم تبع للقواسم اهل رأس الخيمة »[٣] ويضيف « ••• واما من حد الباطنة الى قطر هذا متعلق أمره بيد القواسم المشهورين »[٤] • كما ان البحارنة يؤكد ذلك بقوله « ان الامارات السبع الحالية (للساحل المتصالح) ، لم تكن لتزيد عن كونها مدنا

= حوالى عشرين فرعا مختلفا ، كبيرا وصغيرا ، منتشرة من قرب (قطر) الى شبه جزيرة مسندم • القسم الاكبر من القبيلة يقيم في (ابو ظبي) والمنطقة المحيطة بها ، وفي (الظافرة) وهي المنطقة الواقعة الى الغرب • تمتلك السلطة قبيلة (البو فلاح) وهي واحدة من أصغر الاقسام ، وأكبر أقسامها : الحوامل والمحاربة والبو فلاش والبو مهير والكبيسات والرميضات والرواشد والمزاريع والمشاغين ، والقسمان الاخيران هما جميعا من البدو تقريبا • ان مقر سلطة بني ياس في (أبو ظبي) ومصدر قوتهم يختلف عن مصدر قوة شيخ القواسم ، ذلك ان مصدر قوة الاخير بحرية ، أما هم فمصدر قوتهم برية • امتدت سلطة بني ياس شمالا على طول الساحل الى دبي ، وشرقا الى البريمي • انظر :

Kelly, Britain and the Persian Gulf, pp. 21-22, also, same auther, Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964), pp. 36-7.

(١) Kelley, Britain and the Persian Gulf, pp. 20-21.

(٢) البسام ، المصدر السابق ، ورقة ٣٨ •

(٣) نفس المصدر ورقة ٣٩ •

(٤) نفس المصدر ، ورقة ٣٨ •

صغيرة تسكنها قبائل عربية متنوعة ، تعترف بسلطان القبيلة الاكبر ، القواسم »[١] • ولا يقتصر نفوذ الشيخ القاسمي على المنطقة المشار اليها اعلاه ، بل يمتد الى الجهة المقابلة من الخليج فيشمل مناطق كونك[٢] ولنجة[٣] وجزء من جزيرة قشم[٤] •

---

(١) Albaharna Op. Cit., p. 25.

(٢) مدينة ساحلية تبعد حوالي أربعة أميال شمال شرق مدينة لنجة ، تقع على ساحل رملي • وفي نهايتها الغربية يقوم حصن تحيطه المياه في حالة المد • كانت من المدن الهامة وزاولت نشاطا اقتصاديا مهما

(Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1040-1)

(٣) لنجة مدينة مهمة تمتد حوالي الميل على طول الساحل • ذات مرسى يبلغ عمقه خمس قامات fathoms يبعد ثلاثة أرباع الميل من الساحل • معظم سكانها من العرب الذين هاجروا اليها من (ساحل عمان) غالبيتهم سنيون وهابيون • وهي احدى المراكز الرئيسة لتصدير اللؤلؤ •

(Ibid, IIB, pp. 1097-8) وكانت لنجة أحد مراكز القواسم المهمة ، وظلت تحكم من قبل شيخ قاسمي حتى سنة ١٨٨٧ ، حين جرى وضع حاكم فارسي عليها •

(H.J. Whigham, the Persian Problem, (London, 1903), p. 47).

(٤) أكبر جزر الخليج • يبلغ طولها ستين ميلا ويبلغ عرضها عشرين ميلا تقريبا في أوسع نقاطها — من قرب لافت في الشمال الى قرب انكار في الجنوب — ، يطلق عليها العرب اسم (الجزيرة الطويلة) • يفصلها عن البر الايراني مضيق صالح للملاحة يبلغ عرضه حوالي خمسة أميال • والى الشمال الشرقي منها تقع جزيرة هرمز ، وفي الطرف الثاني جزيرة لارك • دعاها البرتغاليون باسم (كاكسمو (Queixomo) والانكليز باسم (كسمس (Kismis)) وهذا الاسم جاءها من انتاجها لعنب ذى حبات صغيرة بدون نواة يدعى (كشمش) ، ولعل الاسم =

وعلى ما تقدم ، فان القواسم في خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كانوا قد وطدوا أقدامهم في المناطق المشار اليها اعلاه ، واخذت قوتهم بالنمو والازدهار . ويصف نيبور قوة الشيخ القاسمي في خلال العقد السابع من القرن الثامن عشر قائلا[1] « يشتهر أمير السر باعتباره من القوى البحرية المهمة في هذه الانحاء ، ويشتغل اتباعه بالملاحة ويمارسون تجارة واسعة » .

ثالثا ــ البيئة وتأثيراتها في حياة القواسم :

استوطن القواسم جزءا مهما من الساحل المعروف باسم (الساحل المتهادن)[2].

= جاءها من مدينة صغيرة تدعى(قاسم Kassim) .

انظر :

Buckingham, Op. Cit., Vol. II, pp. 361-3 367-8, Niebuhr, Op. Cit., Vol. II, pp. 117, 141, and Shaik Mansur, Op. Cit., pp. 31-2.

(١) Niebuhr, Op. Cit., Vol. II, p. 124.

(٢) عرف باسم (الساحل المتهادن) منذ سنة ١٨٥٣ ، على أثر توقيع معاهدة السلم الدائمية بين شيوخ ذلك الساحل وبريطانيا . انظر :

F.R.C. Bagley, Egypt and the Eastern Arab Countries, in the Muslim World, Part III, (Leiden, 1969), p. 94, Sanger, Op. Cit., p. 172.

وكان يسمى في الفترة موضوعة الدراسة في السجلات البريطانية باسم (ساحل القرصنة) ، وقد اطلق الاسم الاخير في البداية على الساحل الممتد من رامس في الشمال الى دبي في الجنوب ، ثم استخدم هذا الاسم لوصف جميع الساحل حتى شبه جزيرة قطر . انظر :

S.R.B.G. No. XXIV, p. 545, 'Capt. G.B. Brucks, Memoir Descriptive of the Navigation of the Gulf of Persia'.

والـذي كان يسـمى سـابقـا باسـم (الشـمال)[1] او (السـر)[2] •
والذي يمتد على طول الخليج مسافة حوالي ١٣٠ ميلا ، ويبدأ من مدخل الخليج[3] عند رأس مسندم ، متجها جنوبا بغرب ، حتى ينتهي بالقرب من شبه جزيرة قطر • ان رأس مسندم في الواقع ، هو طرف شبه الجزيرة الجبلية المعروفة (برؤوس الجبال) • وهـذه الاخيرة عبارة عن كتلة من الجبال والقمم الحادة الوعرة التي ترتفع بحدة من سطح البحر الى علو

---

(١) للدلالة على كونه المقاطعة الشمالية لعمان •

(٢) السر أو (الصير) في الاصل اسم لمقاطعة ساحلية تمتد مسافة حوالي اثني عشر ميلا ، من جنوب رامس بحوالي الميلين أو الثلاثة الى حوالي سبعة أميال جنوب رأس الخيمة • يحدها شرقا كتلة جبال عمان Oman Promontory التي تقع على بعد حوالى الستة أميال من الساحل ، ويحدها البحر من الغرب ، شمال رأس الخيمة • في الكتب القديمة والسجلات البريطانية ، فأن جميع مقاطعة رأس الخيمة تدعى الصير أو جلفار

(Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1825-6)

ويقـدر جسني مساحة هذه المقاطعة بحوالي ٦٠٫٠٠٠ ميلا مربعا وعدد سكانها بحوالي ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة

Chesney, The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, (London, 1850), Vol. I, p. 645.

(٣) يمكن تحديد مدخل الخليج ، بالمسافة الممتدة بين رصيف بندر عباس ، في الشمال ، ورأس مسندم في الجنوب ، ولا تزيد عن خمسين ميلا ، مع العلم بأن المسافة من لارك ، الواقعة جنوب بندر عباس الى رأس مسندم لا تزيد عن ثلاثين ميلا • ولذلك فأن **القوة التي تمتلك بندر عباس مع لارك وقشم ، كقواعـد** أمامية ، مع تحكمهـا بشبه جزيرة مسندم والجزر الصغـيرة الاخرى ، تمتلك سيطرة كلية على مدخل الخليج •

يبلغ معدله ٢٫٥٠٠ قدم بدون ان تترك اي شاطيء[1] ، وتتجزأ في نهايتها الشمالية الى العديد من الجزر الصخرية ، آخرها رأس مسندم . ويبلغ طول كتلة رؤوس الجبال ما بين ١٥ و ٢٠ ميلا ، تتخللها العديد من الخلجان المتوغلة مسافة عدة اميال الى الداخل والمحاطة بحافات جبلية عالية[2] . ومن أكبر وأهم هذه الخلجان (خور الشمم) او خليج (الفنستون) ، على الجانب الغربي ، و (غبة الغزيرة) او خليج (مالكولم) ، على الجانب الشرقي . يقع مدخل الاول على مسافة ١٤ ميلا من طرف راس مسندم ، ويتوغل الى الداخل مسافة عشرة اميال تقريبا ، ويتراوح اتساعه ما بين ½ الى ١½ ميل . تطل على الخليج حافتان جبليتان ، يبلغ ارتفاع كل منها حوالي ٣٫٠٠٠ قدم ، ويبلغ عمق المياه فيه ١٧ قامة في معظم اجزائه وعشر قامات على جانب الساحل مباشرة . يشكل مدخله ممر معتم بين صخور بازلتية سوداء تنحدر بشدة من الجانبين ، بحيث لا يمكن تصور وجوده بالنسبة للشخص غير المطلع عليه . وهذا الخليج في الواقع هو افضل الموانيء الطبيعية في المنطقة[3] . اما الخليج الآخر المهم ، وهو (غبة الغزيرة) فانه يقع في الجهة الشرقية من رؤوس الجبال . يبلغ اتساعه ثلاثة اميال عند المدخل ، ويتوغل مسافة تسعة اميال . تحيطه من جميع الجهات تلال قائمة الانحدار بشكل زاوية قائمة ، ويبلغ عمقه من ٣٠ الى ٣٦ قامة وبامكان هذا الخليج ان يكون مرسى لاسطول كبير[4] . لقد شكلت هذه الخلجان

---

(١) Chesney, Op. Cit., Vol. I, p. 645.

(٢) Kelly, Op. Cit., 16; Whigham, Op. Cit., p. 78.

(٣) Lorimer, Op. Cit., Vol. IIB, pp. 1693?4; Whigham. Op. Cit., pp. 78-9; Kelly, Op. Cit.,pp.16-17; Miles, Op. Cit., pp. 315-16.

(٤) Lorimer, Op. Cit., ol. IIA, pp. 580-1.

مخابىء ممتازة لسفن القواسم في فترات التحامهم بالطرادات البريطانية ، فكانت تنقض منها او تنسحب اليها ، فكانت بذلك تحتفظ بعنصر المباغتة للسفن المعادية[1] •

تنقسم المنطقة التي ساد فيها القواسم ، الى منطقتين رئيسيتين ، تعرف الاولى بمنطقة (رؤوس الجبال) ، وتعرف الثانية بالمنطقة الساحلية • اما الاولى فهي فقيرة في مواردها ، ذلك ان مزارعها ومراعيها تكاد لا تكفي لسد الحاجات الاساسية للسكان ، هذا بالاضافة الى ان تلك الموارد الضئيلة لا يمكن الاعتماد عليها لانها تتوقف على التغييرات الطقسية • ومنطقة (رؤوس الجبال) هذه ، هي موطن قبائل الشحوح التي مر ذكرها •

اما المنطقة الساحلية فتمتد من ميناء رامس شمالا حتى دبي جنوبا • وهي عبارة عن ارض سهلية ، يحدها من الشرق سفوح الحجار الغربية ومن الجنوب واحة البريمي[2] • وتتخلل هذه المنطقة الخلجان العديدة والبحيرات الضحلة ، حيث تشكل المناطق السكنية للقواسم الذين اتخذوا من البحر المصدر الاساسي لحياتهم المعاشية • وتمتد الى الشرق من المنطقة

---

(١) لم يتم مسح هذين الخليجين الا بعد الحملة البريطانية الكبرى على القواسم في ١٨١٩ – ١٨٢٠ •

(٢) البريمي واحة مهمة تقع في سهل (الجو) في الطرف الشمالي من الظاهرة ، وبالقرب من سفوح حجار الغربية ، وتبعد حوالي ٦٥ ميلا الى الغرب من صحار و ٨٥ ميلا الى الشرق من (أبو ظبي) • شكلها دائري تقريبا ، ويبلغ قطرها حوالي ستة أميال • تصل اليها المياه من جبال الحجار وجبل (حفيت) ، بواسطة قنوات محفورة تحت الارض تسمى بالافلاج • يبلغ عدد القرى في هذه الواحة عشراً ، وسكانها البالغ عددهم حوالي ٥٠٠ر٥ نسمة معظمهم من النعيم والظواهر الى جانب عدد من بني جابر ونجادات وعدد من بني ياس •
Lorimer, Op. Cit., Vol. IIA, pp. 260-4; Kelly Op. Cit., p. 17.

الساحلية ارض متموجة فيها ما يكفي من المياه لارواء النخيل وبعض المزروعات لاخرى • والى الجنوب منها تمتد ارض مسطحة مغطاة بالرمال والحصى والسباخ غير صالحة للاستقرار •

تمثل رأس الخيمة ، ذات الموقع الستراتيجي الهام ، قاعدة القواسم ومقر شيخهم الاكبر • وتقع هـذه على لسان رملي منخفض يبلغ طولـه حوالي ثلاثة ارباع الميل ، ولا يزيد عرضه على اربعمائة ياردة • ويمتد سور عال ترتفع على جوانبه عدة ابراج دفاعية على طول ساحل البحر • اما المرسى فيتكون من شبه الجزيرة هذه ، ومن الساحل المقابل ، وتبلغ سعته حوالي نصف الميل • ويعترض مدخل الميناء حاجز لا يسمح للسفن بالدخول الا في حالة المد • والى هذا الموضع القائم وراء الابراج الدفاعية ، يقـوم القواسم بسحب سفنهـم ، حينما يهددهم اي خطر الى أعلى نقطة يصلها المد[1] • ويشكل هذا اللسان حاجزا يقي المرفأ من تيارات الامواج • تزداد ضحالة الماء عند الاقتراب من ساحل المدينة ، حيث تبلغ ست قامات[2] على بعد ثلاثة اميال منه ، وتنخفض الى قامتين ونصف ، ضمن مجال حوالي مائتي ياردة من موقع المنازل • اما عمق الخليج فيصل الى قامتين ونصف ، وفيه تبحر الداوات[3] في مياه ساكنة ، ضمن مجال مائة ياردة من الساحل ،

---

(١) J.R. Wellsted, Travels to the City of Caliphs, (London, 1840), Vol. I, 97-8; Buckingham, Op. Cit., Vol. II, pp. 355-6.

(٢) القامـــة fathom مقياس لعمق المياه يساوي ٦ أقدام •

(٣) جمع (داو) ، وهو اسم (سواحيلي) لم يستعمله العرب ، ولكن الذي أشاعه هم الكتاب الانكليز •

(George F. Hourani, Arab Seafaring, (Beirut, Rep., 1963), p. 89)

ويطلق على معظم انواع السفن الشراعية الاهلية • ويقابل كلمة (داو) في العربية اسم (مركب) •

حيث يحميها من البحر ، الضفة التي ذكرناها[1] • بيوتها محاطة بالاكواخ ، ولون كليهما لا يختلف كثيراً عن لون الصحراء المحيطة • حول المدينة سور تعلوه عدد من الابراج الدفاعية • ولكن جانبا كبيرا من ذلك السور قامت القوات البريطانية بتدميره في حملة ١٨٠٩ • وفيما يلي وصف لشاهد عيان لمدينة رأس الخيمة ، وهو بكنغهام الذي رافق بروس ، المقيم البريطاني في بوشهر سنة ١٨١٦[2] :

« يبلغ طول المدينة نصف ميل تقريبا ، وعرضها ، بين ساحل البحر وساحل الخليج ، ربع الميل ••• تتمثل اقوى نقاط دفاعها في قلعة مربعة قائمة في الزاوية الشمالية الشرقية ، وفي قلعة اخرى دائرية مزودة ببرجين ، قرب مركز المدينة • وهذه القلاع مزودة بالمدافع ، اما الابراج الاخرى ، فالظاهر انها متاريس لرماة البنادق • وتتألف بقية المدينة من ابنية صخرية وأكواخ من سعف النخيل • والطرق ضيقة وملتوية[3] بين بيوتها• العدد الحالي للسكان يمكن ان يقدر بعشرة آلاف نسمة على الأقل[4] ،

---

(١) Buckingham, Op. Cit., Vol. II, p. 356.

(٢) Ibid, pp. 351-2.

(٣) يصف شاهد آخر هذه الطرقات بأنها « مماش ضيقة تتلوى كالافعى بين المنازل ••• وكأنها صممت لتكون متاهة للغريب غير المرغوب فيه » •

Stanton Hope, Arabian Adventurer, (London, 1951), p. 312.

(٤) يقدر بلگريف عدد سكانها بـ ٥٫٠٠٠ نسمة •

(Balgrave, Op. Cit., Vol. II, p. 313)

أما لو فيقول ان عدد سكانها يتراوح ما بين أربعة الى خمسة آلاف نسمة (Low, Op. Cit., Vol. note, p. 311)

منهم ثلاثة آلاف رجل تقريبا قادرون على حمل السلاح ، وبالتأكيد فان اكثر من نصف هؤلاء هم من الزنوج المولودين في أفريقيا » •

رابعا ـ موارد القواسم الاقتصادية :

اعتمد القواسم نتيجة لظروف بيئتهم القاسية ، في كسب عيشهم على البحر ، فمارسوا فيه جل نشاطاتهم الاقتصادية والسياسية • اذ ساعدتهم طبيعة ساحلهم بكثرة تعرجاته وخلجانه التي تكون موانيء طبيعية صغيرة • ان مصادر عيش القواسم الاساسية تركزت في كل من صيد الاسماك واللؤلؤ والتجارة ثم القرصنة •

أسهم القواسم في نقل تجارة الخليج ، وفي بعض الاحيان كانوا يقومون برحلات تجارية الى الهند وافريقيا[١] • ونقرأ تقريظا لهم في كتاب بكنغهام[٢] « ••• انهم [القواسم] جميعا كانوا في المهارة والمثابرة والاخلاص في عهودهم اكثر من اية قبيلة اخرى على الساحل ، بحيث كانوا مفضلين دائما ، حيث يجرى التحدث عنهم باعتبارهم من افضل الناس في ارجاء الخليج » • ويقول اتشيسون[٣] « ان القواسم ••• مارسوا تجارة بحرية نشطة ومربحة حتى سنة ١٨٠٥ » • كما اكد فرانسيس واردن ، السكرتير الاول في مجلس بومباي ، بأن القواسم مارسوا تجارة مربحة في سبعينات القرن الثامن عشر ، « ••• وفي خلال سنوات قليلة ••• تمكنوا

---

(١) Buckingham, Op. Cit., Vol. II, p. 210; Kelly Op. Cit., p. 23.

(٢) Buckingham, Op. Cit., Vol. II, p. 210.

(٣) C U. Aitchison, A Collection of treaties, Engagements and Sanads, Relating to Indian & Neighbouring Countries (Calcutta, 1909), Vol. XII, p. 152.

من ممارسة نشاط مربح للغـاية »[1] • كما أيـد نيبور سعة التجارة التي مارسها القواسم[2] •

امتهن القواسـم ، الى جـانب نشاطاتهم الاقتصادية التي ذكرناهـا (القرصنة) ايضا • حيث شكلت هـذه مصدرا من مصادرهم الاقتصادية • اد يحصلون عن طريقها على المـواد التي تفتقر اليها بلادهـم عن طريـق التعرض للسفن التجارية المارة • ومن الجدير هنا ان نسجل قول ويتلوك F. Whitlock ، وهو احد الضباط الانكليز الذين كلفوا بمسح الخليج بعد الحملة البريطانية الكبرى ، في تعليل القرصنة[3] :

« ان صفات سكان هذا الساحل هي في معظم النواحي ما يمكن توقعها في ان تكون نتيجة لاسلوبهم في الحياة وحرفتهم • ان عملهم الوحيد في اوقات السلم هو في البحر كصيادين وغواصين بحثا عن اللؤلؤ ••• وتقتصر ممارسة هاتين المهنتين على بضعة اشهر من السنة[4] ••• ففي اشهر الشتاء يؤدي عنف البحر على هذا الساحل المفتوح ، الى وضع نهاية للصيد فيما عدا الخلجان او الامكنة المجاورة مباشرة لبيوتهم ، وبما انهم لا يمتلكون اعمالا زراعية يتوجهون اليها في هذا الوقت ، فانهم ينتقلون الى حالة من البطالة الكاملة ، والتي تقودهم من غير شك الى اعمال العنف ضد بعضهم البعض • ولكونهم قد ألفوا السلاح منذ الطفولـة ، وذوي بنية صلبـة ،

(١) S.R.B.G., No. XXIV, 301, 'Warden, Joasmees'.

(٢) Niebuhr, Op. Cit., Vol. II, p. 124.

(٣) Quoted in: Kelly, Op. Cit., p. 19.

(٤) يحدد ملبورن بداية موسم صيد اللؤلؤ بشهر حزيران ، ويستمر حوالي الشهرين تقريبا •

(Milburn, Op. Cit., (London, 1825), p. 84).

ومعتادين على الفاقة والحرمان والعمل الشاق والخطر ، فقد كان من المتوقع ان يكونوا شجعانا ، وقد اشتهرت عنهم هذه الصفة » .

ان افتقار ساحل القواسم للمصادر الاساسية ، كالمياه الغزيرة الضرورية لقيام مستوى حياتي مناسب ، ووقوعها في منطقة التقاء عدد من طرق المواصلات التجارية المهمة ، جعل (القرصنة) حرفة شائعة ومقبولة و « يمكن ان تفهم بشكل افضل باعتبارها حرب بين (من يملك) ومن (لا يملك) ، اكثر من كونها تعبيرا لجانب من الارث المعيب للتكوين النفسي لسكان الخليج »[2] . وفي الواقع ان هذا الاعتقاد الاخير غالبا ما يذكر في كتابات المؤلفين الانكليز في القرن التاسع عشر وحتى العشرين ، لتبرير الاستعمار[3] .

---

(١) (Low, Op. Cit., Vol. I, p. 318)

(٢) Landen, Op. Cit., p. 8.

(٣) « ان القرصنة متغلغلة حتى العظام بين هؤلاء العرب الذين لا يعرفون الراحة ولا الطاعة » . هذا ما يقوله (لو) عن العمليات **البحرية العربية في الخليج . انظر :**

(Low, Op. Cit., Vol. I, p. 318)

كما يتحامل (هويد) على القواسم ويلصق بهم أشد الصفات تعاسة . انظر :

(William Heude, Avoyage up the Persian Gulf, and a Journey over land from India to England, in 1817, (London, 1819), p. 36)

بل ان كلا من ولسون وسانجر يعتبران التوسع العماني في عهد اليعاربة وصراعهم مع البرتغاليين قرصنة !. انظر :

Wilson, Op. Cit., p. 194; Richard H. Sahger, The Arabian Peninsula, (N.Y., 1954), p. 170.

من الضروري هنا التأكيد ان (القرصنة) كانت تعكس جانبا هاما يتمثل بحيوية القواسم وروح الجرأة والشجاعة التي لا تعرف الحدود ، التي اتصفوا بها • يصفهم ولستد بانهم شعب محب للمغامرة « فعّال ومقاتل ، يجد لذة كبرى في عرض البطولة الشخصية ، يزدري بالخطر والموت ••• وقد مثلت مباهج الصراع والغنائم الثمينة التي يتم الحصول عليها بالشجاعة ، اغراءات لا يمكن مقاومتها »[1] • وفي مؤلفه الآخر يصف ولستد هذا شجاعتهم فيقول[2] :

« اقصى درجات الشجاعة هي بالتأكيد صفتهم [القواسم] • فاذا أسروا فانهم يستسلمون للمصير الذي يوقعونه بالآخرين ••• وحينما سئل بعض أسراهم عن المصير الذي يتوقعونه أجابوا : الموت الفوري الذي كنا سننزله بكم لو كان مصيركم بأيدينا » •

ويؤكد فريزر صفة الشجاعة التي اشتهر بها القواسم ، فيقول[3] : « ان الروح الجريئة والشجاعة التي لا تعرف الحدود التي اظهرها هؤلاء في معظم المناسبات ، كانت ملفتة للنظر بدرجة كبرى » •

يجدر بنا ان نشير في هذا الصدد ، الى ان (القرصنة) كانت شائعة ومتعارفاً عليها بين عدد كبير من الشعوب الاوربية في ذلك الوقت • وكانت

---

(١) Wellsted, Travels to the city of Caliphs Vol. I, pp. 99-100.

(٢) J.R. Wellsted, Travels in Arabia, (London. 1838), Vol. I. pp. 248-9.

(٣) J.B. Fraser, Narrative of a Journey into Khorasan in the year 1821 and 1822,(London, 1825), Appendix A, p. 5.

وسيلة معترفاً بها في العلاقات بين الدول المتعادية حتى سنة **١٨١٥**[١] .

خامسا ـ العلاقات القاسمية ـ العمانية :

أ ـ المرحلة الاولى ١٦٢٤ ـ ١٧٤٩ :

على الرغم من ان ساحل (الشمال) كان من الناحية الاسمية تابعاً لسلطة امام عمان ، الا ان القبائل في هذه المنطقة مارست درجة كبيرة من الاستقلال . ذلك ان طبيعة عمان الجغرافية جعلت امام عمان يستعين بالشيوخ ورؤساء المقاطعات ، فيعهد اليهم بشؤون الحكم في مقاطعاتهم بشرط اعترافهم بسيادته ومن هؤلاء شيوخ السر والجو ويبرين وظفار[٢] . وقد مر بنا ان مؤسس سلالة اليعاربة ، ناصر بن مرشد ، في جهوده لتوحيد عمان ، نجح في مد سيطرته على منطقة جلفار (رأس الخيمة) حيث قام بتعيين حاكم عليها من قبله . ويبدو ان هذه المنطقة ظلت تعترف اسميا بسلطة امام عمان في فترة قوة هذه الدولة ، وبلوغها درجة كبيرة من الازدهار والتوسع . ولعل ابرز نشاطات القواسم في فترة التبعية العمانية هذه ، مساهمتهم مع سلطان بن سيف الثاني في **١٧١٧** في فتح البحرين وقشم

(١) عن القرصنة الانكليزية ، انظر :

Milburn, Op. Cit., (London, 1813), pp. 306, 389, 390; [1.0] list of Marine Records, p. IV.

وعن القرصنة الفرنسية في المياه الشرقية ، أنظر : Ibid, pp. 405-7

وعن عمليات القرصنة الفرنسية في الخليج العربي ، انظر :

Miles, Op. Cit., pp. 268-70, 274, 277-8, and 296.

(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

ولارك ، ومحاولة فتح هرمز[1] ، ولكن الهجوم على الأخيرة لم ينجح على الرغم من حصارها مدة ثلاثة اشهر[2] •

وحينما نشبت الحرب الاهلية في عمان بعد سنة ١٧١٨ بسبب التنافس على الامامة ، كما سبق وأوضحناه ، أسهم القواسم واتباعهم في الصراع ، فكانوا من اهم القوى التي شكلت الاتحاد الغافري ، الذي خاض سلسلة من الاصطدامات المسلحة مع الاتحاد الهناوي[3] • وقد مر بنا ان بداية هذا الانقسام ، بدأ حينما انتخب محمد بن ناصر ، شيخ بني غافر ، اماما في سنة ١٧٢٤ بدعم من القبائل النزارية ، ليواجه معارضة مسلحة من جانب القبائل اليمينية ، التي التفت حول خلف بن مبارك ، شيخ بني هنّا •

لجأ محمد بن ناصر الى رحمة بن مطر القاسمي ، أمير رأس الخيمة وهو أول زعيم بارز للقواسم تذكره المصادر وسجلات الشركة الانكليزية والذي يصفه بادجر بقوله[4] : « انه اقوى زعيم للقبائل على ساحل الشمال » ، طالبا مساعدته في صراعه ضد المعارضة • وقد استجاب هذا لطلب الامام فأرسل قوة مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل يقودها خميس بن منير الهولي[5] • ويشير ابن رزيق الى ان « معظم اتباع رحمة بن مطر

---

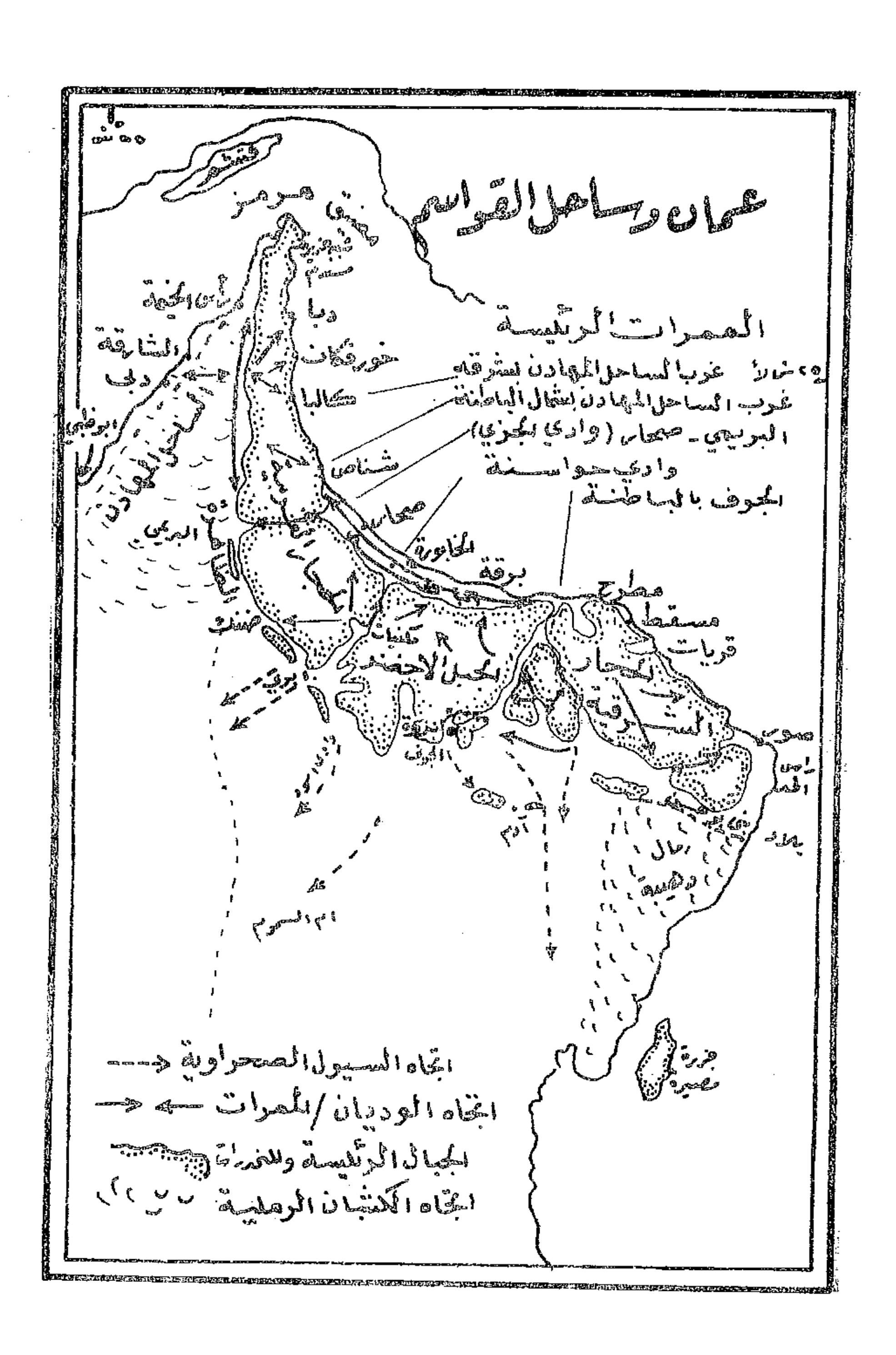
(١) L. Lockhart, The fall of the Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, (Combridge 1958), p. 115.

(٢) Hamiltion, Op. Cit., Vol. I, p. 67 أما لوكهارت فيذكر ان حصار هرمز دام سبعة أشهر •
Lockhart, Op. Cit., p. 494.

(٣) انظر : السالمي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٢٢–١٢٣ ،
Badger, Op. Cit., pp. X LV11-XLV111.

(٤) Badger, Op. Cit., p. XLV111.

(٥) Miles, Op. Cit., p. 243.



عمان وساحل القواسم
الممرات الرئيسة
غربا الساحل المهادن لشرقه
غرب الساحل المهادن لشمال الباطنة
البريمي - صحار (وادي الجزي)
وادي حواسنة
الجوف بالباطنة
دبا
خورفكان
كالبا
شناص
صحار
الخابورة
بركة
مطرح
مسقط
قريات
الشارقة
دبي
الجبل الأخضر
جزيرة مصيرة
اتجاه السيول الصحراوية
اتجاه الوديان / الممرات
الجبال الرئيسة والنجدية
اتجاه الكثبان الرملية

لا يعرفون العربية بصورة جيدة »[1] ، ذلك لانهم من الشحوح • وهذا يدل على ان الشيخ القاسمي ، كان قد نجح في تركيز نفوذه ومد سلطته على شبه جزيرة مسندم • ساعدته في ذلك ظروف الاضطراب الداخلي والحرب الاهلية في عمان •

وقف القواسم في خلال الحملات الفارسية على عمان ، التي مر بنا ذكرها ، موقف الترقب • ويبدو ان هذا الموقف هو الذي دفع بالشيخ القاسمي الى اظهار ولائه للقائد الفارسي ، في الفترة ١٧٣٧ – ١٧٣٨[2] • ولكن الفرس لم يكونوا مطمئنين تماما لموقف القواسم ، فقد اصابهم الذعر حينما اعتقدوا بأن حلفا قد عقد في سنة ١٧٤١ ، بين القواسم وامام عمان • الذي كان آنذاك يمتلك تسع سفن كبيرة ، وهدف هذا الحلف هو الاستيلاء على احدى الجزر القريبة من الساحل الشرقي ، ومهاجمة بندر عباس[3] •

ب – المرحلة الثانية ١٧٤٩ – ١٨٠٠ :

اتسمت العلاقات بين القواسم وحكام سلالة البو سعيد المتعاقبين ، التي اسسها احمد بن سعيد ، بالعداء • اذ خاض الطرفان حروبا متقطعة تخللتها فترات هدنة قصيرة ، استمرت طول النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الاولين من القرن التاسع • ويكمن سبب هذا النزاع الطويل ، اضافة الى الخلافات القبلية والطائفية ، في رغبة الطرفين تحقيق التفوق السياسي والبحري في المنطقة ، عن طريق السيطرة على مدخل الخليج وجزره الستراتيجية من الساحل الشرقي • وهذه الرغبة هي في جذورها ذات دوافع اقتصادية • اذ ان اي طرف ينجح في تحقيق هذا الهدف ،

---

(١) Badger, Op. Cit., p. 111.

(٢) أنظر أعلاه ص ٤٦ •

(٣) Lorimer, Op. Cit., Vol. A, p. 406.

يستطيع ان يمتلك تفوقا اقتصاديا حاسما بالتحكم بتجارة الخليج . ومما اجج العداء بين احمد بن سعيد والقواسم ، وقوف الاخيرين الى جانب غريمه بلعرب بن حمير ، في الفترة ١٧٤٥ ــ ١٧٤٩[١] . وكان القواسم احدى القوى التي تكون منها جيش بلعرب ، الذي هاجم مسقط محاولا انتزاعها من احمد بن سعيد . كما شاركوه في الهجوم على صحار ، ودحر قوات احمد بن سعيد في معركة الباطنة ، التي من المحتمل انها وقعت سنة ١٧٤٥[٢] .

واجه احمد بن سعيد بعد انفراده بالحكم في ١٧٤٩ ، اول تحد من القواسم . ففي أواخر الاربعينات او اوائل الخمسينات من القرن الثامن عشر ، حاول الشيخ رحمة القاسمي ، أمير رأس الخيمة ، الاندفاع الى صحار ؛ حيث التقى بالامام وجرت معركة متعادلة Drawn Battle في وادي حام ، في الباطنة . واضطر الشيخ القاسمي على اثرها ، على الانسحاب ، كما اثر ذلك تأثيرا سلبيا في سمعة الامام الى حد ما[٣] .

وطد احمد بن سعيد عزمه ، بعد ان ثبت سلطته في عمان ، وحقق الهيمنة الكاملة على القبائل العمانية ، على اخضاع القواسم والقبائل المتحالفة معهم في ساحل عمان . فقام بتحشيد قوات كافية ، برية وبحرية ضد القواسم في سنة ١٧٥٨ ــ ١٧٥٩ ، ووجه هجومه على خصب ، التي استسلم شيخها حسن بن عبدالله الشحوحي بدون مقاومة[٤] . وقد كان الاخير تابعا رسميا للقواسم[٥] . وفي خلال وجود الامام احمد في خصب ،

---

(١) أنظر ص ٤٩ــ٥٠ من الفصل الاول .

(٢) Miles Op. Cit., p. 263.

(٣) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 410; Hawley, Op. Cit., p. 87.

(٤) Miles, Op. Cit., p. 269.

(٥) S.R.B.G. No. XXIV, p. 7, 'Taylor, Oman...'.

وردته الانباء بقيام اليعاربة بثورة في مقاطعة (الشرقية) ، فأصدر أوامره الى خلفان بن محمد بمواصلة التقدم الى رأس الخيمة مع جميع سفنه ، وعاد هو على الفور الى جعلان، حيث قام بتحشيد القبائل وسحق التمرد[1].

لم يستطع خلفان بن محمد تحقيق اي انتصار يذكر على القواسم ، ولذلك فقد توجه الامام شخصيا الى ميدان العمليات . وغير القيادة عند وصوله الى خصب ، فأبدل خلفان بقائد أكثر نشاطا ، هو علي بن سيف ، وأمره بالتوجه الى منطقة (السر) على رأس اسطول مؤلف من اربع عشرة سفينة وان يقوم بفرض حصار محكم على موانئها حتى يتم اخضاعها لسيطرته[2] . وقد نجح القائد الجديد في تنفيذ هذه الاوامر بدقة وفعالية ضد رأس الخيمة وجزيرة الحمرا وفاشت والشارقة ، وهي موانىء القواسم الرئيسة ، فلم يسمح لاية سفينة بالخروج لصيد اللؤلؤ او للقيام برحلة تجارية . وقد دفعت المعاناة القاسية هذه الموانيء ، عدا رأس الخيمة ، الى الاعتراف بسلطة الامام في سنة ١٧٦٢[3] . وقد صمد القواسم في رأس

---

(١) Miles, Op. Cit., p. 269.

(٢) Ibid.

تجدر الاشارة هنا الى آن تايلر :
S.R.B.G. No. XXIV, p. 7, 'Taylor, Oman...'.
يحدد وقوع هذه الاحداث بسنة ١٧٤٩ . ولكن بدراسة مقارنة دقيقة ، يبدو أن مايلز أدق منه في ذلك . اذ أنه في ذلك الوقت الذي يحدده تايلر ، كان الامام بالكاد يسيطر على عمان ليحاول مد سيطرته على (الشمال) . ومن ناحية ثانية ، نراه يحدد **نجاح الامام في الحصول على اعتراف بسلطته من قبل معظم** الموانيء الشمالية بسنة ١٧٦٣ ، وهذا أمر لا يبدو معقولا ، اذ تكون العمليات العسكرية في هذه الحملة قد استغرقت ١٤ عاما . والجدير بالذكر ان تايلر يخطيء في موضع آخر حين يقول بان الامام احمد توفي سنة ١٧٧١ . (Ibid, p. 8).

(٣) Ibid, p. 7; Miles, Op. Cit., p. 269.

الخيمة للحصار سنة اخرى ، قاموا في اثنائها بهجوم ثأري على عمان بقيادة صقر بن راشد ، ابن الشيخ القاسمي، يرافقه عمه عبدالله • وهددت القوات القاسمية الرستاق في سنة ١٧٦٣[١] • وفي نهاية تلك السنة ، توجه صقر ابن راشد برفقة عمه عبدالله بن مطر ومحمد بن علي الى الرستاق ، حيث اجتمعوا بالامام • وأسفرت المفاوضات ، التي جرت لتسوية الاختلافات ، عن سحب اسطول الحصار العماني ، واعتراف الامام باستقلال رأس الخيمة[٢] ، مقابل موافقة الزعماء القواسم على الاعتراف بسلطة الامام على الموانيء الاخرى[٣] • وعلى الرغم من ذلك الاتفاق ، فان الشيخ القاسمي ، راشد بن مطر ، ما لبث في خلال وقت قصير ، ان اعاد سيطرته على كل مقاطعة (السر) من خور فكان الى رأس مسندم وغربا على طول ساحل الخليج العربي الى الشارقة[٤] •

ان حالة العداء القائمة بين الطرفين ، لم تحل دون تحالفها في سنة ١٧٧٢ ، لمواجهة الخطر الفارسي الذي تمثل بتهديدات كريم خان الزندي للساحل العربي بصورة عامة[٥] • وقام الشيخ راشد بن مطر بالتعاون مع

---

(١) Hawley, Op. Cit., p. 88.

(٢) Miles, Op. Cit., p. 269; A.M. Abu-Hakima, History of Eastern Arabia 1750-1890, (Beirut, 1965), p. 77.

(٣) S.R.B.G. No. VVIV, p. 8, 'Taylor, Oman...'.

(٤) Hawley, Op. Cit., p. 88.

(٥) S.R.B.G. No. XX1V, p. 301, 'Warden, Joasmees'; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, pp. 410, 633

بعد ان وطد كريم خان سلطته في شيراز ، حاول أن يواصل سياسة نادر شاه التوسعية في الخليج • الا انه مارس عملياته من خلال الاساطيل العربية كتلك التابعة لشيخ بوشهر العربي • وقد اصطدمت هذه السياسة بطموح الامام أحمد ابن سعيد في =

خلفان بن محمد ، حاكم مسقط بمهاجمة ميناء بندر عباس ، ودمروا سفينتين فارسيتين ومخزن للذخيرة في لنجة[1] • وانسحب الاسطول العماني بعد الهجوم الى رأس الخيمة[2] • وواصل الزعيم القاسمي مساعدة الامام في حربه مع الفرس ، التي استمرت بشكل واهن حتى سنة ١٧٧٤ • وقد حاول كريم خان في خلال ذلك ان يحسم الموقف ، فأمر الشيخ ناصر ، حاكم بوشهر ، بمواصلة الحرب بنشاط او أن يتوصل الى اتفاق مع الامام[3] • ولكن الشروط التي عرضها الفرس لم تلق استجابة من قبل الامام ، الذي واصل رفضه دفع الاتاوة[4] •

تجددت حالة الحرب بين الامام احمد وبين الشيخ راشد بن مطر في

= اعادة هيمنة عمان على الخليج العربي . فكان الاصطدام بينهما أمرا محتوما (Landen, Op. Cit., p. 59) • وقد اندلعت العداوات بين كريم خان والامام احمد ، حينما طالب الاول الثاني بدفع الاتاوة التي كانت تدفع في وقت سابق الى نادر شاه • ولكن الامام رفض طلبه بازدراء • وفي رسالته الى الحكومة الفارسية ، أشار الى « أن نادر شاه وكريم خان هما قوتان تختلفان كلية ، أحدهما يرهبونه ، اما لآخر فيزدرونه • الاول هو قاهر ايران ، أما الثاني فهو لا يزيد عن كونه وكيلا لمقاطعتين أو ثلاث • فاذا أحس كريم خان بأنه مؤهل لتنفيذ مطالبه ، فانهم سيجيبونه بالمدافع والقنابل ••• » • انظر : Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, pp. 411-12.

(١) S.R.B.G. No. XX1V, p. 301, 'Warden, Joesmees'; Grant Op. Cit., Vol. I, p. 550, Lorimer, Op. Cit., IA, p. 412.

(٢) Lorimer, Op. Cit., IA, p. 633; Hawley, Op. Cit., p. 119.

(٣) Miles, Op. Cit., p. 271.

(٤) Ibid; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 412.

سنة ١٧٧٥ ، وقد تزايدت قوة الاخير بدرجة كبيرة في البر والبحر[١] •
لكنها توقفت لفترة وجيزة على اثر استقالة الشيخ راشد[٢] من زعامة القواسم بسبب تقدمه في السن في سنة ١٧٧٧ ، اذ عقد ابنه وخليفته صقر ، هدنه مع الامام احمد[٣] • الا ان الحرب استؤنفت في حزيران من السنة التالية بين الطرفين ، وقام الشيخ صقر بأسر بعض السفن الفارسية بحجة ان حمولتها تخص الامام[٤] • وتزايد نشاط السفن القاسمية في الخليج بدرجة كبيرة ، ضايقت سفن مسقط وسواحلها •

دفع هذا الخطر القاسمي المتزايد بالامام احمد الى القيام بحملة بحرية كبيرة ضدهم • فتحرك اسطول عماني مؤلف من اثنتي عشرة سفينة كبيرة ومائة سفينة صغيرة الى رأس الخيمة • ولكن ضحالة الماء قرب ساحلها، حال دون اقتراب السفن الكبيرة الى اقرب من ميلين او ثلاثة عنها[٥] ، ولذا لم يكن بمقدور مدافعها ان تقصفها • وكانت نتيجة ذلك فشل هذه المظاهرة

---

(١) S.R.B.G. No. XX1V, p. 301, 'Warden, Joasmees'; Miles Op. Cit., p. 274; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 633.

(٢) ان الشيخ راشد بن مطر ، الحاكم الاعلى للقواسم ، هو الشخصية الثانية البارزة في تاريخ القواسم ، وهو الذى وجه المرحلة الثانية من التوسع القاسمي نحو الساحل الشرقي ، كما قاد قبائل (الشمال) في مقاومتهم لاحمد بن سعيد . أما الشيخ صقر ، فقد كان مخطط النهضة القاسمية بعد سنة ١٧٨٠ .

(٣) Miles, Op. Cit., p. 274; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 633.

(٤) Miles, Op. Cit., p. 275.

(٥) ان السفن التي غطسها ١٤ قدم ، لا يمكنها أن تقترب في مجال ميلين وتصف من الساحل

(Low, Op. Cit., Vol. I, p. 311)

العسكرية في تحقيق اهدافها[1] .

رد الشيخ صقر على تلك العملية بهجوم مضاد . فزحف على رأس قوة كبيرة للاغارة على الباطنة ومحاصرة الرستاق . ولكنه لم يتمكن من تحقيق نتائج مهمة ، فعاد الى عاصمته سريعا[2] . واستمرت الحرب بين الطرفين متواصلة بشدة طيلة سنة ١٧٧٩ ، وكانت سفن القواسم تقوم بالطواف في الخليج والبحر العربي ، وتقوم بعمليات نهب كبيرة ، على الرغم من الجهود المتواصلة التي بذلها الامام لاخضاعهم[3] . وقد استمرت هذه الحالة حتى سنة ١٧٨٥ . حيث تحول الخليج بنتيجة ذلك الى ميدان حرب بين أقوى قوتين بحريتين محليتين ، وفي تلك الاوضاع ، تعرضت بعض السفن البريطانية للاسر ؛ وعلل الانكليز ذلك بانه قرصنة ، دون الالتفات الى ان سفنهم كانت تخترق ميدان قتال .

ان الاضطرابات الداخلية التي وقعت في عمان في اواخر حكم احمد ابن سعيد ، كان من اسبابها الرئيسة تنافس اولاد الامام على وراثة الحكم[4] ، قد اتاحت للقواسم فرص التوسع على حساب سلطة امام عمان . اذ أيد القواسم ولدي الامام احمد ، سيف وسلطان في صراعهما ضد ابيهما .

---

(١) Miles, Op. Cit., p. 275.

(٢) Iibd.

(٣) Ibid, p. 276.

(٤) أنشأ الإمام احمد اولاده الخمسة (هلال وسعيد وقيس وسيف وسلطان) لتولي مراكز المسؤولية ، أما في الحكومة المركزية أو كولاة على المدن المهمة وما يتبعها من مقاطعات ، ومنح كل منهم لقب (سيد) . أكبر أولاده هلال كان أعمى وبالتالي لم يكن مؤهلا للحكم . والثاني سعيد ، ولاه أبوه على نزوة ، والثالث الطموح القوى ، قيس ولي على صحار . أما الاخوان الآخران ، فقد كانا أشد أبنائه طموحا ورغبة في الاستئثار بولاية العهد .

الذي كان يفضل اسناد الامامة الى ولده الآخر سعيد •

ابتدأت الاضطرابات في اوائل سنة ١٧٨١ ، حينما تمكن سيف وسلطان من السيطرة على مسقط وعلى قلعتيها (الميراني والجلالي) بعد ان خدعوا حاكم المدينة[١] • وقد بادر الامام احمد بالزحف على مسقط لاستعادتها من ولديه • وازاء هذا التطور ، طلب الاخوان المساعدة العسكرية من الشيخ صقر القاسمي • لقي الطلب استجابة فورية من زعيم القواسم ، الذي كانت له اهدافه الخاصة • فبدلا من التوجه على رأس قواته الى ميدان القتال الرئيس بالقرب من مسقط ، زحف مباشرة الى العاصمة الرستاق ، فوصلها في شباط سنة ١٧٨١[٢] • ازاء هذا التطور الخطير سارع الامام وولداه الى تسوية خلافاتهم لشعورهم بالخوف من ان يؤدي انتصار الزعيم القاسمي الى انهيار حكم سلالتهم[٣] • وعليه أصدر الامام عفوا شاملا عن كل من له علاقة بالتمرد كما سمح لولديه بالاحتفاظ بالقلعتين[٤] • ونتيجة لهذا الاتفاق انسحب الزعيم القاسمي عائدا الى بلاده[٥] •

قام الاخوان سيف وسلطان بعصيان آخر في السنة التالية ١٧٨٢ ، أسروا فيه اخاهما سعيداً واحتفظا به رهينة لديهم ، فحاصرهم الامام في قلعتهم (الجلالي) وقام بقصف مواقعهم ، على انه لم يسفر عن هذا التمرد

---

(١) Badger, Op. Cit., pp. XL1X, 178.

(٢) Miles, Op. Cit., p. 278.

(٣) Badger, Op. Cit., pp. XL1X, 178-9.

(٤) Miles, Op. Cit., p. 279, على أن الامام غير رأيه بعد وقت قصير فاستعاد (الميراني) سامحا لولديه بالاحتفاظ بالقلعة الاخرى (الجلالي) •

(٥) Badger, Op. Cit., p. 179.

شيء حاسم ، اذ تم التوصل الى تسوية جديدة بين الامام وولديه[١] .

توفي الامـام احمد في سنة ١٧٨٣[٢] ، فأتاح موتـه ، ومبايعة ابنه سعيد بالامامة[٣] ، فرصة جديدة للقواسم للتدخل في عمان ، وبالتالي الى استمرار حالة الحرب القائمة بينهم وبين حكام البو سعيد . اذ قاد ضعف الامام الجديد وسوء سياسته وعدم كفاءته ، الى وقوع البلاد في حالة من

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن تلك الاحداث ، انظر : Miles, Op. Cit., 276-280; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, 408-9.

(٢) F.R.C. Bagley, Egypt and the Eastern Arab countries in the first three centeries of the Ottoman Period, in the Muslem World, Part III, (Leiden, 1969), p. 93; Kelly, Op. Cit., p. 10; Phillips, Op. Cit., p. 67;

وهناك خلاف في تاريخ وفاته ، فأتشيسون وفلبي يحددانه بسنة ١٧٧٥ : (C.U. Aitchison, A.

Collection of treaties, Engagements and Sanads, (Calcutta, 1909), Vol. X11, p. 187; J.B. Philby, Arabia, (London, 1930), p. 78).

أما تايلر فأنه يذكر سنة ١٧٧١ تاريخا لوفاته ، وهو تاريـخ مبكر جدا .

(S.R.B.G. No. XX1V, p. 8, 'Taylor, Oman...').

ولكن من دراسة مقارنة فأن التاريخ الذي أثبتناه في المتن هـو الاقرب الى الدقة .

(٣) انتخب سعيد من قبل القضـاة والشيوخ الذين اجتمعـوا في الرستاق ، محققين بذلك رغبة الامام الراحل ، ولم تصـدر في وقتها معارضة لهذا الانتخاب من قبل أي فرد من أسرة البـو سعيد (Miles, Op. Cit., pp. 280-1). وسعيد هـذا يعتبر آخـر امام منتخب ، بل وآخـر حاكم لعمان يقيم فـي الرستاق (Lorimer, IA, p. 417) .

الفوضى والارتباك ، والى انطلاق الاحقاد القبلية بدون ضابط ، كما ان سيف وسلطان ، مع انهما لم يعارضا في انتخاب سعيد ، الا انهما ادركا الخطر من بقائه في مركز الامامة • فدفعهما ذلك الى الاستعانة بالشيخ صقر القاسمي لمساعدتهما من أجل اقصاء سعيد عن هذا المنصب[١] • ولم يضع الزعيم القاسمي هذه الفرصة ، فقام في سنة ١٧٨٤ ، وبعد ان حشد قبائل (الشمال) باعلان الحرب على الامام[٢] • وثبت قبضته على الموانيء الشمالية من ساحل (الشمال) ، ومنها اخذ بالاغارة ، عبر رقبة شبه جزيرة مسندم على ساحل عمان •

بادر الامام سعيد لمواجهة الخطر ، فدارت حرب عنيفة في البر والبحر بينه وبين القواسم ، لم يستطع فيها الامام من تحقيق نجاح ملموس • كما اخفقت جهود الشيخ القاسمي في اقصاء سعيد واحلال سيف مكانه[٣] • هذا الفشل ، جعل سيف وسلطان يحسان بخطر بقائهم في عمان ، فترك الاول البلاد قاصداً شرق افريقيا ، حيث نزل في لامو ، راميا تكوين دولة مستقلة في شرق افريقيا • ولكن الامام بادر الى ارسال ابنه حمد ، للوقوف بوجه هذا الهدف ، الا ان موت سيف في لامو ، حل الامور هناك لمصلحة الامام[٤] •

اما سلطان ، فقد فر الى جوادر[٥] في سنة ١٧٨٤ ، طالبا ضيافة ناصر

---

(١) Miles, Op. Cit., p. 281.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid, pp. 281-2; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 418.

(٥) جوادر قرية على ساحل مكران ، مبنية في نهاية بروز رملي يمتد على جانبيها منحدر صخري بشكل جدار طويل • الجدار الجنوبي يتجه شرقا حوالي ثلاثة أميال وارتفاعه ٢٥٠=

خان ، حاكم كلات • وقد رحب به ومنحه حمايته كما قدم له مدينة وميناء جوادر كاقطاعة يحتفظ بنصف مواردها(١) • فاتخذهاسلطان قاعدة واصل منها الصراع ضد الامام من وقت لآخر(٢) •

اثبت مرور الوقت عجز سعيد وتزايد عزلته ، وقد جرت محاولتان فاشلتان لعزله لمصلحة اخيه قيس ، حاكم صحار • وقد اكدت تلك المحاولات على ان الامام عاجز عن الحكم بمفرده ، ولذلك فقد تنازل عن سلطاته السياسية والادارية لولده حمد في اواخر **١٧٨٦**(٣) ، الذي جعل مسقط قاعدة للحكم • لقد كان اتخاذ حمد لمسقط قاعدة للحكم تغييرا يرمز الى تبدل اسس القوة الحاكمة في عمان من البر الى البحر ، كما انها من ناحية ثانية ، أكدت الطبيعة العلمانية لعهد حمد بن سعيد وابتعاده عن اي دعم ديني ، ذلك انه ترك والده يقيم في الرستاق كامام ، ولم يقم بمحاولة

= ياردة ، أما الشمالى فيبلغ ارتفاعه حوالى ٥٠٠ ياردة ، وقائم بشكل عمودى على الساحل • من أبرد المراكز في الخليج العربي • انظر :

(Edward Stack, Six Month in Persia, (London, 1882), Vol. I, p. 10).

(١) Miles, Op. Cit., p. 282; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 418; Phillips, Op. Cit., p. 69.

(٢) Miles, Op. Cit., pp. 284-5; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 418.

(٣) ان الامام سعيد وجد نفسه مجبرا على القيام بذلك • حيث تمكن ولده في خلال سنة ١٧٨٦ بسلسلة من المكائد البارعة ، من الاستحواذ على مدينة مسقط وقلعتيها من خلفان بن محمد • ثم نجح في اخضاع حصون عمان الاخرى ، الواحد بعد الآخر لسيطرته • انظر : Miles, Op. Cit., p. 283.

لعزله او يجعل نفسه اماماً مكانه(١) •

تزايد نشاط القواسم في خلال هذه الاحداث ، واندلعت الحرب من جديد بينهم وبين الامام • فخرج حمد على رأس حملـة كبرى ، بريـة وبحرية ، ضدهم سنة ١٧٨٧ ، وعيّن على قيـادة الاسطول محمـد بن خلفان ، وقد تمكن حمد من تحقيق انتصار كبير على القواسم ، فاسترجع خور فكان وجزيرة الحمرا ، كما فرض الحصار على رامس(٢) • ولكن الاوضاع الداخلية في عمان ، اجبرت حمد على التوقف عن مواصلة حملته ضد القواسم ، فعاد الى بلاده ، تاركا الاسطول يواصل العمليات الحربيـة ضد رأس الخيمة ، بدون ان يحقق نجاحا يذكر • فقد عاد سلطان الى عمان من جوادر ، مستندا على دعم القبائل الغافرية ، واتخـذ برقة قاعدة لـه • ومنها حاول مهاجمة حصن سمائل • وقد التقى بحمد الذي قدم على رأس قواته لصده ، لـكنه لم يقـع اشتباك بين الفريقين ، اذ انسحب حمد الى الرستاق ، في حين اندفع سلطان الى الساحل فهاجم مطرح • واخيرا توصل الفريقان الى عقد الصلح بينهما لم يخرقه اي منهما(٣) •

توفي حمد في مسقط سنة ١٧٩٢ من جراء اصابته بالجدري ، فدفع موته بالامام سعيد الى القيام بمجهود لاستعادة مسؤوليات الحكم • ولكن سلطان من ناحيته ، وجد في موت حمد ، تحولا في المد لصالحه ، فبادر الى

(١) J.B. Kelly, A Prevalence of furies: Tribes, Politics, and Religion in Oman and Trucial Oman, in the Arabain Peninsula Society and Politics, ed. D. Hopwood, (London, 1972), p. 108.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 8, 'Taylor, Oman...'. Miles, Op. Cit., p. 284.

(٣) Miles, Op. Cit., pp. 284-5.

انتهاب الفرصة لتحقيق طموحاته ومشاريعه التي ظلت طويلا في ذهنه • وبدعم من القبائل الغافرية تمكن من الاستيلاء على برقة ومسقط • واستعد لمجابهة أخويه ومنافسيه ، وهما الامام سعيد وقيس ودارت رحى عدة معارك بين الطرفين دون موقعة حاسمة • وبنهاية السنة ، جرى تلافي خطر قيام ثورة في البلاد ، بسبب هذا الصراع ، بعقد مؤتمر (المندوبين) في برقة • وتم فيه التوصل الى تسوية بين الفرقاء المتنازعين ؛ تضمنت ابقاء سعيد اماما في الرستاق ويعتبر الرأس الديني للشعب[١] ، ويحتفظ قيس بصحار كاقطاعة ، ويتسلم سلطان السيطرة الكاملة للشؤون السياسية[٢] •

مثلت فترة حكم سلطان بن أحمد (١٧٩٣ - ١٨٠٤) ، أعلى درجات سلطة البو سعيد وهيبتها[٣] ، كما قادت مشاريعه الطموحة في التحكم البحري في الخليج[٤]، ومحاولته فرض ضريبة على السفن العربية الداخلة

---

(١) ظل سعيد محتفظا بلقب الامام فترة طويلة حتى وفاته في عهد سعيد بن سلطان ، سنة ١٧٢١ •

(Lolimer, Op. Cit., Vol. IA, Note 1, p. 418).

(٢) انظر : Ibid, p. 421; Miles, Op. Cit., p. 286; Kelly, Op. Cit., p. 108.

(٣) Landen, Op. Cit., p. 67. • تجمع المصادر على قوة هذا الامير ونشاطه الواسع ، ولكن يشذ عنها تايلر الذي يخطىء بوصفه بالضعف وعدم الكفاءة ، انظر :

(S.R.B.G. No. XX1V, p. 8, Taylor, Oman...').

(٤) من أوائل أعمال سلطان احتلال جوادر وبناء حصن فيها (Phillips, Op. Cit., p. 70) ، كما استولى على جزيرتي قشم وهرمز ، وانتزع بندر عباس من شيخ النعيم •
جزيرتي قشم وهرمز ، وانتزاع بندر عباس من شيخ النعيم •
وحصل على موافقة الحكومة الفارسية في تأجير بندر عباس وتوابعها وبضمنها مقاطعة جيروم ، الممتدة مسافة ٩٠ ميلا على =

الى الخليج والخارجة منه ، الى تكثيف العداء القائم فعلا بين عمان وبين الكيانات العربية البحرية الاخرى ، وبصورة خاصة القواسم • ولذلك فقد كانت الحرب متواصلة طول سنة ١٧٩٧[١] •

توقفت الحرب بين سلطان والقواسم مؤقتا في سنة ١٧٩٨ ، حينما تم التوصل الى عقد هدنة بين سيد سلطان وبين الشيخ صقر القاسمي • فقد كان الأول يريد التفرغ لتصفية خلافه مع والي بغداد[٢] ، في حين رحب الثاني بهذه الهدنة لمواجهة الخطر الوهابي الذي بدأ يهدد بلاده في هذا الوقت[٣] • ولكن ما ان تمت تسوية الخلاف بين العثمانيين وسلطان بتوسط المقيم البريطاني المستر منيستي Manesty[٤] ، حتى عادت حالة الحرب

= طول الساحل الشرقي (Fraser, Op. Cit., p. 15)
مقابل ايجار سنوي ثابت يبلغ ٦٠٠٠ تومان

(Miles, pp. 286-7)

وقد ظلت بندر عباس تابعة لمسقط حتى سنة ١٨٦٨ ، حينما ألغت الحكومة الفارسية هذا الاتفاق •

(Lockhart, Persian Cities, p. 179);

وبكل هذه الاعمال تمكن سلطان من فرض قبضة قوية على مدخل الخليج •

(١) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, pp. 422, 634.

(٢) Ibid, pp. 422, 635; S.R.B.G. No. XX1V, pp. 302-3, Warden, Joasmees'; Grant, Op. Cit., p. 551.

(٣) Miles, Op. Cit., p. 289, Grant, Op. Cit., p. 551

(٤) S.R.B.G. No. XX1V, p.303, 'Warden Joasmees'; Miles, Op. Cit,. p. 289.

أما لوريمر فيقول ان التسوية تمت بدون تدخل البريطانيين ، بين متسلم البصرة وقائد الاسطول المسقطي ، الذى كان آنذاك في بوشهر • (Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 422.

القائمة بين مسقط والقواسم • وكان من ابرز عملياتها ، قيام سلطان بهجوم بحري على ميناء دبا القاسمي ، الذي انتهى بالاندحار[1] •

لقد استمرت الحرب حتى نهاية القرن الثامن عشر ، ومما زادها ضراوة دخول القواسم في التبعية الوهابية منذ بداية القرن التالي • وهذا ما سنتناوله في الفصل التالي •

سادسا ـ نشاطات القواسم على الساحل الشرقي من الخليج :

القواسم احدى القوى التي استغلت فترة الاضطراب في الدولة الصفوية ، في اخريات ايامها ، لتحقيق مطامح توسعية في الساحل الشرقي والجزر القريبة منه • ففي خلال الفوضى التي اعقبت سقوط الدولة الصفوية ، قام الشيخ راشد بن مطر ، بالاستيلاء على (باسيدو) في جزيرة قشم ، حيث انشأ مستوطنة ، عانت منها الكمارك المتحصلة في بندر عباس ، التي كان يتقاسمها الفرس والانكليز ، بدرجة كبيرة • وقد دفع هذا الامر بوكيل الشركة البريطانية في بندر عباس ، المستر درابر W.H. Draper الى القيام بحملة بحرية ، في نيسان ١٧٢٧ ضد الشيخ راشد ، تألفت من السفينتين (بريتانيا Britannia) و (بنغال Bengal) وترانكيان ، وكانت نتيجة الحملة انه نجح في اجبار الشيخ القاسمي على دفع التعويض عن الخسائر المالية التي سببها للشركة[2] • وقد مر بنا ان الفرس في محاولاتهم الثلاث لاحتلال عمان ، اتخذوا من رأس الخيمة ، قاعدة لتحركاتهم ، كما كانت آخر المواقع التي انسحبوا منها بعد موت نادر شاه في ١٧٤٧ ، ولكن السيطرة الفارسية لم تكن مطلقة ، وظل الفرس يشعرون

---

(١) Ibid, pp. 422, 635; Hawley, Op. Cit., p. 96.

(٢) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 631; Wilson, Op. Cit., p. 175; Hawley, Op. Cit., p. 92.

بالريبة من مواقف القواسم ، كما مر بنا .

دفع موت نادر شاه ، وتدهور البحرية الفارسية ، القواسم الى مسرح الاحداث العام[1] ، بشكل بارز . اذ وجهوا طاقاتهم ، منذ ظهورهم الاول خارج موطنهم ، لاستغلال الاجزاء القريبة من الساحل الشرقي ، ولتشجيع او مقاومة سياسة جارهم امام عمان ، كما تملي عليهم المصالح الآتية[2] .

على أثـر اغتيال نادر شاه ، عمـد ملا علي شاه[3] ، الذي كان قـد استحوذ على قطع الاسطول الفارسي التي تحت امرته ، في سبيل التخلص من الضغط الواقـع عليه نتيجـة لمطالبته بالاتاوة من اكثر من جهة واحـدة ، وللتهديد الواقع عليه من قبل ناصر خان ، حاكم لار الوراثي ، الى تأمين حصوله على مساعدة القواسم ، فتحالف مـع شـيخهم بأن زوج ابنته له في سنة ١٧٥١[4] . وقد حقق هذا التحالف مصلحة مشتركة للطرفين . اذ مهـد السبيل للقواسم لتحقيق طموحاتهم التوسعية في اجزاء مهمة من الساحل الشرقي ؛ ذلك ان الحلف قوى من مركزهم بين قبائلهم فأصبح بمقدورهم

---

(١) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 631.

(٢) Ibid, p. 632.

(٣) ضابط عربي كان حاكما لبندر عباس وتوابعها Ives, Op. Cit., p. 202 سبق لنادر شاه ان عينه قائدا لجزء من الاسطول الفارسي في بندر عباس (أمين ، القوى البحرية ، ص٢١) .

(٤) S.R.B.G., No. XX1V, p. 300, 'Warden, Joasmees'; Grant Op. Cit., Vol. 1, p. 550; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 632,

أمين ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

الاستيلاء على قشم ولافت ولنجة[1] • اما بالنسبة الى ملا علي شاه ، فان دعم هذه القبيلة القوية مكنه من مواجهة تهديدات ناصر خان ، الـذي كان آنذاك أقوى حاكم في الساحل الشرقي • ويشير آيفس Ives الى هـذه الناحية ، وكان قـد مر بالخليج في سنة ١٧٥٧ في رحلته من الهنـد الى انكلترا[2] :

« هذا القائد [ملا علي شـاه] ••• كان مهددا غالبا من قبل ناصر خان ، وربما كان بمقدور الاخير ان يجعل منه امثولـة منذ وقت طويل ، لولا ارتباطـه بشيخ قـوى على الساحل العربي متزوج من ابنته ، وكان على الدوام مستعدا لمساعدته بالسفن لنقله الى الجزر ، وبالرجال للدفاع عن نفسه هناك في حالة تعرضه الى هجوم » •

باغت ناصر خان ملا علي شاه في اواخر كانون الثاني من عام ١٧٥٢ ، فاحتل بندر عباس وأسره ، كما استولى على اسطوله هناك ، وعاد الى لار مع أسيره ، بعد ان عين حاكما جديدا لبندر عباس[3] ، كما أوكل الى ضابط آخـر بأمر قيادة الاسطول[4] • ولكنه في شهر تشرين الثاني من السـنة ذاتها عمد الى اعادة ملا علي شاه لمركزه السابق كحاكم لبندر عباس وقائدا للاسطول ، بسبب فشل القائد الجديد للاسطول بادارة شؤونه ، بعـد ان

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 300, 'Warden, Joasmees'; Grant, Op. Cit., 1, 550.

(٢) Ives, Op. Cit., p. 202.

(٣) Amin, Op. Cit., p. 28.

(٤) **أمين ، المصدر السابق** ، ص٢٣ •

اعترف ملا علي لناصر بالسيادة[١] ، كما وعد بأن يقدم له مبلغ ألف تومان سويا ومدفعين ، الا انــه « لم يف بوعده ، كما لا يبدو ان لديــه النيــة بتنفيذه »[٢] • فقد رفض اطاعة اوامر ناصر خان في تشرين الاول ١٩٥٣ ، الذي امره بتسيير الاسطول ضد عرب البحرين، وأعلن تمرده واستقلاله[٣] • وكتدبير احتياطي ، قام ملا علي شاه في اوائل السنة التالية بالاستيلاء على حصن هرمز ، ولكنه واصل الاقامة في بندر عباس ، محتفظا بسفينة فارسية ومبقيا أخرى في هرمز • وقد اتخذ هذا الاجراء ، كما يقـول الـوكيل البريطاني في بندر عباس ، فرانسيس وود F. Wood لتكون هذه السفينة كخط رجعة له في حالة تعرضه لهجوم ناصر خان[٤] • ولكن انشغال الاخير بصراعه مع كريم خان الزند ، جعله يعجز عن القيام بمثل هذا الهجوم[٥] •

ما ان احس ملا علي شاه بسلامة وضعه ، حتى طمع بمد سيطرته على اجزاء اخرى من الخليج ، متحالفا مع شيخ القواسم • اذ قام الاثنان بحملة ضد جزيرة قشم ، موطن قبيلة بني معين[٦] ، في مايس من سنة ١٧٥٥[٧] •

---

(١) Amin, Op. Cit., p. 28.

(٢) [1.0] Selections from state Papers, 1600-1800, p. 114.

(٣) Amin, Op. Cit., p. 28.

(٤) [1.0] Selections from state Papers, p. 90.

(٥) Amin, Op. Cit., pp. 28-9.

(٦) قبيلة عربية صغيرة ولكنها كانت نشطة جدا في هذه الفترة ، قاعدتها الرئيسة في جزيرة قشم ، كانت في هذا الوقت تحت زعامة شيخها المسن ولكن النشط عبد الشيخ ، الذي يشار اليه في السجلات بلقب حاكم قشم •
(Amin, Op. Cit., Footnote 2, p. 27).

(٧) Ibid, p. 29.

حاصر المهاجمون لافت المقر الرئيس لزعيم القبيلة ، عبد الشيخ • وبعد مقاومة باسلة للقبيلة ، توفي في اثنائها زعيمها البالغ من العمر ثمانين عاما ، بعد ان قاوم المهاجمين بنشاط طوال مدة ستة اشهر ، اضطروا الى الاستسلام[١] • وقد عزز هذا النصر مركز ملا علي شاه وشيخ القواسم ، وجعلهما سيدين على منطقة مهمة من الخليج تضم بندر عباس وهرمز وقشم[٢] • وهكذا نجح القواسم ، في خلال ذلك الوقت ، من الحصول على موطىء قدم في قشم ولافت وكذلك في لنجة وشناص على الساحل الشرقي[٣] فخلق منهم قوة خطيرة في المنطقة ، هددت السيادة البحرية العمانية • فكان ذلك من اهم عوامل العداء والحروب بين الطرفين •

واجه القواسم وحليفهم ملا علي شاه خطرا كبيرا هدد مكانتهما في اوائل سنة ١٧٦٠ • فقد ثار أهالي هرمز ضد ملا علي شاه وأسروه ، كما سيطروا على القلعة والسفينة (فائز رباني)[٤] • واعقبت هذه الثورة قيام حركة عصيان ضد سلطته في بندر عباس ، ونجح الثوار في السيطرة على قلعتها ، مجبرين معاوني وأنصار ملا علي شاه على الفرار الى الجزر القريبة[٥] • ولما كان جعفر خان ، شقيق ناصر خان ، موجودا في وقت

---

(١) Amin, Op. Cit., p. 29.

(٢) Ibid.

(٣) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 632.

(٤) Amin, Op. Cit., p. 46.

هذه السفينة والاخرى المسماة (الرحماني) كانتا آخر ما تبقى من سفن الاسطول الفارسي الكبيرة • وكانت الرحماني في وقت وقوع الثورة في ميناء لافت • (Ibid) •

(٥) [1.0] Selections from State Papers ,p. 136.

وقوع هذا التمرد في منطقة مجاورة ، على رأس قوة مؤلفة من ۲۰۰۰ رجل. فقد انتهز هذه الفرصة ، طالبا من الثوار تسليمه القلعة باسم اخيه ، باعتباره سيد فارس ، واستجاب الثوار لطلبه فتسلم قيادة القلعة(١) .

بادر القواسم لمواجهة الموقف ، فهرعوا الى هرمز باسطول مؤلف من السفينة الكبيرة (الرحماني) ، وعدد كبير من السفن الصغيرة ، لاخماد الثورة وانقاذ حليفهم . ولكنهم فشلوا في اقتحام القلعة ، فاضطروا على الانسحاب الى قشم(٢) . وهنا واجهوا ثورة قبيلة بني معين بقيادة شيخها عبدالله ، ابن أخ عبد الشيخ ، للتخلص من سيطرتهم واستعادة استقلالهم . وعلى الاثر تكون حلف ضد القواسم ، ضم هذا الثائر وحاكم بندر عباس ، جعفر خان ، وثوار هرمز . وقام الاخيرون بتسليم السفينة (فائز رباني) الى جعفر خان لضمها الى اسطول قبيلة معين(٣) .

قاد الشيخ عبدالله اسطوله ضد قشم ، ولكنه لم ينجح في تحقيق نصر ما . اذ وصلت الامدادات الى القواسم في تلك الجزيرة من رأس الخيمة . وبحسن استخدامهم للسفينة (الرحماني) حالوا دون اقتراب الاسطول المهاجم منهم ، بل تمكنوا من رده ومطاردته حتى هرمز(٤) .

وتيجة لهذا الفشل ، حاول الشيخ عبدالله المعيني الحصول على مساعدة

---

(١) Selections from State Papers ,p. 136.

(٢) Ibid. ؛ أمين ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

(٣) على الرغم من هذا التحالف ، فأن ثوار هرمز ظلوا محتفظين بملا علي شاه أسيرا لديهم ، ولم يكن لديهم الاستعداد لتسليمه الى ناصر خان الذى كان يطالب به . ويبدو أنهم على الرغم من ادعائهم الظاهري بالولاء للخان ، الا أنهم لم يكونوا راغبين في الخضوع التام لسيطرته .

Selections from state Papers, p. 137).

(٤) أمين ، المصدر السابق ، ص٢٥ ــ ٢٦ .

امام عمان ضد القواسم ، فتوجه الى مسقط على ظهر (الفائز رباني)[1] • وفي خلال غيابه ، حصل تطور جديد في الموقف • ففي ٢٤ حزيران ١٧٦٠ ، قام الزعيم القاسمي الشيخ راشد بن مطر على رأس ألف من اتباعه ، يصحبه ملا علي شاه – الذي نجح في الفرار في اوائل هذا الشهر من هرمز ووصل الى قشم – بالانزال على بعد خمسمائة ياردة من ميناء بندر عباس واقتحم المدينة واستولى عليها ، ولكنه فشل في احتلال القلعة التي يتحصن بها جنود جعفر خان ، واستمر تبادل اطلاق النيران بين الجانبين حتى ٢٨ حزيران ، انسحب القواسم على الاثر عائدين الى قشم[2] • وعلى اثر ذلك قام خان لار بتظاهرة عسكرية ضد لنجة ورأس الخيمة ، ولكنه وجد ان كلا الموقعين كانا اكبر قوة واكثر تهيئة لكي يمكن مهاجمتهما بصورة مؤثرة ، فتراجع عن هدفه ، وفي طريق العودة قام بالاغارة على قشم ونهب كل ما وجد امامه[3] •

عاد الشيخ عبدالله المعيني من مسقط ، بعد وقت قصير من هجوم القواسم على بندر عباس الآنف الذكر ، يرافقه اسطول صغير ارسله معه امام عمان ، مؤلف من (غراب) وثلاث سفن صغيرة ، ومع (الفائز رباني)، اندفع مهاجما قشم • ولكن هجومه فشل بفعل نيران مدافع (الرحماني) والسفن الصغيرة الاخرى المدافعة عن الجزيرة[4] • لقد استمرت المناوشات بين الاطراف المتنازعة حتى اواخر سنة ١٧٦٠ ، لم يستطع في خلالها اي

---

(١) أمين ، المصدر السابق ، ص٢٦ •

(٢) Selections from State Papers, p. 139; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 632.

(٣) Selections from State Papers, p. 139; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 632.

(٤) أمين ، المصدر السابق ، ص٢٦ •

فريق ان يحقق نصرا حاسما •

هاجم القواسم بالاتحاد مع ملا علي شاه هرمز ، في سنة ١٧٦١ ، حيث كانت اسرته لا تزال في الاسر ، ولكن الفشل كان نصيب هذا الهجوم[١] • واستمر الصراع بين ناصر خان وحلفائه بني معين من جهة ، وبين القواسم وحليفهم ملا علي شاه من جهة اخرى ، خلال عامي ١٧٦١ و ١٧٦٢ ، تمكن القواسم في خلالها من ايقاع هزائم عسكرية عديدة بقوات ناصر خان[٢] • على انه في سنة ١٧٦٣ ، تم التوصل الى عقد الصلح بين القواسم وحليفهم ملا علي شاه من جهة وبين بني معين من جهة اخرى، كان من شروطه توزيع واردات جزيرة قشم بالتساوي بين الاطراف الثلاثة، كما نص الاتفاق على احتفاظ شيخ القواسم بالسفينة (الرحماني)[٣] •

ويبدو بالرغم من تضاؤل المعلومات عن تطور الاحداث بعد عقد هذا الصلح ، بأن ناصر خان ، الذي أصبح أحد اتباع كريم خان الزند[٤] ، ظل محتفظا ببندر عباس في سنة ١٧٦٥ ، في حين ان هرمز كانت خاضعة لملا علي شاه ، الذي كان يحكم جزءا من جزيرة قشم ، في حين ان الجزء

---

(١) [1.0] Selections from state Papers, pp. 147-8; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 632.

(٢) انظر : أمين ، المصدر السابق ، ص٢٧ •

(٣) [1.0] Selections from state Papers, p. 158; Lorimer, Op. Cit., IA, pp. 632-3.

(٤) في سنة ١٧٦١ ، تم عقد الصلح بين كريم خان وناصر خان جرى فيه تثبيت الاخير حاكما على مقاطعة فارس ، بشرط أن يدفع مبلغ ألفي تومان سنويا وأن يعترف بسلطة كريم خان في تلك المنطقة •

[1.0] Selections from state Papers, p. 147.

الباقي من هذه الجزيرة تحت سيطرة القواسم[1] .

ما لبثت الحرب ان تجددت بين القواسم وبين قبيلة بني معين بعد وقت قصير من ذلك الاتفاق . فقد قام كريم خان الزند ، الذي كان يسعى الى تثبيت سيطرته على جنوب ايران ، بتعيين منافس القواسم ، الشيخ عبدالله المعيني حاكما على بندر عباس وهرمز وقشم ، في اواخر سنة ١٧٦٥ . وقد نجح الاخير في اخراج القواسم من المناطق التي تحت سلطته[2] . ولكن لم تمض سنة واحدة الا وتوفي الشيخ عبدالله . فانتهز القواسم فرصة موته وما رافقها من وقوع الانقسام بين اولاده ، فقاموا بمضاعفة نشاطهم لاستعادة سيطرتهم على الاماكن التي فقدوها[3] . وكانت الحرب سجالا بينهم وبين قبيلة بني معين ، من اجل السيطرة على قشم حتى سنة ١٧٧٧ . اي الى الوقت الذي توصل فيه الطرفان الى ازالة الاختلافات بينهما ، وذلك عن طريق المصاهرة . اذ تزوج شيخ القواسم الجديد ، صقر بن راشد ، من احدى بنات الشيخ الراحل عبدالله المعيني[4] . كما يبدو ان شيخ القواسم تمكن في اوائل الثمانينات ايضا من التوصل الى اتفاق مع الشيخ ناصر حاكم بوشهر[5] . حيث قام ، في سنة ١٧٨٢ ، بدور الوسيط بين

---

(١) أمين ، المصدر السابق ، ص٢٧ ؛
Niebuhr, Op. Cit., II, p. 141.

(٢) Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 633.

(٣) S.R.B.G., No. XX1V, p. 300 'Warden, Joasmees'.

(٤) Ibid, p. 301; Wilson, Op. Cit., p. 201.

(٥) ينتسب الشيخ ناصر الى قبيلة بني ناصر ، وهي فرع من قبيلة المطاريش العربية . قدمت من عمان الى الساحل الشرقي من الخليج في أواخر القرن السابع عشر أو أوائل القرن الثامن عشر ، واتخذت من بوشهر قاعدتها الرئيسة ، معتمدة في حياتها على=

الشيخ ناصر وبين العتوب(١)، الذين استولوا على البحرين في تلك السنة ٠ وانتدب الزعيم القاسمي والده ، الشيخ السابق راشد بن مطر ٠ ولـكن الوساطة لم تنجح بسبب تشدد العتوب في موقفهم ٠ وقد دفع هذا بالشيخ صقر بن راشد للانضمام الى حملـة الشيخ ناصر على البحـرين لاستعادة الجزيرة ٠ وكان من اسباب اتخاذه لهذا الموقف ، غضبه من قيـام العتوب بأسر احدى سفنه وقتلهم ثمانية عشر من بحارتها(٢) ٠ وقد جرى الانزال في الزبارة ، ولكن المهاجمين بوغتوا بهجـوم مضاد ، وبعـد قتال ضار ، راجع المهاجمون مخلفين وراءهم عدداً من القتلى كان من بينهم ابن اخي الشيخ راشد(٣) ٠ وهكذا حينما أوشك القرن الثامن عشر على الانتهـاء ،

= البحر ، وساهمت سفنهم في نقل تجارة الخليج ٠ أشهر زعماء هذه القبيلة هو الشيخ ناصر ، الذى حكم بوشهر لمدة حوالي أربعين عاما حتى وفاته في ١٧٨٩ ٠ وقد خلفه في الزعامة ابنه الشيخ ناصر الثاني ، الذى كانت تعوزه قدرة والده ، فلم يكن له نفوذ في سياسات الخليج ٠
(Kelly, Op. Cit., pp. 42-3)

(١) العتوب قبيلة عربية من فصيلة عنزة ٠ هاجرت في خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر الى الجانب الشرقي من شبه جزيرة العرب ٠ وكونوا امارة في قطر قاعدتها الزبارة ، ومنها تفرقوا على أجزاء عديدة من ساحل الخليج ٠ فأنشأوا امارة الكويت في حوالي منتصف القرن الثامن عشر ٠ كما احتل فرع آخر منهم جزر البحرين في سنة ١٧٨٢ ٠ من أفضل الدراسات عن نشأة العتوب ودولهم ، كتاب :
(Ahmad M. Abu Hakima, History of Eastern Arabia 1750-1800, The Rise and Development of Bahrain and Kuwait, (Beirut, 1965).

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, 301; Lorimer, Op. Cit., Vol. IA, p. 634.

(٣) Abu Hakima, Op. Cit., pp. 113-14.

تكررت محاولات اخضاع البحرين من جانب الشيخ ناصر ، ولم =

كان القواسم قد ثبتوا أنفسهم بقوة في جزيرة قشم وميناء لنجة • وبتحكمهم بمدنهم المحصنة في الساحل الغربي ، اصبحوا « يتحكمون بكلا طرفي المضيق الضيق من مدخل الخليج العربي »[1] •

سابعا ـ موقف القواسم من البريطانيين :

١ ـ النشاطات البريطانية في الخليج في النصف الثاني من القرن الثامن عشر :

قبل ان نتعرض الى نوع العلاقة بين القواسم والبريطانيين ، نجد ان من الضروري توضيح مركز الاخيرين في الخليج ، وطبيعة نشاطاتهم فيه ، وعلاقاتهم بالقوى الاخرى في هذه الفترة • ذلك ان هذه النواحي مجتمعة هي التي حددت الموقف البريطاني •

ان مسحا عاما وسريعا للاوضاع في المنطقة ، يظهر ما يلي : ـ

١ ـ انحسار المنافسة الاوربية الاقتصادية امام البريطانيين •

٢ ـ اضطراب عام في المنطقة شمل الجزء الاكبر من تلك الفترة ، أثر بشكل مباشر في الناحية التجارية ، وقاد الى تدهورها •

٣ ـ تزايد اهمية الخليج كطريق قصير لنقل البريد بين الهند واوربا •

لم يكد العقد الاول من النصف الثاني من القرن يوشك على الانتهاء ، حتى كان النفوذ الهولندي يواجه نهايته • وكان احتلال (مير مهنا) لآخر معاقلهم في المنطقة ، جزيرة خارج في ١٧٦٥ ، قد وضع خاتمة لوجودهم

= يصرف عنها النظر حتى سنه ١٧٨٥ • انظر :

Ibid, p. 119; S.R.B.G., No. XX1V, p. 301, 'Warden, Joamees').

(١) Chalres Belgrave, The Pirate Coast (London, 1966) p. 28.

العملي فيه • وعلى الرغم من ظهور نشاط فرنسي حوالي ذلك الوقت ، وقيام علاقات تجارية مهمة بين الفرنسيين في موريشيوس وبين عمان في أواخر القرن ، الا ان النشاط الفرنسي لم يتسم بالثبات • ولكن الخليج ، من ناحية اخرى ، مثل في خلال تلك الفترة جزءا من ميدان الصراع الحربي بين بريطانيا وفرنسا في البحار الهندية • ففي خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ، نشطت السفن الحربية الفرنسية في توجيه الضربات للسفن البريطانية في مياه الخليج • كما اتبع الفرنسيون نفسه ذلك الأسلوب في حربهم الثانية مع بريطانيا (١٧٧٨ - ١٧٧٨٣)[١] • ومن الجدير بالذكر ، ان الحرب الاخيرة ، كانت نقطة تحول في تطوير السياسة الاستعمارية البريطانية التي أصبحت تقوم على التحكم بالنقاط الستراتيجية من اجل الاحتفاظ الدائمي بها ، كجزء من نظام دفاعها البحري[٢] • كما كانت احدى نتائج هذه الحرب الاخرى ، تحول ميزان الامبراطورية البريطانية من الغرب الى الشرق • فبفقدان المستعمرات الاميركية ، اصبحت قوة وثروة بريطانيا تعتمد في ذلك الوقت على السيطرة والتمسك بمستعمراتها في آسيا[٣] •

ادت التطورات المشار اليها اعلاه ، الى تبلور أهمية الخليج في نظر كلتا الدولتين • فبالنسبة الى بريطانيا ، أصبح أمر احكام السيطرة على الهند[٤] ،

(١) لتفاصيل هذه الهجمات ، انظر :
Miles, op. cit., pp. 269-70, 274-5, 277-8.

(٢) Vincent T. Harlow, The Founding of the Second British Empire, 1763-1793. (London, 1952), Vol. I, p. 103.

(٣) Coupland, p. cit., p. 91.

(٤) يمكن أن نحدد نقطة التحول لصالح الشركة البريطانية في الهند بسنة ١٧٦٥ • ففي تلك السنة تمكنت من امتلاك البنغال =

والتحفز لمواجهة اي تهديد من قوة اخرى يزعزع تلك السيطرة ، والتحكم بمواصلات آمنة بين سواحلها والعالم، مبادىء اساسية في السياسة البريطانية• ولما كان الخليج العربي يحتل موقعا مركزيا في الطريق الى الهند ، فقد اصبحت اهميته الستراتيجية الخطيرة محط اهتمام متزايد من قبل بريطانيا لغايات دفاعية واقتصادية • ان فهم هذه الحقيقة يوضح اهتمام بريطانيا وعنادها في ابقاء وجودها في الخليج على الرغم من تدهور الاوضاع التجارية فيه آنذاك • في حين كانت المخططات الفرنسية ترمي الى توجيه ضربة مميتة لبريطانيا بانتزاع الهند • ولما كان من غير العملي ارسال اسطول فرنسي عن طريق رأس الرجاء الصالح ، نظرا لتفوق البحرية البريطانية ، فقد اصبحت الخطة تعتمد على سلوك طريق بري الى الهند • وكانت هناك عدة مخططات لتنفيذ ذلك ، اختلفت بحسب التطورات السياسية في اوربا والشرق الاوسط • وكان الخليج يحتلّ مكانة مهمة في معظم تلك المخططات[1] • وقد مثلت الفترة النابليونية (١٧٩٨ – ١٨١٠) ، قمة

= وبيهار واريسا • وبذلك حققت أول اكتساب اقليمي لاية ولاية في الهند • وتحولت الشركة على الاثر الى جهاز حاكم •

(Judith Williams, British Commercial and Trade Expantion 1750-1850, (Oxford, 1972), p. 309).

اذ أصبحت الشركة هي التي تقوم بجباية ضرائب مقاطعة البنغال، بموجب المعاهدة التي عقدها اللورد كلايف مع الامبراطور المغولي • وبمرور الوقت تزايد عدد المقاطعات الممنوحة وكلما تزايد عدد المناطق المفتوحة تزايد الدخل •

انظر : C. Northcote Parkinson, Trade in the Eastern seas, (London, New Imp. 1960), pp. 3-4.

(١) كانت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ، ثمرة لجهود جيل من الساسة الفرنسيين في الشرق الاوسط ، ترجمت الى عمل فعلي =

الصراع البريطاني ـ الفرنسي لتحقيق التفوق • ومن خلالها أخذ الشكل العام للسياسة البريطانية في الخليج بالتكامل •

ومن الناحية الاخرى ، عانت التجارة البريطانية في المنطقة ارتباكا كبيرا شمل معظم النصف الثاني من القرن الثامن عشر • فقد أدى اضطراب الأوضاع في ايران • وفقدان القوة المهيمنة الى تدهور تجارة الشركة الانكليزية في بندر عباس في الفترة ١٧٥٦ـ١٧٦٢[١] • كما كان الهجوم الفرنسي على الوكالة في بندر عباس واحراقها في ١٧٥٩ ضربة مؤلمة اخرى[٢] • ولذلك فقد قرر مجلس المديرين سحب الوكالة من ذلك الميناء ، فأغلقت في مارت ١٨٦٣ ونقلت الى البصرة التي اصبحت المركز الرئيس لتجارة البريطانيين في الخليج[٣] • ومما يستدعي التنويه في هذه المناسبة ، ان البريطانيين في خلال انسحابهم من بندر عباس حاولوا نهب بضائع الفرس المخزونة في بيت ملكيته تعود في السابق الى الهولنديين ،

= في ظروف مناسبة • فمنذ عام ١٧٩٢ ، اعتبر هذا المشروع وسيلة لتوجيه ضربة قاسية لبريطانيا ، وقد قامت فرنسا في ١٧٩٣ ، بارسال عدة بعثات الى أقطار مجاورة للخليج ، كان من أشهرها البعثة الشهيرة للعالمين الطبيعيين ، بوركي واوليفر Burquiere and Oliver • وكان من بين أهداف هذه البعثة : الحصول على اذن بانشاء تحصينات في بندر عباس ، وتأمين الحصول على مساعدة فارسية لغزو الهند من الشمال • الا ان هذا المشروع لم يدخل مرحلة التنفيذ العملي •
(Adamiyat, op. cit. pp. 40-1).

(١) Amin, op. cit., p. 42.

(٢) Kelley, Britain and the Persian Gulf, p. 51; Lockhart, Persian Cities, pp. 178-9.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن تدهور وضع الوكالة في بندر عباس والاسباب التي دعت الى سحبها ، انظر :
Amin, op. cit., pp. 42-51.

ولكنهم فشلوا في محاولتهم لنجاح الفرس في النجاة بممتلكاتهم • كما حاولوا الاستيلاء على سفينة ملا علي شاه (الرحماني) ، التي كانت راسية في لانت ، وابحروا بالفعل الى هناك ولكنهم قرروا العودة بعدها حينما اكتشفوا انه من غير المأمون الاقتراب من لافت – بسبب حجم سفنهم –[1] •

على الرغم من اغلاق الوكالة في بندر عباس ، حاولت الشركة الانكليزية الابقاء على اتصالها التجاري مع جنوبي ايران • ونجح وكيل للشركة في ١٢ نيسان ١٧٦٣ في عقد اتفاقية مع حاكم بوشهر ، الشيخ ناصر ، لانشاء مركز تجاري في بوشهر[2] • ولم تمض ثلاثة أشهر حتى حصلت الشركة على تثبيت امتيازاتها في بوشهر ، بفرمان صدر من كريم خان الزند ، منح بموجبه للشركة امتيازات واسعة[3] • وكان كريم خان يرمي من وراء ذلك ، الحصول على مساعدة اسطول الشركة لمد نفوذه الى الساحل والجزر القريبة • وبالفعل ، وفي خلال السنوات القلائل التالية ، تعاونت سفن الشركة المسلحة معه ، في حملات لاخضاع القبائل العربية

---

(١) Amin, op. cit., pp. 70-1.

(٢) Kelly, op. cit,. pp. 52.

(٣) للشركة الحق في انشاء المراكز وتحصينها في أي ميناء فارسي ، اعفاء تجارتها من الضرائب الكمركية ، وحددت الضرائب المفروضة على البضائع الانكليزية التي يبتاعها التجار الفرس ب ٣٪ ، وتحتكر الشركة توريد البضائع الصوفية الى ايران وتتعهد الحكومة الفارسية باستحصال ديوان الشركة وحماية سفنها وبضائعها في حالة تحطمها على السواحل والجزر الفارسية ، الى جانب مواد أخرى وردت في ذلك الفرمان الشهير • انظر نص الفرمان في :

J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, (U.S.A., 1956), Vol. I, pp. 52-4.

الساحلية ، واحدة منها وجهت ضد مير مهنا ، زعيم بندر ريق ، في ١٧٦٨ وانتهت بالفشل[١] • وقد عانت الشركة بعد موت كريم خان (١٧٧٩) ، من حالة تدهور كبير بسبب الاضطراب الذي عم أرجاء ايران جراء الصراع على العرش ، ومن ثم الحروب التي نشبت بين الزنديين والقاجاريين[٢] • وليس أدل على هذا التدهور في حالة الوكالة من الوضع التي كانت عليه بنايتها في بوشهر التي كانت حسب ما عبر عنه المقيم جون بيمونت Beaumont « معرضة للانهيار في اول زخة مطر تاليه »[٣] •

اما بالنسبة الى تجارة الشركة في البصرة فقد حققت انتعاشا ملحوظا حتى سنة ١٧٧٣ • ولكنها اصيبت بتدهور كبير بعد ذلك التاريخ • ولعل من بين اهم الاسباب التي ادت الى ذلك التدهور ، اجتياح وباء الطاعون للبصرة في سنة ١٧٧٣ الذي ادى الى توقف الحركة التجارية وجرى سحب المركز مؤقتا[٤] • وحينما حلت الكارثة الثانية بعد حوالي السنتين متمثلة بحصار الفرس للبصرة والاستيلاء عليها (١٧٧٦–١٧٧٩) ، بدا المستقبل امام الشركة قاتماً تماما • ولكن تشبث سلطات بومباي بابقاء وجودها في المدينة ، يرجع الى اندلاع الحرب مع فرنسا ، والحرص على ابقاء الاتصالات بالبحر المتوسط من خلال العراق • وفي الواقع اصبحت مهمة مقيمية البصرة الاساسية تتركز في كونها مركزا لبريد الشركة بين الهند وانكلترا[٥] •

---

(١) انظر : Amin, op. cit., pp. 75-8; Kelly, op. cit., pp. 52-3.

(٢) انظر : Morier, op. cit., p. X1V.

(٣) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 53.

(٤) Amin, op. cit., p. 109.

(٥) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 160; Kelly, op. cit., p. 53.

حقق استخدام الطريق الصحراوي ، الذي يمر عبر العراق وسوريا لنقل البريد[1] ، فوائد جمة للبريطانيين في خلال حرب السنوات السبع وما بعدها ، لما يوفره من وقت لـه اهميته الكبرى بالنسبة الى المبادرات العسكرية البريطانية[2] • وأصبح من المعتاد منذ ذلك الوقت القيام بارسال نسخ من المراسلات الرسمية بواسطة هذا الطريق ، في حين ترسل النسخ الاصلية بطريق رأس الرجاء الصالح[3] •

---

(١) كان هذا الطريق يربط بين حلب والبصرة بصورة مباشرة عبر الصحراء • وهو من أقدم الطرق التي تربط أوربا وآسيا وأكثرها مباشرة ، أما الطريقان الآخران فهما طريق البحر الاحمر وطريق قزوين • من أفضل المراجع عن وصف هذا الطريق وأهميته كتاب :

The Deset Route to India, Being the Journals of four travelers by the great desert Caravan Route, ed. Douglas Carruthers, (Germany, Rep. 1967).

(٢) من أمثلة ذلك ، أنه في سنة ١٧٥٧ علم الانكليز بنشوب الحرب في اوربا بين فرنسا وبريطانيا عن هذا الطريق ، فقاموا بمهاجمة القلعة الفرنسية في شاندرناكور Chandernagore في ٢٤ مارت وقبل أن يكون لدى الفرنسيين أي علم بالتطورات في اوربا • وأسفر الهجوم عن استسلام القلعة •

(Milburn, op. cit., (London, 1831), Vol. 1. p. 394).

وفي مناسبة أخرى ، حينما وصلت الى الهند أخبار دخول الفرنسيين في الحرب الامريكية سنة ١٧٧٨ ، باغت الانكليز الفرنسيين بمهاجمة بوندشيري واستولوا عليها قبل أن يتاح للآخرين وقت للاستعداد (Coupland, op. cit., p. 91) •

(٣) كانت الرسائل تحمل من بومباي الى البصرة ، حيث يسلم البريد الى السعاة ، الذين يحملونها من المحطة القائمة في الزبير وعبر الصحراء الى حلب • ومن هناك تتجه الى الاستانة وتحول منها الى فينا ومنها الى لندن • يستغرق الساعي وقتا يتراوح مابين=

يبدو لنا مما سبق ان الاعتبارات السياسية والستراتيجية ، اصبحت لا تقل اهمية عن المصالح الاقتصادية في نظر البريطانيين • كما يتضح لنا انه منذ انهيار السيطرة البرتغالية في الخليج في منتصف القرن السابع عشر ، لم يجر أي اتصال مباشر بين ساحل (الشمال) ـ مواطن القواسم ـ وبين الانكليز وغيرهم من الاوربيين • وفي الواقع ، ان مسقط ، الواقعة خارج الخليج العربي ، كانت الميناء العربي الوحيد الذي كانت تتردد عليه السفن الاوربية[١] • وكان خط الملاحة الرئيس في الخليج ، يسير بمحاذاة الساحل الشرقي ؛ بل « لم تغامر سفينة اوربية بالتوجه الى القسم الغربي من الخليج منذ خروج البرتغاليين » و « كانت تتجنب دائما هذا الجانب من الساحل ، لان القليل هو ما كان يعرف عنه • وكان يعتبر منطقة غير مأمونة »[٢] •

٢ ـ الاصطدام القاسمي ـ الانكليزي :

المرحلة المبكرة ١٧٧٨ ـ ١٧٩٧

لم تكن هناك اية علاقات ايجابية بين القواسم والبريطانيين في هذه الفترة • وكل ما يلاحظ فان هناك مواقف سلبية بين الطرفين تمثلت بهجمات

= ١٣ الى ٤٠ يوما ليصل الى حلب ، ولو أن المعدل هو ١٥ يوما • وعند نهاية القرن وحينما تأسست مقيمية في بغداد ، كان البريد يرسل عبر هذه المدينة مباشرة الى الاستانة • ومعدل الوقت بين بغداد ولندن يستغرق من ١٠ الى ١٢ اسبوعا (Kelly, op. cit., p. 53) . في حين يستغرق وصول البريد بين الهند ولندن عن طريق الرجاء الصالح أحد عشر شهرا • (د • صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ص٢٢ •

(١) Kelly, op. cit., p. 60.

(٢) Ibid.

قام بها القواسم ضد سفن مبحرة تحت العلم البريطاني، وردود فعل السلطات البريطانية من تلك الهجمات • وفيما يلي أبرز تلك الوقائع :

١ ـ اول هذه الهجمات جرت في كانون الاول من سنة ١٧٧٨ • حيث قامت ست سفن قاسمية بالهجوم على سفينة انكليزية تحمل رسائل رسمية • وبعد معركة بحرية دامت ثلاثة ايام ، تم أسرها واقتيادها الى رأس الخيمة • وقد حاول المقيم البريطاني في بوشهر ، المستر جون بيمونت J. Beaumout استعادتها ولكن الشيخ القاسمي رفض تسليمها الا بعد دفع فدية مقدارها ٤٠،٠٠٠ روبية[١] •

٢ ـ اعترض تشكيل قاسمي بحري مؤلف من ثماني سفن السفينة البريطانية (سكسس Success) ، وهي في طريقها من البصرة الى مسقط ، في شهر كانون الثاني ١٧٧٩ ، محاولا أسرها • ولكن (سكسس) نجحت في الفرار[٢] •

٣ ـ هاجم تشكيل قاسمي بحري السفينة البريطانية (اسستانس Assistance) في شهر شباط ١٧٧٩ ، ولكن السفينة البريطانية نجحت في رد الهجوم ووصلت بسلام الى بوشهر[٣] •

٤ ـ نجح القواسم في اسر السفينة (بكلربك Beglerbeg) المبحرة تحت العلم البريطاني، في سنة ١٧٩٠، بالقرب من رأس مسندم[٤]•

٥ ـ هاجم القواسم في ١٨ مايس ١٧٩٧ ، السفينة البريطانية (باسين Bassein) بالقرب من جزيرة قيس ، وبعد اسرها اقتيدت الى رأس الخيمة • ومع ذلك فقد أطلق الشيخ القاسمي سراحها بعد يومين من

---

(١) Miles, op. cit., p. 275; Kelly, op. cit., p. 106.

(٢) Kelly, op. cit., p. 106.

(٣) Ibid; Miles, op. cit., pp. 275-6.

(٤) Kelly, op. cit., p. 106, Miles, op. cit., p. 284.

وصولها[1] • وعلى ما يبدو انه قام بذلك الاجراء تحاشيا للاصطدام مع البريطانيين ، في الوقت الذي كان فيه يستعد لمجابهة الخطر الوهابي من العرب •

٦ ـ ولعل من اجرأ العمليات التي قام بها القواسم ضد الانكليز ، مهاجمة احد تشكيلاتهم البحرية للطراد البريطاني (فايبر Viper ذو ١٠ مدافع) في تشرين الاول سنة ١٧٩٧ ، بينما كان راسيا بالقرب من بوشهر •

كانت العمارة القاسمية بقيادة الشيخ صالح ، ابن اخي الشيخ صقر بن راشد ، قد وصلت الى بوشهر قبل ستة ايام من وصول (الفايبر) ، وكان هدف القائد القاسمي ، اعتراض السفن العمانية المبحرة من البصرة الى صور • الا ان وصول الطراد البريطاني ، دفعه الى تغيير خطته ، حيث قرر مهاجمته آملا في الاستحواذ على مخزن البارود والقذائف للطراد • وتم الهجوم فعلا ، الا ان بحارة (الفايبر) نجحوا في الفرار من الميناء ، بعد قطعهم للمرساة متوجهين الى البحر • فتعقبته العمارة القاسمية ، حيث دار اشتباك عنيف انتهى بنجاة الطراد بعد ان تكبد اثنين وثلاثين اصابة بين قتيل وجريح من بحارته[2] •

---

(١) S.R.B.G. No. XX1, p. 302, 'Warden, Joasmees'; Low, op. cit., Vol. I, p. 313; Miles, op. cit., p. 284, Kelly, op. cit., p. 106.

ولو أن مايلز يقول بأن الهجوم تم بالقرب من جزيرة قشم لاقيس • أما لوريمر فيذكر بأن الهجوم جرى بالقرب من رامس . (Lorimer, Vol. 1A, p. 634)

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 302, 'Warden, Joasmees'; Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 214-16; Wellsted, travels in Arabia, Vol. 1, pp. 245-6; Low, op. cit., Vol. 1 pp. 313-14; Miles, op. cit., p. 288; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 634-5.

لقد احتج المقيم البريطاني في البصرة ، المستر مانستي ، على هجـوم القواسم على (الباسين) و (الفايبر) ، لدى الشيخ صقر • الا ان الاخير حاول التنصل من الموضوع • وفي جوابـه اشار الى انـه بالنسبة لحـادثة (الفايبر) ، فان القواسم كانوا في موقف دفاعي ، اذ ان الطراد هو الذي بدأ باطلاق النار • واضاف الشيخ صقر الى ذلك قائلا انه غير مسؤول عن تصرفات الشيخ صالح الذي قاد ذلك الهجوم • حيث ان الاخير قد ترك رأس الخيمة وفصل نفسه عن قبيلته وتوجه الى الساحل الشرقي حيث اقام مـع بني خالد متزوجا امرأة منهم • وعليه فان كافة تصرفاته هي تصرفات شخصية هو المسؤول عنها • واختتم جوابه بالتأكيد على ان خصوماتهم ليست مع الانكليز وانما هي في الوقت الحاضر مع اهل عمان[1] •

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 302; Low, op. cit., Vol. 1, p. 314; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 635.

من ذلك يبدو ان بكنغهام قد وقع في التباس بقوله بانه « لم يعقب مهاجمة (الفايبر) اي استفسار من جانب السلطـات البريطانية » •

. Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 216

الفصل الثالث

فترة التبعية الوهابية ١٨٠٠ ـ ١٨١٨

فترة التبعية الوهابية(١) ١٨٠٠ ـ ١٨١٨

١ ـ الوهابية(٢) :

كان لظهور هذه الحركة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، تأثير بالغ الخطورة على الشؤون السياسية والاجتماعية للجزيرة العربية ، واصبحت منذ اواخر ذلك القرن العنصر المحرك لتاريخ الخليج بشكل عام ، والقواسم بشكل خاص .

تمثل الوهابية « انبعاثا للجناح المنزه للذات الالهية تنزيها مطلقا ، على

---

(١) ان تبعية القواسم للوهابيين ذات مظهرين ؛ المظهر الاول يتمثل في الناحية المذهبية الدينية ؛ وذلك عن طريق اعتناق القواسم للعقيدة الوهابية واخلاصهم لها . أما المظهر الثاني فهو الارتباط السياسي بينهم وبين الدولة السعودية الاولى الذي انفصم على أثر سقوط الدرعية في ١٨١٨ على يد القوات المصرية .

(٢) اصطلاح الوهابية اطلق على اتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب من قبل المسلمين المناوئين ، الذين خشوا من النتائج الخطيرة لانتشار دعوته . وترمي هذه التسمية الى الافتراض بان الشيخ قد أوجد مذهبا جديدا يجب مقاومته . ويرفض أتباع الشيخ بشدة هذه التسمية . ذلك انهم يعتبرون دعوة (الشيخ) كانت وستظل دعوة الى التوحيد المطلق ، ولهذا فانهم يطلقون على أنفسهم اسم (الموحدون) . وقد درج معظم الكتاب على استعمال الصيغة الاولى وهي (الوهابية)

(George Rentz, The Wahhabis, in Religion in the Middle East, ed. by: A.J. Arberry, (Cambridge, 1969), Vol. II, p. 270; D.S. Margoliouth, Wahhabiya, in: The Encyclopeadia of Islam, (Leyden, 1943), Vol. IV, p. 1086).

أما ولسون فانه يخطيء بقوله ان اتباع الشيخ أطلقوا على أنفسهم اسم الوهابية ، على اسم مؤسس الحركة ، لان اعداءهم يرفضون تسميتهم بمحمديين ! (Wilson, op. cit., p. 196)

حساب جناح الحلولية الصوفية ، الـذي وبطليعته الاخوة الصوفية ، كان ينتشر بشكل وطيد لعدة قرون سبقت ظهور الوهابية »[١] • وقد انطلقت الحركة كرد فعل لتقديس الائمة وانحرافات الدراويش ، ولمعارضة المذاهب ان يقوله • وان الوحدانية المطلقة هي ما يجب ان يقر به كل مسلم مؤمن ؛ الاسلامية التي لم يعلن مريدوها عن معارضتهم لأمثال هؤلاء • انها حركة متزمتة ، تدعو الى التمسك الصارم باهداب الدين ، والى العودة الى الاسلام النقي كما عكسه القرآن والسنة[٢]• فكرتها اللاهوتية ، هي ان الله لايضاهيه شيء على الاطلاق ، ووحدانية الله هي صفته الاكثر أهمية • لا يحدد الله أي مبدأ ، مشيئة مطلقة ، وما يقوله القرآن عنه ، هو كل ما يستطيع المرء ان يقوله • وان الوحدانية المطلقة هي ما يجب ان يقر به كل مسلم مؤمن • وكل من يشذ عنها ، هو في ذات نفسه غـير مسلم ، بل مشرك ، يجب ان يقتل بدون رحمة كما يأمر القرآن[٣] • وفي رأيهـم ان تدنيس مبـدأ وحدانية الله جاء من (البدعة) ، التي تسربت الى المجتمع الاسلامي خـلال العصور الاخيرة من الاسلام • لذا فان الوهابية تسـعى الى تنقية المجتمـع بالعودة الى أساليب النبي ، والجيل الاول من (السلف الصالح) • وبالتالي فانها تؤكد بقوة على نصوص القرآن والحديث[٤] •

انهم يؤمنون بالرسول ، ولكنهم يعتبرونه من الناحية الجوهرية انسانا

---

(١) R. Bayly Winder, Saudi Arabia in the Nineteenth Century, (MacMillan, G.B., 1965), p. 8.

(٢) Gabriel Baer, Population and Society in the Arab East, Trans, form the Hebrew by Hanna Szöke, (London, 1964), p. 74.

(٣) Winder, op. cit., p. 9; Margolioth, p. cit., p. 1086

(٤) Rentz, op. cit., pp. 271-2.

فانيا ، ولو انه منعم عليه برسالة مقدسة[١] • وبما انهم يعتبرون جميع الخلق متساويين في نظر الله ، لذلك فانهم يعتبرون من الخطيئة والشرك تقديس الائمة واجلال بقاياهم ، والتضرع بهم ، كمحاولة للتقرب او اكتساب القوة من الله[٢] •

اعتبر الوهابيون القرآن مرشدا أساسيا لكل الأغراض السياسية والاخلاقية • وأصروا على تطبيق صارم لآياته • وتأتي السنة بالدرجة الثانية من الأهمية بعد القرآن • واجماع المجتمع الاسلامي ، يحدد الى ما تم التوصل اليه في خلال القرون الثلاثة الاولى من ظهور الاسلام • وعليه فان اطاعة الشريعة النقية بشكل حرفي ، وانشاء مجتمع تسود فيه تلك الشريعة، هي الاسلام كما نادوا به ، وكل ما عداه زائد وخطأ[٣] •

وبشكل عام يمكن اعتبار الوهابيين اتباعا لمدرسة احمد بن حنبل (ت : ٨٥٥ م) ، مؤسس اكثر الاتجاهات محافظة للمدارس السنية الاربع • وبدرجة اكثر تحديدا ، فانهم درسوا الحنبلية من خلال كتابات تقي الدين احمد بن تيمية (١٢٦٢–١٣٢٨ م) ، الذي رفع صوته عاليا ضد البدع وتقديس الائمة وتقديم النذور وزيارة المراقد المقدسة[٤] •

بدأت الوهابية اولا مجرد حركة دينية ، ولكنها ما لبثت ، مع ضغط الظروف ، ان تطورت فاكتسبت طابعا سياسيا دنيويا • وكانت الاساس القوي

---

(١) Andrew Crichton, History of Arabia, Ancient and Modern, (Edinburgh, 1833), Vol. II, p. 289.

(٢) Ibid; Winder, op. cit., p. 9.

(٣) Winder, op. cit., pp. 9-10.

(٤) Ibid, pp. 8-9.

لقيام الدولة السعودية • مؤسس الوهابية هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1]، من قبيلة تميم • ولد في العينه، وهي مدينة صغيرة في نجد ، سنة ١٧٠٣[2] • ولو ان هناك خلافاً في تاريخ ولادتـه ، فبعض المؤرخـين يحددونه بسنة ١٦٩١[3] • ولكن الارجح هو التاريخ الاول لانه يطابق مع ما اورده ابن غنام مؤرخ الحركة • ونشأ في جو ديني ، اذ كان كل من جـده وأبيـه قاضيا حنبليا • وقد نشأ حنبليا وظل كذلك حتى وفاته • وفي صياغته لهذا المذهب ، لم يهدف الى ايجاد مذهب جديـد ، بل كا نراضيا بأن يبشـر بالاسلام المتكامل بشكله الاصلي[4] • وكان ميالا الى ان يـردد « نحـن

---

(١) يخطىء سالدانا في اعتباره بان هذا المذهب قد اوجده عبدالوهاب وابنه محمد • ويستطرد قائلا بان عبدالوهاب بدأ حياته تاجرا متنقلا ثم استقر في نجد حيث أخذ يبشر بعقائده • على أن سالدانا يستدرك الخطأ فيقول انه من الصعب القول فيما اذا كان عبدالوهاب (ت : ١٧٦٠م) أو ابنه محمد ، الذي يمكن اعتباره المؤسس للعقيدة • انظر :

[I.O] J.A. Saldanha, Precis of Nejd Affairs, 1904-1904; pp. 1, 3.

كما يبدو من حديث نيبور عن الوهابية انه ينسبها خطأ الى والد محمد • اذ يقول انه بعد وفاة عبدالوهاب ، حقق ابنه نفس السلطة وواصل بث مبادئه •

Nibuhr, op. cit., Vol. II, pp. 131-3.

(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ، ص٧٥ ؛

J.B. Philby, Arabia, (London, 1930), p. 8.

(٣) S.R.B.G. No. X1ix, p. 127, 'Capt. R.L. Ulayfair, A History of Arabia Felix or Yemen, (Byculla, 1859); Crichton, op. cit., Vol. 11, p. 289; Wilson, op. cit., p. 196.

(٤) Jaques Benoist Mechin, Arabian Destiny, Trans. from the French by, Denis Weaver, (London, 1957), p. 48.

والحمد لله ، أتباع مدرسة احمد بن حنبل لا مبتدعون »[1] .

بدأ دراسته في موطنه وتنقل في طلب العلم الى عـدة اماكن ، فزار المدينة والبصرة والاحساء[2] ، وتأثر من تدهور العقيدة ، سواء في موطنه او في البلدان التي زارها[3] . وبالنسبة الى الشيخ فان الشرك « هو الخطيئة الوحيدة التي لا يغفرها الله ، الخطيئة الوحيـدة التي تبرر اعتبار منتحـلي الاسلام غير مؤمنين »[4] .

اما الحكومة ، وفق هذه الدعوة ، فانها تتركز بيد الامام ، الذي هو الزعيم الديني والسياسي للامة[5] . ولذا فان الطاعة للامام هي واجب مطلق على الفرد ، الا اذا أمره الحاكم ان يخرق الشريعة . وبدوره ، فان الواجب الرئيس للحاكم ، هو المحافظة على الشريعة والعمل على توسيع المجتمع .

ولتحقيق الغاية الاخـيرة ، ولتعميق اسس المجتمـع ، يجب وضع (الجهاد) موضع التنفيذ ، لجلب الامة أقرب الى ارادة الله . ان هذا المبدأ هو الذي يبرر الحملات العسكرية العديدة والمتواصلة التي شنها الوهابيون

---

(١) Rentz, op. cit., p. 270.

(٢) عن رحلات الشيخ ، انظر : كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق د . أحمد مصطفى أبو حاكمه ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص١٥ ـ ٢٢ وابراهيم فصيح بن السيد صبغةالله بن الحيدري البغدادي ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، تحقيق علي البصري ، (بغداد ، بدون تاريخ) ، ص٢٢٨ ـ ٢٣٠ .

(٣) عن الاوضاع الدينية العامة قبيل قيام الشيخ بدعوته ، انظر : ابن غنام ، المصدر السابق ، ص١٠ ـ ١٩ وحافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط١٠ (١٩٣٥) ، ص٣٣٦ـ٣٣٧ .

(٤) Rentz, p. cit., p. 271.

(٥) Crichton, op. cit., p. 289.

ضيلة عمر دولتهم الاولى[1] .

احرز الشيخ هدفه الاولي بالتحالف مع بيت آل سعود[2] . ففي صيف سنة ١٧٤٤ ، تم في الدرعية ، قاعدة آل سعود عقد اتفاق للتحالف بين محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، اقسم الطرفان على المحافظة عليه ، لنشر الدعوة واسناد كل منهما للآخر . ومنذ ذلك الوقت ظل الارتباط وثيقاً بين آل سعود وآل الشيخ[3] ، زاده قوة المصاهرة بين الطرفين .

كانت أول حملة عسكرية تخرج من الدرعية ضئيلة جدا ، لم تتجاوز سبعة من راكبي الجمال[4] . ولكنهم وجدوا فريستهم متمثلة بجماعة من البدو ، فعادوا بأول غنيمة . ومنذ ذلك الوقت ، وحتى انهيار الدولة السعودية الاولى في ١٨١٨ ، أصبحت الغنائم أحد المصادر الاقتصادية الاساسية للدولة[5] .

مات محمد بن سعود في ١٧٦٥ ، وكان قسم كبير من نجد تحت سيطرته . وفي عهد ابنه وخليفته ، عبدالعزيز بن محمد ، تمكن من دفع حدوده الى مناطق أبعد . فحين وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ١٧٩٢ ،

---

(١) Winder, op. cit., p. 11.

(٢) Sir H.A.R. Gibb, Modern Trends in Islam, (Chicago, 1946), p. 26.

(٣) انظر G. Rentz, Wahhabism and Saudi Arabia, in the Arabian Peninsula, ed. Derk Hopwood, (London, 1972), p. 56.

(٤) H.J. Brydges, An Account of the Transactions of his Majesty's Mission to the Court of Persia, in the years, 1807-11 (London, 1834), Vol. II. p. 8.

(٥) Rentz, op. cit., p. 57.

كانت السيطرة الوهابية ، قد إمتدت من المنطقة الصغيرة المحيطة بالدرعية ، لتشمل معظم نجد حتى جبل شمر في الشمال وقاسم في الغرب •

وهكذا نجح الشيخ ومحمد بن سعود وعبدالعزيز بوضع اسس الوهابية كقوة سياسية ودينية في الجزيرة العربية ، ونشروا سيطرتها الى كل نجد ، ومنها بدأوا بالاتجاه منذ اواخر القرن نحو الخليج العربي والبحر الأحمر •

٣ ـ الهيمنة الوهابية على القواسم :

على أثر نجاح الوهابيين في تثبيت انفسهم بقوة في نجد ، واخضاعهم قبائلها لسلطانهم ، في حوالي سنة ١٧٨٠ ، وجهوا أنظارهم نحو الشرق ، الى منطقة الحسا الغنية• وكان عليهم في اندفاعهم نحو الشرق، ان يصطدموا ببني خالد « الذين كانوا احدى اقوى القبائل التي عاشت وسيطرت على الساحل العربي من الخليج ، من قطر في الجنوب ، حتى البصرة في الشمال »[١] • وقد تمكن الوهابيون ، بعد سلسلة من الغارات والاشتباكات استغرقت الفترة ما بين ١٧٨٠ و ١٧٩٥ ، من القضاء على سلطان بني خالد[٢] • وبذلك توطدت سلطتهم في شرقي الجزيرة العربية • وعلى اثر ذلك ، وجه الوهابيون نشاطهم نحو المزيد من الفتح والتوسع ؛ وقد اخذ هذا التوسع ثلاثة اتجاهات : غربي، نحو الحجاز والمدن المقدسة ، وشمالي،

---

(١) Abu Hakima, op. cit,. p. 125.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الإندفاع الوهابي نحو الاحساء ، وتحطيم سلطة بني خالد ، انظر : ابن غنام ، المصدر السابق ، ص١٤٧ ـ ١٩٤ ؛ لمع الشهاب ، ص٦٧ ـ ٧٦ ؛ محمد بن عبدالله الاحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، (الرياض ، ١٩٦٠) ، ص١٣١ ـ ١٣٥ ؛
Abu Hakima, op. cit., Chap. V.

نحو ولايات بغداد وسوريا ، وجنوبي شرقي ، نحو عمان ومراكز القوى البحرية في الخليج العربي •

ان البحث في تفاصيل الاتجاهين الاولين لا يدخل في نطاق بحثنا ، وانما يهمنا الاتجاه الاخير ، لما له من علاقة مباشرة بموضوعنا • حيث اسفر عن اخضاع القواسم وتقبلهم للعقيدة الوهابية ، واشتراكهم مع قاهريهم في سلسلة من المعارك الموجهة ضد سلطان عمان ، استغرقت معظم العقدين الاولين من القرن التاسع عشر •

مرت العلاقات القاسمية ـ الوهابية بمرحلتين ؛ تمثلت المرحلة الاولى منها بمقاومة القواسم محاولات الوهابيين لاخضاعهم ، وتمتد من حوالي سنة ١٧٩٧ الى نهاية القرن • حيث تبدأ المرحلة الثانية ، وفيها تقبل القواسم العقيدة الوهابية والتصقوا بها ، بل واصبحت نشاطاتهم بصورة عامة ، يلهمها الوهابيون • وتمتد حتى سقوط الدولة الوهابية الاولى سنة ١٨١٨ • وقد ظل القواسم مخلصين لعقيدتهم الجديدة حتى بعد ذلك التاريخ ، وظلوا على علاقات ودية مع السعوديين حتى الوقت الحاضر(١) •

أ ـ المرحلة الاولى :

تطلع الوهابيون ، بعد ان ثبتوا سلطتهم في الحسا ، الى اخضاع مراكز القوى البحرية على ساحل الشمال ، وبصفة خاصة القواسم • ومن المحتمل انهم كانوا يهدفون الى تحقيق غايات سياسية واقتصادية من وراء ذلك• اذ ان ذلك سيمكنهم من استغلال الاسطول القاسمي القوى ، لتوجيه ضربة قوية الى عمان ، التي وقفت بصلابة امام مطامحهم التوسعية ، من اجل اخضاعها • والى جانب ذلك سيكون بمقدورهم توجيه هذا الاسطول للقيام بهجمات على

---

(١) انظر : Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. I, p. 113.

السفن التجارية المارة بالخليج ، فيحققون من وراء ذلك ، موردا ماليا كبيرا .

مارس الوهابيون ، في مهاجمتهم لساحل (الشمال) ، اسلوبهم التقليدي في التوسع . ويعتمد هذا الاسلوب على شن غارات سريعة والانسحاب ، وغالبا ما ترمي الى التعرف على قوة الخصم ، والقيام بنفس الوقت بالتبشير بمبادىء الحركة عن طريق الدعاة ، حيثما نجحوا في الحصول على موطىء قدم في المنطقة .

ان هناك خلافا بين المؤرخين حول السنة التي بدأ بها التحرك الوهابي نحو ساحل (الشمال) ، وتثبيت انفسهم في البريمي . فلوريمر يحدد ذلك بسنة ١٨٠٠[١] . ويتفق معه في ذلك كل من ولسون وكيلي[٢] . اما سالدانا ، فانه يحدد وصول الوهابين الى ساحل الخليج بسنة ١٨٠٤[٣] ، وهذا بعيد كثيرا عن الوقائع الثابتة . وهناك طائفة اخرى من المؤرخين ، ترى ان هذا الاندفاع جرى في سنة ١٧٩٧ ، ومنهم الخبير في شؤون عمان ، مايلز حيث يقول[٤] : « يبدو انه في سنة ١٧٩٧ ، بدأ سعود بالتجاوز على الساحل الشمالي لعمان محاولا اخضاع القبائل البحرية المحاربة هناك وبخاصة بني ياس وقتب والقواسم . وقد قاومت هذه القبائل بشجاعة ، ولمدة ثلاث سنوات استمر الصراع بعناد . ولكن في سنة ١٨٠٠ ، خضع القواسم وتقبلوا العقيدة الوهابية » .

ومما يعزز رأي مايلز ، انه يتفق مع ما اورده صاحب لمع الشهاب . فعلى الرغم من ان الاخير لم يشر الى السنة ، الا انه تبين من مقارنة الوقائع

---

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 635.

(٢) Wilson, op. cit., p. 197; Kelly, op. cit., p. 102.

(٣) [I.O] Précis of Nejd Affairs, p. 6.

(٤) Miles, op. cit., p. 288.

التي ذكرها وأزمانها ، إن الغزو تم قبل اغتيال عبدالعزيز بسبع سنوات ، ولما كانت وفاة الاخير قد حدثت في اواخر سنة ١٨٠٣ ، فيبدو ان سنة **١٧٩٧** تمثل تلك البداية[١] • اما وجهة النظر السعودية فانها تحدد سنة **١٧٩٥** بداية للتحرك الوهابي وتمركزه في البريمي[٢] • ومن هذا الرأي كلارنس مان ايضا[٣] • ويستفاد مما اورده فلبي انه يتفق مع وجهة النظر الاخيرة ، ذلك بانه يذكر بان القواسم اعتنقوا الوهابية قبل مهاجمتهم للسفينتين (الباسين) و (الفايبر) ، التي مر بنا ذكرها ، والتي وقعت في سنة **١٧٩٧**[٤] •

على الرغم من هذا الاختلاف ، فاننا نرجح الرأي القائل بان بداية التحرك نحو ساحل الشمال ، قد جرى في سنة **١٧٩٧** • فبالاضافة الى ان هذا التاريخ حدده كل من مايلز وصاحب لمع الشهاب ، فانه يتفق ، بصورة غير مباشرة ، مع رأي كل من بكنغهام ولو ، اللذان يؤكدان إن القواسم قاوموا محاولات الوهابيين لاخضاعهم طيلة ثلاث سنوات[٥] • ولما كان من الثابت ان القواسم قد خضعوا للوهابيين نهائيا في سنة **١٨٠٠** ، فتكون السنة التي اخترناها هي التاريخ الاقرب الى الدقة •

---

(١) انظر : لمع الشهاب ، ص٧٨ ـ ٨٤ •

(٢) Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. 1, p. 110.

(٣) Clarence Manm, Abu Dhabi, (Beirut, 1964), p. 24.

(٤) Philby, Arabia, p. 79.

(٥) انظر : Buckingham, op. cit., Vol. 11, p. 211; Low, op. cit., Vol. 1, p. 312.

يعتبر نجاح الوهابيين في التمركز بالبريمي[1] ، ذا أهمية خاصة ، فقد اصبحت هذه الواحة ، وطيلة عقدين من السنين القاعدة القوية التي تنطلق منها الغارات على مناطق عمان المختلفة . وقد أدرك القائد الوهابي سالم الحارق ، الذي عُهد اليه باخضاع عمان، الأهمية الستراتيجية القصوى للبريمي ، التي هي بحق « المفتاح البري لعمان »[2] . فهي المكان الوحيد المروي بالآبار في صحراء تبلغ مئات الاميال ، تمتد بينها وبين الحسا . كما وإنها تقع على مفترق الطرق الموصلة بين عمان وساحل (الشمال)[3] فالى الشرق منها ، على بعد اثني عشر ميلا ، ترتفع سفوح الحجار الغربية ، حيث ينحني وادي الجزي من خلالها باتجاه ساحل عمان عند صحار . والى الشمال والغرب تتجه السبل الى ضنك وابرى ، وفيما وراءهما الى نزوة وجبرين وازكي في قلب عمان[4] .

اقام الحارق قلعة جديدة في البريمي هي (قصر الصبارة) الى الجنوب من قلعتها القديمة (قصر الخندق) ، لتأمين القبضة الوهابية على الواحة[5] . كما سعى الى اخضاع او كسب قبائل الظاهرة وساحل (الشمال)[6] . ولعل اكبر مكسب حققه الوهابيون في هذه المنطقة نجاحهم في كسب تأييد قبيلة (النعيم) ، وهي القبيلة الرئيسة في البريمي والظاهرة . ويبدو إن

---

(١) عن وصف البريمي أنظر هامش (٢) ص ٨٠ من الفصل الثاني

(٢) Kelly, op. cit., p. 102.

(٣) أنظر خارطة عمان وساحل القواسم ص ٨٩ .

(٤) Kelly, op. cit., p. 102.

(٥) كان هذا اسلوب الوهابيين في انهم يقيمون لهم حصنا جديدا في المناطق ذات الاهمية الستراتيجية . انظر : لمع الشهاب ، ص٤٩ .

(٦) Kelly, op. cit., p. 103.

هذه القبيلة الغافرية قد مالت الى جانب الحركة الجديدة[١] • وبمعونتهـا نجح الوهابيون في اخضاع قبيلة (الظواهر) ، الموالية لالبو سعيد ، وبني قتب والشوامس ، القاطنين في النهاية الغربية لوادي الجزي[٢] •

على اثر خضوع (النعيم) التفت الأمير عبدالعزيز ناحية القواسم • فحاول في البدء اقناع زعيمهم صقر بن راشد ، عن طريق (النعيم) بالدخول الى الوهابية ، وفي حالة الرفض فقد أصدر اوامـره الى القبيلة الاخـيرة بمهاجمة القواسم ، واعدا بارسال الامدادات العسكرية من الدرعية لتحقيق هذا الغرض[٣] •

رفض الشيخ القاسمي صقر بن راشد الاستجابة للدعوة ، فتحركت قـوات (النعيم) لاجباره على الخضوع • ولكنه نجح في دحر القـوات المهاجمة • فأرسل هؤلاء الى الامير الوهابي يخبرونه بعجزهم عن تنفيـذ اوامره باخضاع الشيخ القاسمي • فبادر الى ارسال قـوة من الف رجل ، كانت على الارجح بقيادة مطلق المطيري[٤] •

عسكر القائد الوهابي في البريمي ، وارسـل قـوة من مائتي فارس بقيادة سعدون آل علي ، ترافقها قوة من خمسمائة رجل من النعيم ، وأمرها بالاغارة على موطن القواسم • وقد وصلت هذه القوات بالقرب من رأس الخيمة ، وحاولت قطـع الطريـق بين المدينة ومنطقة بساتين النخيل[٥] •

---

(١) J.B. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 55.

(٢) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 103.

(٣) لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٤) يذكر صاحب لمع الشهاب اسم راشد بن سنان المطيري ، ليعود ويقول انه مطلق • انظر : لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٥) تقع بساتين النخل في الجانب الجنوبي الشرقي من الخليج الذي =

واستمرت الحالة هذه لمدة عشرة ايام ، قام الشيخ صقر في نهايتها ، على رأس قوة من الف رجل بمهاجمة هذه القوات فدحرهـا واجبرهـا على التراجع ، ولكنه لم يقم بمطاردتها وانما حافظ على مواقعه[1] • مما يدل على الموقف الدفاعي الذي واجه الشيخ القاسمي به التحدي الوهابي • على انه لم تمض سوى أيام قلائل ، حتى قـدم مطلق المطيري على رأس قـوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل[2] ، يبدو انه جمعها من القبائل الموالية •

وجد الشيخ صقر انه عاجز عن مواجهة هذه القوات ، فأصدر اوامره الى رجاله بالانسحاب الى المدينة للدفاع عنها• وطوقت القوات الوهابية رأس الخيمة ، فارضة عليها حصاراً محكما ، مما حال بينها وبين بساتينها ومياهها • صمد القواسم للحصار سبعة عشر يومـا ، اضطروا في نهايته الى طـلب الصلح • وعلى الاثـر عقـد اجتماع بـين الشيخ صقر بن راشد والقائـد الوهابي مطلق المطيري ، اسفر عن موافقة الاول على قبول المبادىء الوهابية ، وتبعه في ذلـك معظم كبار القواسم[3] • وكان ذلك في سنة **١٧٩٩**[4] • ولكن محاولة مطلق تهديم مقام احد الاولياء[5] في رأس الخيمة ، اسفرت

= تقع عليه مدينة رأس الخيمة ، وتمتد نحو الشرق •

(Buckingham, op. cit., Vol. 11, pp. 353-4).

(١) لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨٠ •

(٣) نفس المصدر •

(٤) Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. I, p. 113.

(٥) وهو مقام يعرف باسم (سيد حسن) ، يصفه صاحب لمع الشهاب بانه مرشد راشد بن مطر ، وكان هذا المقام مقدسا لدى جميع أهل السر (لمع الشهاب ، ص٨٠) •

عن انتفاض قسم من القواسم ضد الوهابية • ووقع اشتباك بينهم وبين القوات الوهابية ، اضطروا بعده على الإنسحاب واللجوء الى اقربائهم في لنجة[1] •
وعلى الرغم من اخضاع رأس الخيمة ، ظل قسم من اتباع القواسم مثل قبيلة زعاب في جزيرة الحمرا ، و (طينج) في رامس ، يقاومون القوات الوهابية لفترة اخرى ، حتى اجبروا على الخضوع وتقبل الدعوة[2] •

يتبين مما سبق ، ان القواسم اتخذوا موقف المقاومة من التوسع الوهابي ، بل انهم حاولوا في ذلك الوقت تناسي عداواتهم التقليدية مع عمان، وحاول الطرفان بالتضامن ابعاد الخطر الوهابي ولكن بدون نجاح[3]. ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الذي يقع فيه العقاد ، الذي يقول « عندما وصل نفوذ الدولة السعودية الاولى الى جنوب شرق شبه الجزيرة ، رحب سلطان ابن صقر ، زعيم القواسم باعلان تبعيته لحكومة الدرعية طالما انهذه الحكومة لا تغير من وضعه كزعيم للقبيلة ••• »[4] فأولا ان شيخ القواسم آنذاك كان صقر بن راشد لا سلطان ، حيث ان الاول توفي سنة ١٨٠٣ ، فخلفه على الزعامة إبنه الشيخ سلطان[5] • وثانياً ، وكما مر بنا اعلاه ، لم يرحب الشيخ القاسمي بهم ، الا اذا كانت المقاومة تعتبر نوعاً من الترحيب الحار ! • وأخيرا فان السلطة الوهابية أضعفت الى حد ما من سلطة الشيخ القاسمي ، مما جعل صقر بن راشد يشعر بالاستياء من ذلك[6] • ويمكننا ان نلمس

---

(١) لمع الشهاب ، ص٨٠ – ٨١ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨١ •

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 635; Hawley, op. cit., p. 97.

(٤) د • العقاد ، التيارات السياسية ، ص٩٨ •

(٥) S.R.B.G. No. XX1V, p. 303, 'Warden, Joasmees'

(٦) Kelly, op. cit., p. 103.

تقليص سلطة الشيخ القاسمي مما أورده صاحب لمع الشهاب ، حيث يشير الى ان قبيلتي طينج وزغاب كانتا تحكمان مباشرة من رأس الخيمة ، ولكن بعد دخولهما للوهابية أصبح لهما أمير منهم[1] • ويقول في موضع آخر عن قبيلة بني بو علي : « اهـل الصير الذين هم سكنة ام القيوين وهم تبعة القواسم ، قبل تسلط آل سعود »[2] •

ب ـ المرحلة الثانية ١٨٠٠ ـ ١٨١٨ :

بعد موقف المقاومة التي جابه القواسم به التقدم الوهابي في بلادهم ، آمنوا بالدعوة الوهابية باخـلاص ، ولعبوا دورا مهما في اسنادها ونشر مبادئها • ان هذا الموقف ، هو الذي دفع بالأمير عبدالعزيز الى ان يطلق عليهم اسم « الموحـدة اعجابا وتكريما لهم »[3] • بل انهم تمتعوا بمكانة خاصة في نظر القادة الوهابيين ، حتى ان الشيخ الديني الأعلى للوهابية ، علي بن محمد بن عبدالوهاب كان « لا يضيف احداً قـط الا أهـل رأس الخيمة ، فانهم اذا وفدوا على سعود لا يأكلون الا عنده »[4] • ويقول هذا الشيخ عن غنائم القواسم « كل ما غنمه أهل رأس الخيمة فهو أحل من حليب الوالدة »[5] •

ان هناك جملة أسباب تكمن وراء حماس القواسم للوهابية واخلاصهم لها • فلقد ساعد الوهابيين في استمالتهم لقبائل (الشمال) بصورة عامة ،

---

(١) لمع الشهاب ، ص٨١ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨٣ •

(٣) نفس المصدر •

(٤) نفس المصدر ، ص١٧٧ •

(٥) نفس المصدر •

ان معظم هذه القبائل من السنة ويميلون الى الغافرية • فكان من السهل عليهم استيعاب المبادىء الوهابية[١] • ونفس هذه الحقيقة ، اي كون القواسم سنة غافرية ، جعلتهم أعداء الداء لحكام عمان البو سعيديين الاباضية[٢] • وقد مر بنا ان هذا الخلاف ، الديني – السياسي ، كان احد اسباب الحروب المتواصلة التي خاضها الطرفان طيلة القسم الاعظم من النصف الثاني من القرن الثامن عشر • ولذلك ، فقد وجد القواسم في الوهابية التي فُرضت عليهم ، فرصة لتوجيه ضربات قوية لسلطة حكام عمان، باساطيلهم البحرية، المسندة بالقوى الوهابية العسكرية البرية • كما ان الوهابية فيما قررته من التأكيد على (الجهاد) ، وجدت لها صدى ملائماً لطبيعة القواسم الحربية • اذ وجدت عملياتهم في اعتراض سفن مناوئيهم التجارية ، ما يبررها دينيا • فقد كانت المناطق والقوى التي لا تشاطر الوهابيين آراءهم يطلق عليها (دار الحرب)[٣] ووفقا لذلك ، فقد اصبحت مغامراتهم البحرية جزءاً من حركة الجهاد ، وبالتالي فان الاسلاب تعد غنائم حرب[٤] • بل ان هذه الهجمات غدت « أمرا لازما من الجهاد الديني ضد الكفرة منكري تعاليم الوهابية »[٥] • هذا ويشير المؤرخون الغربيون الى هذا النوع من الجهاد البحري بالقرصنة • وبنتيجة حث الامير الوهابي ، مد القواسم نشاطاتهم البحرية الى البحار الهندية[٦] • وكان اول ظهور لهم في شهر نيسان سنة

---

(١) Kelly, op. cit., p. 103.

(٢) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 55.

(٣) Hawley, op. cit., p. 97.

(٤) العقاد ، المصدر السابق ، ص٩٩ •

(٥) قاسم ، دولة بو سعيد ، ص٨٠ •

(٦) [I.O.] Precise of Nejd Affairs, p. 6.

١٨٠٨ ، على السواحل الواقعة الى الشمال من بومباي[١] • ومما يثبت التحريض الوهابي للقبائل البحرية بصورة عامة على (الجهاد البحري) ، ما ورد في رسالة سعود الى حاكم عمان ، بدر بن سيف ، في سنة ١٨٠٥ ، حيث قال « لاشك في انك ستبادر الى المشاركة في الجهاد في الهند الذي فيه لن تقاتل لأجلي ، ولكنها مسؤوليتك في اطاعة الله »[٢] • ويشير الكابتن ديفيد ستون D. Seton المقيم البريطاني في مسقط ، الى أن اعمال القواسم القرصنية « لا يمكن اعتبارها الا بكونها تحريضاً من الوهابيين »[٣] • ويحدد واردن سنة ١٨٠٤ بداية لقيام القواسم بقرصنة منتظمة[٤] • لقد كان القواسم قبل الوهابية ، يقومون بعمليات قرصنية ، كما مر بنا ، ولكنها كانت على نطاق محدود ، فأصبحت في هذه الفترة اسلوبا اساسيا في نشاطهم • ونجد دليلا على ذلك مما اورده صاحب لمع الشهاب الذي يقول[٥] :

« خرجوا في سفنهم للجهاد [يقصد قبيلتي زعاب وطنيج] وكانوا

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, 304, 'Warden, Joasmess'

أما كيلي فيحدد ظهور الاساطيل القاسمية للمرة الاولى قرب السواحل الهندية بالقرب من كوج بشهر تشرين الثاني من نفس السنة ١٨٠٨ •

(Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 114).

(٢) S.R.B.G. No. XX1V, pp. 430-1, 'Warden, Historical Sketch of the Wahabee...'

(٣) Ibid, p. 305, 'Warden, Joasmees'; low, op. cit., p. 319.

(٤) S.R.B.G. No. XX1V, 305, 'Warden, Joasmees'.

(٥) لمع الشهاب ، ص٨١ ــ ٨٢ •

ينهبون اكثر من القواسم ، لان القواسم كانوا من ابتداء الامر يتعففون عن التعرض لاموال الناس ودمائهم ••• وتوفي صقر بن راشد ، فولي بعده بحكم آل سعود ابنه سلطان بن صقر ، فغيّر ما كان يصنع أبوه وأخذ ينهب في البحر بنفسه • فنهب في ذلك العام [١٨٠٣] سبعا وثلاثين سفينة » •

ويقول فلبي[١] : « لقد ضاعف القواسم نشاطاتهم بتأثير العقيدة الجديدة » •

أتسمت اعمال القواسم بتأثير الوهابية ، بمسحة من التعصب الديني ، الذي أصبح ملازما لهجماتهم البحرية • وأدى اعتناقهم الحديث للوهابية الى الهاب نزعتهم القتالية الفطرية[٢] • وحول هذه الناحية يلاحظ كيرزن ان القواسم « اصبحوا اعتدائيين ، ذوي صفات مخيفة ، ويرجع ذلك الى تأثير الحركة الوهابية »[٣] ويقول ويكهام Whigham[٤] « لقد حولت الوهابية القواسم ••• الى مقاتلين متعصبين وقراصنة عنيفين » كما يستشف من وصف مرافق مالكولم العربي ، عن الطابع الهجومي العنيف للقواسم منذ دخولهم للوهابية ، فيقول[٥] :

« انهم ينتسبون الى الطائفة الوهابية ، ويدعون القواسم ، ليحمنا الله منهم ، فانهم مخيفون ، مهنتهم القرصنة ••• وهم يعطون مبررات دينية لكل عمل اعتدائي يرتكبونه • وهم مقيدون بحرفية الكتاب المقدس ، لا يقبلون

---

(١) Philby, op. cit., p. 79.

(٢) Kelly, op. cit., p. 106.

(٣) Curzon, op. cit. ,p. 448.

(٤) H.J. Whigham, The Persian Problem, (London, 1903), p. 81.

(٥) Malcolm, Sketches of Persia, Vol. I, pp. 27-8.

ثانيا ، ولو انه منعم عليه برسالة مقدسة[1] • وبما انهم يعتبرون جميع الخلق متساويين في نظر الله ، لذلك فانهم يعتبرون من الخطيئة والشرك تقديس الائمة واجلال بقاياهم ، والتضرع بهم ، كمحاولة للتقرب او اكتساب القوة من الله[2] •

اعتبر الوهابيون القرآن مرشدا اساسيا لكل الاغراض السياسية والاخلاقية • وأصروا على تطبيق صارم لآياته • وتأتي السنة بالدرجة الثانية من الأهمية بعد القرآن • واجماع المجتمع الاسلامي ، يحدد الى ما تم التوصل اليه في خلال القرون الثلاثة الاولى من ظهور الاسلام • وعليه فان اطاعة الشريعة النقية بشكل حرفي ، وانشاء مجتمع تسود فيه تلك الشريعة، هي الاسلام كما نادوا به ، وكل ما عداه زائد وخطأ[3] •

وبشكل عام يمكن اعتبار الوهابيين اتباعا لمدرسة احمد بن حنبل (ت : ٨٥٥ م) ، مؤسس اكثر الاتجاهات محافظة للمدارس السنية الاربع • وبدرجة اكثر تحديدا ، فانهم درسوا الحنبلية من خلال كتابات تقي الدين احمد بن تيمية (١٢٦٢-١٣٢٨ م) ، الذي رفع صوته عاليا ضد البدع وتقديس الائمة وتقديم النذور وزيارة المراقد المقدسة[4] •

بدأت الوهابية اولا مجرد حركة دينية ، ولكنها ما لبثت ، مع ضغط الظروف ، ان تطورت فاكتسبت طابعا سياسيا دنيويا • وكانت الاساس القوي

---

(١) Andrew Crichton, History of Arabia, Ancient and Modern, (Edinburgh, 1833), Vol. II, p. 289.

(٢) Ibid; Winder, op. cit., p. 9.

(٣) Winder, op. cit., pp. 9-10.

(٤) Ibid, pp. 8-9.

لقيام الدولة السعودية. مؤسس الوهابية هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١)، من قبيلة تميم. ولد في العينه، وهي مدينة صغيرة في نجد، سنة ١٧٠٣(٢). ولو ان هناك خلافاً في تاريخ ولادته، فبعض المؤرخين يحددونه بسنة ١٦٩١(٣). ولكن الارجح هو التاريخ الاول لانه يطابق مع ما اورده ابن غنام مؤرخ الحركة. ونشأ في جو ديني، اذ كان كل من جده وأبيه قاضيا حنبليا. وقد نشأ حنبليا وظل كذلك حتى وفاته. وفي صياغته لهذا المذهب، لم يهدف الى ايجاد مذهب جديد، بل كا نراضيا بأن يبشر بالاسلام المتكامل بشكله الاصلي(٤). وكان ميالا الى ان يردد « نحن

---

(١) يخطىء سالدانا في اعتباره بان هذا المذهب قد اوجده عبدالوهاب وابنه محمد. ويستطرد قائلا بان عبدالوهاب بدأ حياته تاجرا متنقلا ثم استقر في نجد حيث أخذ يبشر بعقائده. على أن سالدانا يستدرك الخطأ فيقول انه من الصعب القول فيما اذا كان عبدالوهاب (ت : ١٧٦٠م) أو ابنه محمد، الذي يمكن اعتباره المؤسس للعقيدة. انظر :

[I.O] J.A. Saldanha, Precis of Nejd Affairs, 1904-1904; pp. 1, 3.

كما يبدو من حديث نيبور عن الوهابية انه ينسبها خطأ الى والد محمد. اذ يقول انه بعد وفاة عبدالوهاب، حقق ابنه نفس السلطة وواصل بث مبادئه.

Nibuhr, op. cit., Vol. II, pp. 131-3.

(٢) ابن غنام، المصدر السابق، ص٧٥ ؛
J.B. Philby, Arabia, (London, 1930), p. 8.

(٣) S.R.B.G. No. X1ix, p. 127, 'Capt. R.L. Ulayfair, A History of Arabia Felix or Yemen, (Byculla, 1859); Crichton, op. cit., Vol. 11, p. 289; Wilson, op. cit., p. 196.

(٤) Jaques Benoist Mechin, Arabian Destiny, Trans. from the French by, Denis Weaver, (London, 1957), p. 48.

والحمد لله ، أتباع مدرسة احمد بن حنبل لا مبتدعون »[١] .

بدأ دراسته في موطنه وتنقل في طلب العلم الى عـدة اماكن ، فزار المدينة والبصرة والاحساء[٢] ، وتأثر من تدهور العقيدة ، سواء في موطنه او في البلدان التي زارها[٣] . وبالنسبة الى الشيخ فان الشرك « هو الخطيئة الوحيدة التي لا يغفرها الله ، الخطيئة الوحيـدة التي تبرر اعتبار منتحـلي الاسلام غير مؤمنين »[٤] .

اما الحكومة ، وفق هذه الدعوة ، فانها تتركز بيد الامام ، الذي هو الزعيم الديني والسياسي للامة[٥] . ولذا فان الطاعة للامام هي واجب مطلق على الفرد ، الا اذا أمره الحاكم ان يخرق الشريعة . وبدوره ، فان الواجب الرئيس للحاكم ، هو المحافظة على الشريعة والعمل على توسيع المجتمع .

ولتحقيق الغاية الاخـيرة ، ولتعميق اسس المجتمـع ، يجب وضع (الجهاد) موضع التنفيذ ، لجلب الامة أقرب الى ارادة الله . ان هذا المبدأ هو الذي يبرر الحملات العسكرية العديدة والمتواصلة التي شنها الوهابيون

---

(١) Rentz, op. cit., p. 270.

(٢) عن رحلات الشيخ ، انظر : كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق د. أحمد مصطفى أبو حاكمه ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص١٥ ــ ٢٢ وابراهيم فصيح بن السيد صبغةالله بن الحيدري البغدادي ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، تحقيق علي البصري ، (بغداد ، بدون تاريخ) ، ص٢٢٨ ــ ٢٣٠ .

(٣) عن الاوضاع الدينية العامة قبيل قيام الشيخ بدعوته ، انظر : ابن غنام ، المصدر السابق ، ص١٠ ــ ١٩ وحافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط١٠ (١٩٣٥) ، ص٣٣٦ــ٣٣٧ .

(٤) Rentz, p. cit., p. 271.

(٥) Crichton, op. cit., p. 289.

طيلة عمر دولتهم الاولى[1] •

احرز الشيخ هدفه الاولي بالتحالف مع بيت آل سعود[2] • ففي صيف سنة ١٧٤٤ ، تم في الدرعية ، قاعدة آل سعود عقد اتفاق للتحالف بين محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، اقسم الطرفان على المحافظة عليه ، لنشر الدعوة واسناد كل منهما للآخر • ومنذ ذلك الوقت ظل الارتباط وثيقاً بين آل سعود وآل الشيخ[3] ، زاده قوة المصاهرة بين الطرفين •

كانت أول حملة عسكرية تخرج من الدرعية ضئيلة جداً ، لم تتجاوز سبعة من راكبي الجمال[4] • ولكنهم وجدوا فريستهم متمثلة بجماعة من البدو ، فعادوا بأول غنيمة • ومنذ ذلك الوقت ، وحتى انهيار الدولة السعودية الاولى في ١٨١٨ ، أصبحت الغنائم أحد المصادر الاقتصادية الاساسية للدولة[5] •

مات محمد بن سعود في ١٧٦٥ ، وكان قسم كبير من نجد تحت سيطرته • وفي عهد ابنه وخليفته ، عبدالعزيز بن محمد ، تمكن من دفع حدوده الى مناطق أبعد • فحين وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ١٧٩٢ ،

---

(١) Winder, op. cit., p. 11.

(٢) Sir H.A.R. Gibb, Modern Trends in Islam, (Chicago, 1946), p. 26.

(٣) انظر G. Rentz, Wahhabism and Saudi Arabia, in the Arabian Peninsula, ed. Derk Hopwood, (London, 1972), p. 56.

(٤) H.J. Brydges, An Account of the Transactions of his Majesty's Mission to the Court of Persia, in the years, 1807-11 (London, 1834), Vol. II. p. 8.

(٥) Rentz, op. cit., p. 57.

كانت السيطرة الوهابية ، قد امتدت من المنطقة الصغيرة المحيطة بالدرعية ، لتشمل معظم نجد حتى جبل شمر في الشمال وقاسم في الغرب •

وهكذا نجح الشيخ ومحمد بن سعود وعبدالعزيز بوضع اسس الوهابية كقوة سياسية ودينية في الجزيرة العربية ، ونشروا سيطرتها الى كل نجد ، ومنها بدأوا بالاتجاه منذ أواخر القرن نحو الخليج العربي والبحر الأحمر •

٣ ـ الهيمنة الوهابية على القواسم :

على أثر نجاح الوهابيين في تثبيت انفسهم بقوة في نجد ، واخضاعهم قبائلها لسلطانهم ، في حوالي سنة ١٧٨٠ ، وجهوا أنظارهم نحو الشرق ، الى منطقة الحسا الغنية• وكان عليهم في اندفاعهم نحو الشرق، ان يصطدموا ببني خالد « الذين كانوا احدى اقوى القبائل التي عاشت وسيطرت على الساحل العربي من الخليج ، من قطر في الجنوب ، حتى البصرة في الشمال »(١) • وقد تمكن الوهابيون ، بعد سلسلة من الغارات والاشتباكات استغرقت الفترة ما بين ١٧٨٠ و ١٧٩٥ ، من القضاء على سلطان بني خالد(٢) • وبذلك توطدت سلطتهم في شرقي الجزيرة العربية • وعلى اثر ذلك ، وجه الوهابيون نشاطهم نحو المزيد من الفتح والتوسع • وقد اخذ هذا التوسع ثلاثة اتجاهات : غربي، نحو الحجاز والمدن المقدسة ، وشمالي،

---

(١) Abu Hakima, op. cit,. p. 125.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الاندفاع الوهابي نحو الاحساء ، وتحطيم سلطة بني خالد ، انظر : ابن غنام ، المصدر السابق ، ص١٤٧ ـ ١٩٤ ؛ لمع الشهاب ، ص٦٧ ـ ٧٦ ؛ محمد بن عبدالله الاحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، (الرياض ، ١٩٦٠) ، ص١٣١ ـ ١٣٥ ؛
Abu Hakima, op. cit., Chap. V.

نحو ولايات بغداد وسوريا ، وجنوبي شرقي ، نحو عمان ومراكز القوى البحرية في الخليج العربي •

ان البحث في تفاصيل الاتجاهين الاولين لا يدخل في نطاق بحثنا ، وانما يهمنا الاتجاه الاخير ، لما له من علاقة مباشرة بموضوعنا • حيث اسفر عن اخضاع القواسم وتقبلهم للعقيدة الوهابية ، واشتراكهم مع قاهريهم في سلسلة من المعارك الموجهة ضد سلطان عمان ، استغرقت معظم العقدين الاولين من القرن التاسع عشر •

مرت العلاقات القاسمية ـ الوهابية بمرحلتين ؛ تمثلت المرحلة الاولى منها بمقاومة القواسم محاولات الوهابيين لاخضاعهم ، وتمتد من حوالي سنة **١٧٩٧** الى نهاية القرن • حيث تبدأ المرحلة الثانية ، وفيها تقبل القواسم العقيدة الوهابية والتصقوا بها ، بل واصبحت نشاطاتهم بصورة عامة ، يلهمها الوهابيون • وتمتد حتى سقوط الدولة الوهابية الاولى سنة **١٨١٨** • وقد ظل القواسم مخلصين لعقيدتهم الجديدة حتى بعد ذلك التاريخ ، وظلوا على علاقات ودية مع السعوديين حتى الوقت الحاضر[١] •

أ ـ المرحلة الاولى :

تطلع الوهابيون ، بعد ان ثبتوا سلطتهم في الحسا ، الى اخضاع مراكز القوى البحرية على ساحل الشمال ، وبصفة خاصة القواسم • ومن المحتمل انهم كانوا يهدفون الى تحقيق غايات سياسية واقتصادية من وراء ذلك• اذ ان ذلك سيمكنهم من استغلال الاسطول القاسمي القوى ، لتوجيه ضربة قوية الى عمان ، التي وقفت بصلابة امام مطامحهم التوسعية ، من اجل اخضاعها • والى جانب ذلك سيكون بمقدورهم توجيه هذا الاسطول للقيام بهجمات على

(١) انظر : Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. I, p. 113.

السفن التجارية المارة بالخليج ، فيحققون من وراء ذلك ، موردا ماليا كبيرا •

مارس الوهابيون ، في مهاجمتهم لساحل (الشمال) ، اسلوبهم التقليدي في التوسع • ويعتمد هذا الاسلوب على شن غارات سريعة والانسحاب ، وغالبا ما ترمي الى التعرف على قوة الخصم ، والقيام بنفس الوقت بالتبشير بمبادىء الحركة عن طريق الدعاة ، حيثما نجحوا في الحصول على موطىء قدم في المنطقة •

ان هناك خلافا بين المؤرخين حول السنة التي بدأ بها التحرك الوهابي نحو ساحل (الشمال) ، وتثبيت انفسهم في البريمي • فلوريمر يحدد ذلك بسنة ١٨٠٠[١] • ويتفق معه في ذلك كل من ولسون وكيلي[٢] • اما سالدانا ، فانه يحدد وصول الوهابين الى ساحل الخليج بسنة ١٨٠٤[٣] ، وهذا بعيد كثيرا عن الوقائع الثابتة • وهناك طائفة اخرى من المؤرخين ، ترى ان هذا الاندفاع جرى في سنة ١٧٩٧ ، ومنهم الخبير في شؤون عمان ، مايلز حيث يقول[٤] : « يبدو انه في سنة ١٧٩٧ ، بدأ سعود بالتجاوز على الساحل الشمالي لعمان محاولا اخضاع القبائل البحرية المحاربة هناك وبخاصة بني ياس وقتب والقواسم • وقد قاومت هذه القبائل بشجاعة ، ولمدة ثلاث سنوات استمر الصراع بعناد • ولكن في سنة ١٨٠٠ ، خضع القواسم وتقبلوا العقيدة الوهابية » •

ومما يعزز رأي مايلز ، انه يتفق مع ما اورده صاحب لمع الشهاب • فعلى الرغم من ان الاخير لم يشر الى السنة ، الا انه تبين من مقارنة الوقائع

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 635.

(٢) Wilson, op. cit., p. 197; Kelly, op. cit., p. 102.

(٣) [I.O] Précis of Nejd Affairs, p. 6.

(٤) Miles, op. cit., p. 288.

التي ذكرها وأزمانها ، ان الغزو تم قبل اغتيال عبدالعزيز بسبع سنوات ، ولما كانت وفاة الاخير قد حدثت في اواخر سنة ١٨٠٣ ، فيبدو ان سنة ١٧٩٧ تمثل تلك البداية[١] • اما وجهة النظر السعودية فانها تحدد سنة ١٧٩٥ بداية للتحرك الوهابي وتمركزه في البريمي[٢] • ومن هذا الرأي كلارنس مان ايضا[٣] • ويستفاد مما اورده فلبي انه يتفق مع وجهة النظر الاخيرة ، ذلك بانه يذكر بان القواسم اعتنقوا الوهابية قبل مهاجمتهم للسفينتين (الباسين) و (الفايبر) ، التي مر بنا ذكرها ، والتي وقعت في سنة ١٧٩٧[٤] •

على الرغم من هذا الاختلاف ، فاننا نرجح الرأي القائل بان بداية التحرك نحو ساحل الشمال ، قد جرى في سنة ١٧٩٧ • فبالاضافة الى ان هذا التاريخ حدده كل من مايلز وصاحب لمع الشهاب ، فانه يتفق ، بصورة غير مباشرة ، مع رأي كل من بكنغهام ولو ، اللذان يؤكدان ان القواسم قاوموا محاولات الوهابيين لاخضاعهم طيلة ثلاث سنوات[٥] • ولما كان من الثابت ان القواسم قد خضعوا للوهابيين نهائيا في سنة ١٨٠٠ ، فتكون السنة التي اخترناها هي التاريخ الاقرب الى الدقة •

---

(١) انظر : لمع الشهاب ، ص٧٨ ــ ٨٤ •

(٢) Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. 1, p. 110.

(٣) Clarence Manm, Abu Dhabi, (Beirut, 1964), p. 24.

(٤) Philby, Arabia, p. 79.

(٥) انظر : Buckingham, op. cit., Vol. 11, p. 211; Low, op. cit., Vol. 1, p. 312.

يعتبر نجاح الوهابيين في التمركز بالبريمي[1] ، ذا أهمية خاصة ، فقد اصبحت هذه الواحة ، وطيلة عقدين من السنين القاعدة القوية التي تطلق منها الغارات على مناطق عمان المختلفة • وقد أدرك القائد الوهابي سالم الحارق ، الذي عُهد اليه باخضاع عمان، الأهمية الستراتيجية القصوى للبريمي ، التي هي بحق « المفتاح البري لعمان »[2] • فهي المكان الوحيد المروي بالآبار في صحراء تبلغ مئات الاميال ، تمتد بينها وبين الحسا • كما وانها تقع على مفترق الطرق الموصلة بين عمان وساحل (الشمال)[3] فالى الشرق منها ، على بعد اثني عشر ميلا ، ترتفع سفوح الحجار الغربية ، حيث ينحني وادي الجزي من خلالها باتجاه ساحل عمان عند صحار • والى الشمال والغرب تتجه السبل الى ضنك وابرى ، وفيما وراءهما الى نزوة وجبرين وازكي في قلب عمان[4] •

اقام الحارق قلعة جديدة في البريمي هي (قصر الصبارة) الى الجنوب من قلعتها القديمة (قصر الخندق) ، لتأمين القبضة الوهابية على الواحة[5] • كما سعى الى اخضاع او كسب قبائل الظاهرة وساحل (الشمال)[6] • ولعل اكبر مكسب حققه الوهابيون في هذه المنطقة نجاحهم في كسب تأييد قبيلة (النعيم) ، وهي القبيلة الرئيسة في البريمي والظاهرة • ويبدو ان

---

(١) عن وصف البريمي أنظر هامش (٢) ص ٨٠ من الفصل الثاني

(٢) Kelly, op. cit., p. 102.

(٣) أنظر خارطة عمان وساحل القواسم ص ٨٩ •

(٤) Kelly, op. cit., p. 102.

(٥) كان هذا اسلوب الوهابيين في انهم يقيمون لهم حصنا جديدا في المناطق ذات الاهمية الستراتيجية • انظر : لمع الشهاب ، ص٤٩ •

(٦) Kelly, op. cit., p. 103.

هذه القبيلة الغافرية قد مالت الى جانب الحركة الجديدة[1] • وبمعونتها نجح الوهابيون في اخضاع قبيلة (الظواهر) ، الموالية لالبو سعيد ، وبني قتب والشوامس ، القاطنين في النهاية الغربية لوادي الجزي[2] •

على اثر خضوع (النعيم) التفت الأمير عبدالعزيز ناحية القواسم • فحاول في البدء اقناع زعيمهم صقر بن راشد ، عن طريق (النعيم) بالدخول الى الوهابية ، وفي حالة الرفض فقد أصدر اوامره الى القبيلة الاخيرة بمهاجمة القواسم ، واعدا بارسال الامدادات العسكرية من الدرعية لتحقيق هذا الغرض[3] •

رفض الشيخ القاسمي صقر بن راشد الاستجابة للدعوة ، فتحركت قوات (النعيم) لاجباره على الخضوع • ولكنه نجح في دحر القوات المهاجمة • فأرسل هؤلاء الى الامير الوهابي يخبرونه بعجزهم عن تنفيذ اوامره باخضاع الشيخ القاسمي • فبادر الى ارسال قوة من الف رجل ، كانت على الارجح بقيادة مطلق المطيري[4] •

عسكر القائد الوهابي في البريمي ، وارسل قوة من مائتي فارس بقيادة سعدون آل علي ، ترافقها قوة من خمسمائة رجل من النعيم ، وأمرها بالاغارة على موطن القواسم • وقد وصلت هذه القوات بالقرب من رأس الخيمة ، وحاولت قطع الطريق بين المدينة ومنطقة بساتين النخيل[5] •

---

(١) J.B. Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 55.

(٢) Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 103.

(٣) لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٤) يذكر صاحب لمع الشهاب اسم راشد بن سنان المطيري ، ليعود ويقول انه مطلق • انظر : لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٥) تقع بساتين النخل فيالجانب الجنوبي الشرقي منالخليج الذي =

واستمرت الحالة هذه لمدة عشرة ايام ، قام الشيخ صقر في نهايتها ، على رأس قوة من الف رجل بمهاجمة هذه القوات فدحرهـا واجبرهـا على التراجع ، ولكنه لم يقم بمطاردتها وانما حافظ على مواقعه[1] • مما يدل على الموقف الدفاعي الذي واجه الشيخ القاسمي به التحدي الوهابي • على انه لم تمض سوى أيام قلائل ، حتى قـدم مطلق المطيري على رأس قـوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل[2] ، يبدو انه جمعها من القبائل الموالية •

وجد الشيخ صقر انه عاجز عن مواجهة هذه القوات ، فأصدر اوامره الى رجاله بالانسحاب الى المدينة للدفاع عنها• وطوقت القوات الوهابية رأس الخيمة ، فارضة عليها حصاراً محكما ، مما حال بينها وبين بساتينها ومياهها • صمد القواسم للحصار سبعة عشر يومـا ، اضطروا في نهايته الى طـلب الصلح • وعلى الاثـر عقـد اجتماع بـين الشيخ صقر بن راشد والقائـد الوهابي مطلق المطيري ، اسفر عن موافقة الاول على قبول المبادىء الوهابية ، وتبعه في ذلـك معظم كبار القواسم[3] • وكان ذلك في سنة **١٧٩٩**[4] • ولكن محاولة مطلق تهديم مقام احد الاولياء[5] في رأس الخيمة ، اسفرت

= تقع عليه مدينة رأس الخيمة ، وتمتد نحو الشرق •
(Buckingham, op. cit., Vol. 11, pp. 353-4).

(١) لمع الشهاب ، ص٧٩ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨٠ •

(٣) نفس المصدر •

(٤) Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. I, p. 113.

(٥) وهو مقام يعرف باسم (سيد حسن) ، يصفه صاحب لمع الشهاب بانه مرشد راشد بن مطر ، وكان هذا المقام مقدسا لدى جميع أهل السر (لمع الشهاب ، ص٨٠) •

عن انتفاض قسم من القواسم ضد الوهابية • ووقع اشتباك بينهم وبين القوات الوهابية ، اضطروا بعده على الانسحاب واللجوء الى اقربائهم في لنجة[١] • وعلى الرغم من اخضاع رأس الخيمة ، ظل قسم من اتباع القواسم مثل قبيلة زعاب في جزيرة الحمرا ، و (طينج) في رامس ، يقاومون القوات الوهابية لفترة اخرى ، حتى اجبروا على الخضوع وتقبل الدعوة[٢] •

يتبين مما سبق ، ان القواسم اتخذوا موقف المقاومة من التوسع الوهابي ، بل انهم حاولوا في ذلك الوقت تناسي عداواتهم التقليدية مع عمان ، وحاول الطرفان بالتضامن ابعاد الخطر الوهابي ولكن بدون نجاح[٣] • ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الذي يقع فيه العقاد ، الذي يقول « عندما وصل نفوذ الدولة السعودية الاولى الى جنوب شرق شبه الجزيرة ، رحب سلطان ابن صقر ، زعيم القواسم باعلان تبعيته لحكومة الدرعية طالما انهذه الحكومة لا تغير من وضعه كزعيم للقبيلة ••• »[٤] فأولا ان شيخ القواسم آنذاك كان صقر بن راشد لا سلطان ، حيث ان الاول توفي سنة ١٨٠٣ ، فخلفه على الزعامة ابنه الشيخ سلطان[٥] • وثانياً ، وكما مر بنا اعلاه ، لم يرحب الشيخ القاسمي بهم ، الا اذا كانت المقاومة تعتبر نوعاً من الترحيب الحار ! • وأخيرا فان السلطة الوهابية أضعفت الى حد ما من سلطة الشيخ القاسمي ، مما جعل صقر بن راشد يشعر بالاستياء من ذلك[٦] • ويمكننا ان نلمس

---

(١) لمع الشهاب ، ص٨٠ – ٨١ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨١ •

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 635; Hawley, op. cit., p. 97.

(٤) د • العقاد ، التيارات السياسية ، ص٩٨ •

(٥) S.R.B.G. No. XX1V, p. 303, 'Warden, Joasmees'

(٦) Kelly, op. cit., p. 103.

تقليص سلطة الشيخ القاسمي مما أورده صاحب لمع الشهاب ، حيث يشير الى إن قبيلتي طنيج وزعاب كانتا تحكمان مباشرة من رأس الخيمة ، ولكن بعد دخولهما للوهابية أصبح لهما أمير منهم[(١)] • ويقول في موضع آخر عن قبيلة بني بو علي : « اهـل الصير الذين هم سكنة ام القيوين وهم تبعـة القواسم ، قبل تسلط آل سعود »[(٢)] •

ب ـ المرحلة الثانية ١٨٠٠ ـ ١٨١٨ :

بعد موقف المقاومة التي جابه القواسم به التقدم الوهابي في بلادهم ، آمنوا بالدعوة الوهابية باخـلاص ، ولعبوا دورا مهما في اسنادها ونشـر مبادئها • ان هذا الموقف ، هو الذي دفع بالأمير عبدالعزيز الى ان يطلـق عليهم اسم « الموحـدة اعجابا وتكريما لهم »[(٣)] • بل انهم تمتعوا بمكانـة خاصة في نظر القادة الوهابيين ، حتى ان الشيخ الديني الأعلى للوهابية ، علي بن محمد بن عبدالوهاب كان « لا يضيف احدا قـط الا أهـل رأس الخيمة ، فانهم اذا وفدوا على سعود لا يأكلون الا عنده »[(٤)] • ويقول هذا الشيخ عن غنائم القواسم « كل ما غنمه أهل رأس الخيمة فهو أحلّ من حليب الوالدة »[(٥)] •

ان هناك جملة أسباب تكمن وراء حماس القواسم للوهابية واخلاصهم لها • فلقد ساعد الوهابيين في استمالتهم لقبائل (الشمال) بصورة عامة ،

---

(١) لمع الشهاب ، ص٨١ •

(٢) نفس المصدر ، ص٨٣ •

(٣) نفس المصدر •

(٤) نفس المصدر ، ص١٧٧ •

(٥) نفس المصدر •

ان معظم هذه القبائل من السنة ويميلون الى الغافرية • فكان من السهل عليهم استيعاب المبادىء الوهابية[1]. • ونفس هذه الحقيقة ، اي كون القواسم سنة غافرية ، جعلتهم أعداء الداء لحكام عمان البو سعيديين الاباضية[2] • وقد مر بنا ان هذا الخلاف ، الديني — السياسي ، كان احد اسباب الحروب المتواصلة التي خاضها الطرفان طيلة القسم الاعظم من النصف الثاني من القرن الثامن عشر • ولذلك ، فقد وجد القواسم في الوهابية التي فُرضت عليهم ، فرصة لتوجيه ضربات قوية لسلطة حكام عمان، باساطيلهم البحرية، المسندة بالقوى الوهابية العسكرية البرية • كما ان الوهابية فيما قررته من التأكيد على (الجهاد) ، وجدت لها صدى ملائماً لطبيعة القواسم الحربية • اذ وجدت عملياتهم في اعتراض سفن مناوئيهم التجارية ، ما يبررها دينيا • فقد كانت المناطق والقوى التي لا تشاطر الوهابيين آراءهم يطلق عليها (دار الحرب)[3] ووفقا لذلك ، فقد اصبحت مغامراتهم البحرية جزءاً من حركة الجهاد ، وبالتالي فان الاسلاب تعد غنائم حرب[4] • بل ان هذه الهجمات غدت « أمرا لازما من الجهاد الديني ضد الكفرة منكري تعاليم الوهابية »[5] • هذا ويشير المؤرخون الغربيون الى هذا النوع من الجهاد البحري بالقرصنة • وبنتيجة حث الامير الوهابي ، مد القواسم نشاطاتهم البحرية الى البحار الهندية[6] • وكان اول ظهور لهم في شهر نيسان سنة

---

(١) Kelly, op. cit., p. 103.

(٢) Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 55.

(٣) Hawley, op. cit., p. 97.

(٤) العقاد ، المصدر السابق ، ص٩٩ •

(٥) قاسم ، دولة بو سعيد ، ص٨٠ •

(٦) [I.O.] Precise of Nejd Affairs, p. 6.

١٨٠٨ ، على السواحل الواقعة الى الشمال من بومباي[١] • ومما يثبت التحريض الوهابي للقبائل البحرية بصورة عامة على (الجهاد البحري) ، ما ورد في رسالة سعود الى حاكم عمان ، بدر بن سيف ، في سنة ١٨٠٥ ، حيث قال « لاشك في انك ستبادر الى المشاركة في الجهاد في الهند الذي فيه لن تقاتل لأجلي ، ولكنها مسؤوليتك في اطاعة الله »[٢] • ويشير الكابتن ديفيد ستون D. Seton المقيم البريطاني في مسقط ، الى أن اعمال القواسم القرصنية « لا يمكن اعتبارها الا بكونها تحريضاً من الوهابيين »[٣] • ويحدد واردن سنة ١٨٠٤ بداية لقيام القواسم بقرصنة منتظمة[٤] • لقد كان القواسم قبل الوهابية ، يقومون بعمليات قرصنية ، كما مر بنا ، ولكنها كانت على نطاق محدود ، فأصبحت في هذه الفترة اسلوبا اساسيا في نشاطهم • ونجد دليلا على ذلك مما اورده صاحب لمع الشهاب الذي يقول[٥] :

« خرجوا في سفنهم للجهاد [يقصد قبيلتي زعاب وطنيج] وكانوا

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, 304, 'Warden, Joasmess'

أما كيلي فيحدد ظهور الاساطيل القاسمية للمرة الاولى قرب السواحل الهندية بالقرب من كوج بشهر تشرين الثاني من نفس السنة ١٨٠٨ •

(Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 114).

(٢) S.R.B.G. No. XX1V, pp. 430-1, 'Warden, Historical Sketch of the Wahabee...'

(٣) Ibid, p. 305, 'Warden, Joasmees'; low, op. cit., p. 319.

(٤) S.R.B.G. No. XX1V, 305, 'Warden, Joasmees'.

(٥) لمع الشهاب ، ص٨١ ـ ٨٢ •

ينهبون اكثر من القواسم ، لان القواسم كانوا من ابتداء الامر يتعففون عن التعرض لاموال الناس ودمائهم ••• وتوفي صقر بن راشد ، فولي بعده بحكم آل سعود ابنه سلطان بن صقر ، فغيّر ما كان يصنع أبوه وأخذ ينهب في البحر بنفسه • فنهب في ذلك العام [١٨٠٣] سبعا وثلاثين سفينة » •

ويقول فلبي[١] : « لقد ضاعف القواسم نشاطاتهم بتأثير العقيدة الجديدة » •

أتسمت اعمال القواسم بتأثير الوهابية ، بمسحة من التعصب الديني ، الذي أصبح ملازما لهجماتهم البحرية • وأدى اعتناقهم الحديث للوهابية الى الهاب نزعتهم القتالية الفطرية[٢] • وحول هذه الناحية يلاحظ كيرزن ان القواسم « اصبحوا اعتدائيين ، ذوي صفات مخيفة ، ويرجع ذلك الى تأثير الحركة الوهابية »[٣] ويقول ويگهام Whigham[٤] « لقد حولت الوهابية القواسم ••• الى مقاتلين متعصبين وقراصنة عنيفين » كما يستشف من وصف مرافق مالكولم العربي ، عن الطابع الهجومي العنيف للقواسم منذ دخولهم للوهابية ، فيقول[٥] :

« انهم ينتسبون الى الطائفة الوهابية ، ويدعون القواسم ، ليحمنا الله منهم ، فانهم مخيفون ، مهنتهم القرصنة ••• وهم يعطون مبررات دينية لكل عمل اعتدائي يرتكبونه • وهم مقيدون بحرفية الكتاب المقدس ، لا يقبلون

(١) Philby, op. cit., p. 79.

(٢) Kelly, op. cit., p. 106.

(٣) Curzon, op. cit. ,p. 448.

(٤) H.J. Whigham, The Persian Problem, (London, 1903), p. 81.

(٥) Malcolm, Sketches of Persia, Vol. I, pp. 27-8.

سيف ، بمحاولة لانتزاع الحكم ، ولكن محاولته فشلت ، فهرب الى عجمان ومنها الى الدرعية[1] • وكان ذلك بداية للعلاقات الوطيدة التي ربطته بالأمير الوهـابي •

كان نجاح الوهابيين في احتلال الحجاز في ١٨٠٣ ، ايذانا بتوجيه محاولة جديدة لاخضاع عمان • وبخاصة بعد ان علم الأمير عبدالعزيز بقيام سيد سلطان بارسال قوة عسكرية صغيرة الى الحجاز لدعم الشريف غالب ضد التهديد الوهابي[2] • فأصدر الامير الوهابي في منتصف تلك السنة ، اوامره الى قائده الحارق بأن يشن هجوما عاما وواسعا على عمان • كما ارسل اوامره الى رأس الخيمة والبحرين والكويت بتجهيز اساطيلهم للقيام بهجوم كبير ضد التجارة العمانية[3] •

اندفع الحارق مخترقاً الحجار الغربية في منتصف صيف سنة ١٨٠٣ ، واكتسح الباطنة و « كان النهب والذبح ملازمين له اينما ذهب » • لم يتمكن حاكم مسقط ، سلطان بن احمد ، من مواجهة هذا الهجوم الكاسح ، ووجد نفسه مجبرا على طلب الصلح • فأرسل بعثة الى الدرعية ، حيث تم التوصل الى اعلان هدنة لمدة ثلاث سنوات ، شريطة ان يدفع حاكم مسقط أتـاوة سنوية مقدارها ١٢٫٠٠٠ دولار ويسمح للامير الوهابي بتعيين نائب له في مسقط[4] •

لم يكن في نية الامير الوهابي ، بالرغم من موافقته على الهدنة ، ان

---

(١) Miles, op. cit., p. 297; Kelly, op. cit., p. 103.

(٢) Miles, op. cit., p. 297; Kelly, op. cit., pp. 103-4.

(٣) Miles, op. cit., p. 297; Kelly, op. cit., p. 104.

(٤) Lorimer, op. cit. Vol. 1A, p. 425; Miles, op. cit., p. 298. أما كيلي فلا يشير الى قيام مثل تلك البعثة ، ويقول بانه تـم التوصل الى الهدنة مع القائد الحارق • انظر : Kelly, op. cit., p. 104.

يتخلى عن عمان حتى بمثل تلك الشروط • وقد استغل الهدنة لارسال التعزيزات العسكرية الى الحارق في البريمي • وبعد وقت قصير اصدر اوامره الى قائده بالهجوم(١) • زحف الحارق في خريف ١٨٠٣ ، متجها الى الباطنة ، بالتعزيزات الجديدة وقوات المتطوعين من الظاهرة • والتقى بسلطان شمال سويق ، حيث دارت معركة ضارية بين الطرفين ، انتهت باندحار سلطان وتقهقره ، وتحول الحارق نحو الشمال لحصار صحار(٢) • وعند هذه المرحلة الحاسمة ، وصلت الانباء باغتيال الامير عبدالعزيز في جامع الدرعية في ٤ تشرين الاول ١٨٠٣(٣) • فعمت البلبلة القوات الوهابية ، واضطر الحارق الى رفع الحصار عن صحار • والانسحاب بقواته الى البريمي(٤) • وبهذه المناسبة نجد ان جمال زكريا يشير الى ان سيد سلطان عقد هدنة أمدها ثلاث سنوات (تحوى نفس شروط الهدنة التي ذكرناها آنفا) مع الحارق قبل انسحاب الاخير الى البريمي(٥) • ولكن تطور الأحداث يناقض ما ذكره ، اذ ان سلطان أصبح في مركز أقوى من ان يقبل بمثل تلك الشروط ، من قوة مضطرة الى الانسحاب •

---

(١) Miles, op. cit., p. 298.

(٢) Ibid; Kelley, op. cit., p. 104.

(٣) طعن حتى الموت في أثناء الصلاة من قبل رجل فارسي شيعي ، انتقاما لمقتل أولاده في مذبحة كربلاء (Kelly, op. cit., p. 104) وهناك رواية أخرى أضعف في لمع الشهاب (ص١٠٣–١٠٥) • أما سالدانا فانه يورد رواية أقرب الى الخيال • ويقع في خطأ واضح ، اذ يقول بان الهجوم على كربلاء ، والمذبحة التي رافقته ، جرت من قبل أخ عبدالعزيز المدعو عبدالله الذي خلفه بالامامة ! وانه قام بها انتقاما لمقتل أخيه ! انظر :

[I.O.] Precis of Nejd Affairs, pp. 4-5.

(٤) Kelly, op. cit., p. 104; Miles, op. cit., p. 298.

(٥) دولة بو سعيد ، ص٨٤ •

اما بالنسبة لدور القواسم في الصراع الاخير ، فالظاهر انهم لم يسهموا بالشكل المتوقع في تلك الحرب التي خاضها الوهابيون ضد سيد سلطان ، اذ « كانوا كارهين من أن يفوتهم موسم صيد اللؤلؤ »[1] . ومما يؤيد ذلك ، ما ذهب إليه مايلز من ان القواسم كانوا مترددين منذ البداية بسبب ذلك ، وقد « طلبوا من الامير عبدالعزيز اعفاءهم ، ولكن الاوامر صدرت بشكل قطعي بحيث بادر القواسم والعتوب الى تنفيذها »[2] . وعلى اثر انسحاب القوات الوهابية الى البريمي سارع القواسم بقيادة كبير مشايخهم الجديد سلطان بن صقر ، بعقد الصلح مع حاكم مسقط[3] .

صمم سلطان بن احمد على أثر موت الامير عبدالعزيز ، على القضاء نهائيا على تهديد الوهابيين لعمان وتحطيم حلفائهم القواسم . فحاول ان يحصل على حليف قوي يمكنه من تحقيق ذلك ، فالتفت ناحية البريطانيين والعثمانيين لهذا الغرض . ولكن التماساته لحكومة الهند البريطانية لم تسفر عن نتيجة . اما والي بغداد ، علي باشا ، فقد اسرف في وعوده بدون نتيجة ملموسة[4] . ولهذا فما ان سمع بالأمر الذي اصدره السلطان سليم الثالث (١٧٨٩–١٨٠٧) ، الى كل من والي بغداد وسوريا ، في اواخر ١٨٠٣ ، والقاضي بالتهيئة للقيام بحملة مشتركة ضد الوهابيين ، حتى ابحر من مسقط قاصدا البصرة على رأس اسطوله[5] ، للالتحاق بقوات والي بغداد . ولكن

---

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 424.

(٢) Miles, op. cit., p. 297.

(٣) Ibid, p. 299; Kelly, op. cit., p. 104.

(٤) Miles, op. cit., p. 302; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 434; Hawley, op. cit., p. 98.

(٥) تألف اسطوله الحربي الذي خرج على رأسه بهذه المناسبة من أربع عشرة سفينة حربية . (Lorimer, op. cit., 1A, p. 434)

العثمانيين خيبوا آمال سلطان في القيام بعمل عسكري مشترك ضد الوهابين • اد ادرك حين وصوله البصرة بعدم استعداد السلطات العثمانية في العراق للقيام بتلك الحملة[1] •

قرر سيد سلطان العودة الى بلاده ، فأبحر من البصرة في تشرين الثاني سنة ١٨٠٤ ، يلفه شعور عميق بالأسى لفشل محاولته السابقة • وعلى مقربة من باسيدو ، عند النهاية الغربية لقشم ، انتقل من سفينته الحربية (جنجافا) الى سفينة اصغر للنزول الى البر • وحينما أصبح بعيدا عن مدى مدافع سفينة القيادة ، بوغت بظهور ثلاثة مراكب صغيرة ، كانت كامنة في مأوى الجزيرة • ووقع التحام اسفر عن اندحار سفينة سلطان ومقتله ، وانسحب المهاجمون قبل ان يتمكن اسطول مسقط من اللحاق بهم[2] •

هناك تضارب كبير بين المؤرخين عن هوية المهاجمين وظروف اغتيال سلطان وتاريخه ، ولكن قسما كبيرا منهم يعتبرهم من القواسم[3] •

---

(١) Kelly, op. cit., p. 105.

أما ابن رزق فيقول بان رحلة سلطان الى البصرة كانت من اجل استلام المخصصات التي كانت تدفع لعمان منذ أيام أحمد بن سعيد (Badger, op. cit., p. 238) وليس هذا في رأيي دافعا كافيا لخروج سلطان بمعظم اسطوله •

(٢) Kelly, op. cit., p. 105.

(٣) المصادر التالية تشير الى أن المهاجمين قواسم :
Fraser, op. cit., p. 13; Miles, op. cit., p. 303; Low, op. cit., Vol. 1, p. 316; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 434; Gerald S. Graham, Great Britain in the Indian Ocean, A study of Maritime Enterprise 1810-1850, (Oxford, 1967), p. 167; Coupland, op. cit., p. 107;

ابراهيم بن صالح بن عيسى ؛ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في =

اما القسم الآخر فيقرر بانهم من العتوب[1] ، وفريق ثالث يرى بان قتلته هم من القواسم والعتوب في عملية مشتركة[2] • اما ابن رزق فانه يتهم الشحوح بهذه العملية[3] • ومن الطريف ان سالدانا يناقض نفسه فتارة يقول ان القتلة هم من العتوب[4] ، واخرى قواسم[5] • وبقدر ما تختلف الروايات في هوية المهاجمين ، فانها تختلف ايضا في ظروف مصرعه ويوم وقوعه[6] • ومهما كانت طبيعة هذه الاختلافات ، فان الذي يبدو مرجحا ان المهاجمين هم من القواسم ، التقوا بهذه السفينة الصغيرة بدون سابق اعداد ،

= نجد ، ووفيات بعض الاعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ الى ١٣٤٠هـ ، (الرياض ، ١٢٨٦هـ/١٩٦٦) ، ص١٣٠ — ١٣١ •

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 20, From Govrt. of Bombay to the Sec. Committee, Dated 15 Dec. 1804.

(٢) S.R.B.G. No. XXIV, p. 303, 'Warden, Joasmess';

Grant, op. cit., Vol. I, p. 551; Aitchison, op. cit., Vol. XII, p. 187.

ويستنتج كل من واردن وكرانت من قرارهما هذا ، بان القواسم كانوا في حلف مع العتوب في أواخر ١٨٠٤ •

(٣) Badger, op. cit., p. 239.

(٤) [I.O.] Saldanha, Precis of Nejd, p. 6.

(٥) [I.O.] Salandanha, Precis of Correspondence, p. 33.

(٦) قارن : Shaik Mansur, op. cit., p. 2; Fraser, op. cit., p. 13.

وعن يوم مصرعه :

Low, op. cit., Vol. I, p. 316; Miles, op. cit., p. 303; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 434.

وحينما علموا بهوية بحارتها ، استغلوا الفرصة للتخلص من عدوهم الخطير • ومما يدعم رأينا هذا ما يقوله ابن رزق في ان المهاجمين أبقوا على حياة رجال سلطان ، وان « السيد وحده هو الذي قتل »[1] •

كان لمصرع سلطان بن احمد ، نتائج خطيرة ومباشرة على الوضع العام في الخليج • ففي خلال اسابيع قليلة من مصرعه ، عمت الاشتباكات المسلحة ، حيث جاهد القواسم لاغتصاب السيادة البحرية التي كانت بيد مسقط واكتسحوا بالاشتراك مع اقربائهم من النخبة ، على الساحل الشرقي ، وبني معين من قشم وهرمز ، هاتين الجزيرتين في شباط سنة ١٨٠٥ • وواصلوا نشاطهم للاستيلاء على بندر عباس ، وفرضوا الحصار على ميناب ، الواقعة على بعد أميال قليلة منها ، وبذلك فقد « اصبحوا آنذاك سادة مضيق هرمز ، وبالتالي اصبح بامكانهم ان يهاجموا اية سفينة داخلة الى الخليج العربي او خارجة منه »[2] • كما نجح ملا حسين المعيني شيخ قشم وحليف القواسم ، في الاستيلاء على بندر عباس • وكان هذا الميناء مؤجرا من قبل الحكومة الفارسية لسيد سلطان منذ بضع سنوات[3] • ويورد هاولي ان القوة التي استولت على بندر عباس ، كانت بقيادة حسن ابن رحمة ، أحد زعماء القواسم[4] • وقد شكل هذا الوضع تهديدا خطيرا للسفن البريطانية عند مدخل الخليج •

شعرت حكومة الهند البريطانية بالخطر الكبير على مصالحها اثر مصرع سلطان بن احمد ، الذي كان يمثل قوة رادعة لنشاطات القواسم

---

(١) Badger, op. cit., pp. 238-9.

(٢) Kelly, op. cit., p. 105.

(٣) Miles, op. cit., p. 306; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 438-9.

(٤) Hawley, op. cit., pp. 99-100.

البحرية الموجهة ضد مصالحهم في الخليج • ولهذا اصدر الحاكم العام للهند تعليماته الى المستر دنكان ، حاكم بومباي ، باتخاذ الخطوات الضرورية لمعالجة الموقف بما يضمن مصالح الحكومة البريطانية في مسقط ، وتأمين التجارة في الخليج • كما أمر بارسال الكابتن ديفيد ستون على وجه السرعة ، لاعادة فتح المقيمية في مسقط بشكل دائم[١] ، وان يزود بالتعليمات التي تقضي بمساعدة احد ولدي سلطان في الحصول على العرش ، مع تحذيره بان يقدم هذه المساعدة « دون المجازفة بتوريط الحكومة البريطانية في عداوات مع دولة مسقط »[٢] •

بادرت حكومة بومباي، استجابة لاوامر الحاكم العام ، باصدار أوامرها الى ستون في الثالث من مارت ١٨٠٥ ، بالعودة الى مسقط، وزودته بالتعليمات التي سيكون عليه السير بموجبها • وتضمنت ، اضافة الى النواحي التي اشار اليها الحاكم العام ، ان يقوم بمساعدة (امام) مسقط[٣] ، في مطاردة

---

(١) كان هناك القليل من الاهتمام بشؤون مسقط منذ رفع المقيمية في نهاية سنة ١٨٠٣ ، بعد أن مات أحد المقيمين وسقط الثاني مريضا بالحمى ، « ويبدو ان حكومة بومباي رضيت بان تترك حماية التجارة البحرية في الخليج لسيد سلطان » •

(Kelly, op. cit. p. 107)

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, pp. 33-4.

(٣) فى الواقع انه بموجب التسوية التي جرت بين سلطان وبين أخيه (الامام) سعيد ابن أحمد في أواخر سنة ١٧٩٢ ، ظل الاخير يحتفظ بلقب (الامام) • ولكن منصبه كان ذا طابع روحي فقط • أما الشؤون السياسية والادارية ، فكانت بيد سلطان الذي أخذ لقب (السلطان) • ومنذ وفاة الامام سعيد ، في حوالي سنة ١٨٢١ ، لم يدع أحد من حكام مسقط هذا اللقب الروحي ، حتى سعيد بن سلطان نفسه • ولكن معظم الكتاب الانكليز وسجلات حكومة الهند تشير الى حكام مسقط بلقب (الامام) ، وهذا غير=

القواسم بواسطة الطرادات الموجودة في الخليج ، ومنها (مورنكتون Mornington) التي وضع قائدها تحت تصرفه مباشرة • وكان على ستون « ان يتصرف بحذر في مواجهته للقراصنة ، وان يحاول التوصل الى التسوية عن طريق التفاوض ، وان يتجنب في كل الاحوال العمليات العدائية ••• » ، وان يبقى بعيدا عن كل ما من شأنه اثارة النزاع مع الوهابيين والحكومتين العثمانية والايرانية[1] •

ب ـ الفترة الثانية ١٨٠٤ ـ ١٨٠٦ :

أعقب مصرع سيد سلطان تطورات داخلية حادة في الاوضاع العمانية، كان لها تأثيرها في علاقة العمانيين بالقواسم • فقبل ان يقوم سيد سلطان برحلته الاخيرة الى البصرة ، عيّن محمد بن ناصر الجبري ، قيّما على ولديه سليم وسعيد ، وأوكل اليه أمر تصريف الامور لمصلحتهما في اثناء غيابه في رحلته الاخيرة الى البصرة[2] • وقد كانت ردة الفعل الاولى لمحمد ، لدى سماعه بمصرع سلطان ، ان فكر باعداد مشروع حملة انتقامية من القواسم اعتقادا منه بمسؤوليتهم عن مصرعه • ووضع فعلا خطة لتنفيذ هذا الامر قصد بها مهاجمتهم من جهتي البحر والبر • وبموجب تلك الخطة ، كان على سعيد ، ابن سلطان الاصغر قيادة اسطول مؤلف من اربع سفن وعدد من الداوات ، لمهاجمة القواسم في قشم ، في نفس الوقت الذي تزحف به قوة كبيرة عبر الطريق البري الى رأس الخيمة لنفس الغرض •

= صحيح • انظر حول موضوع الامامة :
Badger, op. cit., Note on p. 342, and Appendix A, On the Title of "Imam" pp. 378-81.

(١) انظر نص التعليمات الموجهة الى ستون في :
[I.O.] Precis of Correspondence, pp. 34-5.

(٢) Miles, op. cit., p. 304.

ولان تطور الاوضاع الداخلية، حال دون وضع المشروع موضع التنفيذ[1].

فقد استغل قيس بن احمد ، عم سعيد وسليم وحاكم صحار ، الظرف الذي كانت تعاني منه عمان ، اثر مصرع سلطان ، فقام بمحاولـة للسيطرة على الحكم . فزحف على طول الباطنة في اوائل ١٨٠٥ ، واستولى على مطرح بدون صعوبة ، واندفع لحصار مسقط . وفي خـلال ذلـك وصل بدر بن سيف[2] ، الذي سبق له ان قام بمحاولة للاطاحة بحكم سلطان في سنة ١٨٠٣ ، الى مسقط من منفاه في الزبارة ، بدعوة من محمد بن ناصر ، لمواجهة خطر قيس . حيث لقيت هذه الدعوة استجابة سريعة من بدر ، اذ وجدها تحقق طموحاته في الوصول الى الحـكم[3] . وما أن أدرك بـدر خطورة الحالة ، حتى استنجد بالدرعية ، التي بادرت الى النجدة ، فزحفت الحامية الوهابية في البريمي مخترقة وادي الجزى ، وفرضت الحصار على صحار . كما أبحر اسطول مكون من خمس عشرة سفينة يحمل ١٥٠٠ رجل من البحرين ، متجها الى مسقط بناء على اوامر سعود . وبسبب هذا التطور ، أجبر قيس على رفع الحصار عن مسـقط والعـودة الى صحـار للدفاع عنها ضد الوهابيين ، وبعد فترة قصيرة عقـد صلحا مـع بـدر[4] . ولـكن بعد فترة قصيرة على هـذا الاتفاق ، وجـد قيس ذريعة لتجديد العداوات ، فزحف الى مطرح واستولى عليها مرة اخرى . ولكن وصول

---

(١) Miles, op. cit., p. 304.

(٢) يخطىء مريزي ، على الرغم من معاصرته للاحداث ، في اعتباره بدرا هذا هو ابن سلطان الاكبر وشقيق سليم وسعيد .
Shaik Mansur, op. cit., p. 4.

(٣) للمزيد من التفاصيل :
Miles, op. cit., pp. 304-5; Kelly, op. cit., p. 107.

(٤) Kelly, op. cit. p. 107; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 437.

تعزيزات وهابية كبيرة عن طريق البحر ، تألفت من حوالي ٤٫٠٠٠ رجل ، وضعت حدا للصراع ، وأجبرت قيس على الانسحاب[١] • واعقب ذلك انسحاب القوة الوهابية ، وتوصل قيس وبدر الى عقد صلح جديد بينهما ، تقرر فيه تسليم مطرح للاول باعتبارها حقا مكتسبا لوالده ، مع حصوله على اعانة مالية تبلغ ١٫٠٠٠ دولار شهريا[٢] •

قرر بدر ، بعد تسوية مشاكله الداخلية ، استعادة بندر عباس من حلفاء القواسم ، بني معين • وكان يتهيأ للقيام بحملة بحرية لهذا الغرض ، حينما وصل ستون الى مسقط في مايس ١٨٠٥ • وقد قرر الاخير المشاركة بهذه الحملة لانسجامها مع التعليمات التي زودته بها حكومة بومباي • وفي ٧ حزيران ، وصل اسطول مسقط ، يرافقه طراد الشركة (مورننكتون) بالقرب من بندر عباس • وبعد يوم من القصف استسلمت الحامية ، وتمت استعادة الميناء وضواحيه[٣] • ثم تلى ذلك فرض الحصار على بني معين في جزيرة قشم •

هرع القواسم لنجدة حلفائهم وفك الحصار عنهم ، فأرسلوا اسطولا من ثلاثين سفينة لهذه الغاية • ولكن العمانيين والانكليز نجحوا في حصر هذا الاسطول في ميناء قشم • وأعقب ذلك التوصل الى اتفاق يقضي باعلان هدنة لمدة سبعين يوما[٤] • وان يعيد القواسم السفينة البريطانية الاسيرة

---

(١) Miles, op. cit., p. 305.

(٢) Ibid.

(٣) Kelly, op. cit., p. 108; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 181.

(٤) يبدو ان تحديد أمد الهدنة بمدة سبعين يوما جاءت منسجمة مع رغبة الطرفين . فبالنسبة للقواسم كان موسم صيد اللؤلؤ على =

(تريمــر Trimmer [1] ، في خلال خمسة وعشرين يوما، وان يعيدوا حمولتها او يدفعوا قيمتها نقدا[2] • وكانت هذه الاتفاقية مقدمة لعقــد أول معاهدة بين القواسم والبريطانيين في الســنة التالية ، وســنتطرق اليها في الفصل القادم •

لم يستطع بدر بن سيف القيــام بعمل حاسم ضد القواسم ، بسبب انشغاله في الشؤون الــداخلية لعمان • فقــد اضطر الى العودة في نفس الشهر ، لورود الانباء بقيام قيس بخرق اتفاقيته معه • وقد تحرك قيس من صحار لمهاجمة مسقط وحصارها • فاستنجد بــدر مرة اخرى بالوهابيين ،

= وشك الابتداء ، والذي يستمر قرابة الشهرين ، في حين كان بدر يأمل بان هذه المدة كافية لتعزيز قواته البحرية بوصول اسطول مسقط لنقل القهوة ، والذي كان آنذاك في طريقه من البحــر الاحمر الى البصرة •

(١) سنتناول عمليات اسر السفن البريطانية ، ومنها هذه السفينة في الفصل القادم •

(٢) Kelly, op. cit., p. 108 • يلاحظ بان مايلز يقــدم عملية حصار الاسطول القاسمي على عملية استرجاع بندر عباس • وكذلك يسجل بأن السفن البريطانية التي شاركت الاســطول المسقطي في عملية بندر عباس ، وهي (مورننگتون) و (منيرفا) ، قدمت دعما معنويا فقط ، ولم تساهم في اطلاق النار على القلعة (Miles, op. cit., p. 306) • ولكن الوقائع لا تؤيده في وجهة نظره تلك • انظر : (Lorimer, 1A, p. 181) أما فلبي فانه يرتكب جملة من الهفوات في كلامه عن هــذه العمليات فهو يقول ان حاكم مسقط آنئذ هو سعيد ، بينما هو بدر ، ثم يقول انها جرت في سنة ١٨٠٦ ، في حين ان الثابت بان هذه العمليات قد جرت في شهري حزيران وتموز ١٨٠٥ • وأخيرا يقول ان بعض قطع اسطول الشركة ساهمت مع سعيد ! في حصارها لساحل القراصنة • في حين ان المواقع التي جرت فيها العمليات اقتصرت على بندر عباس وقشم • انظر : (Philby, Arabia, p. 91)

الذين قاموا بتهديد صحار • وكانت النتيجـة كارثـة مثبطة لآمال قيس • اذ اضطر الى طلب الصلح ، ووافق سيف على ذلك بشرط ان يقوم قيس بتسليم مطرح ، ويتنازل عن الاعانة المخصصة له[١] •

اظهرت الواقعـة السالفة ، مدى اعتماد بـدر على الدعم الوهابي • ومع ذلـك فقد أخـذ بـدر يشعر بالخوف من النتائج المترتبة على التمادي المتزايد بالاعتماد على الوهابيين • وقد دفعه ذلك الشعور فعلا الى الكتابة الى دنكان ، حاكم بومباي ، في تشرين الاول ١٨٠٥ ، مناشـدا في طـلب المساعدة ليتمكن من التحرر من اعتماده الكلي عليهم • وقد دعـم ستون هذا الطلب قائلا بانه في حالة حصول الوهابيين على اليد الطولى في عمان ، فان مسقط ستتحول الى « عش للقراصنة ، وان اسطولها سيستعمل للقيـام بهجمات مفاجئة ضد تجارة الهند الغربية »[٢] • ولكن يبدو لنا ان مخاوف المقيم البريطاني كانت مبالغا فيها • اذ ان النفوذ الوهابي في عمان لم يكن على درجة كبيرة من القوة ، كما تصوره ستون • حقا كانت هناك قوة من الفرسان الوهابيين مكونة من ٤٤٠ مقاتل ، تتمركز بصورة دائمية تقريبا في برقة ، على ساحل الباطنة ، كما ان هناك عددا من الدعاة الوهابيين يطوفون متشامخين في طرق مسقط مرهبين السكان[٣] ، الا ان الواقـع يشـير الى انتشار استياء عميق بين القبائل العمانية من ذلك الوجود الوهابي ، يرتقي

---

(١) Miles, op. cit., p. 306.

(٢) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 108.

(٣) كان ذلك أحد بنود المعاهدة ، التي عقدها بدر مع الامير سعود • ونصت على أن يقوم بدر بدفع ضريبة سنوية مقدارها ٥٠٫٠٠٠ دولار ، وأن يقيم مبعوث يمثل سعود في مسقط بصورة دائمية ، وان تتمركز مفرزة من ٤٠٠ فارس وهابي في المنطقة المجاورة لبرقة ، للحيلولة دون أي خرق للمعاهدة • انظر :
Shaik Mansur, op. cit., pp. 5-6.

الى مرتبة العداء المكشوف[1] • حتى ان الحرب التي خاضها قيس ضد بدر والوهابيين ، أخذت تظهر ، فيما بين السكان ، وكأنها من مظاهر مكافحة التسلط الوهابي • وفيما بين البو سعيديين ساد شعور بالانفة من ذل دفعهم للاتاوة الى الدرعية والاعتماد على بنادق الوهابين للمساعدة[2] • لقد أدرك سعيد بن سلطان كل ذلك ، ووجد ان الفرصة مهيأ له للسيطرة على الحكم، اذا ما نجح في ازاحة بدر •

جـ ـ الفترة الثالثة ١٨٠٦ ـ ١٨١٩ :

تمكن سعيد بن سلطان بمعاونة تميمة بني جابر ، محمد بن ناصر ، من اغتيال بدر في صيف ١٨٠٦ • فقد أغروه بالقدوم الى برقة ، حيث كان سعيد واليا عليها ، وهناك طعنوه حتى الموت بمساعدة عبد نوبي في تموز[3] • ويلاحظ بهذه المناسبة ان بعض المؤرخين يجعل تاريخ المؤامرة والاغتيال في سنة ١٨٠٧[4] • ولكن سنة ١٨٠٦ هي الاقرب الى الدقة لانها جاءت في كتاب مريزي ، المعاصر للاحداث وابن رزيق المتخصص في تاريخ البو سعيد ، كما انها تتفق مع ما أورده كل من كوبلاند ومايلز وباگلي[5] • على اثر اغتيال بدر حاول الفرسان الوهابيون محاصرة القصر لالقاء القبض

---

(١) Kelly, op. cit., pp. 108-9.

(٢) Jbid, p. 109.

(٣) للوصف التفصيلي للمؤامرة والجريمة ، انظر :
Shaik Mansur op. cit., pp. 8-14; Badger, op. cit., pp. LXX-LXX1, 290-1.

(٤) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 440; Wilson, op. cit., p. 233.

(٥) Coupland, op. cit., p. 108;
Miles, op. cit., pp. 308-9; Bagley, op. cit., p. 94.

على القاتل ، ولكن وصول اعداد من أفراد القبائل الذين بث سعيد بينهم ، بواسطة اعوانه ، بأن اغتيال بدر جرى بمؤامرة وهابية ، اجبر هؤلاء على الانسحاب الى البريمي فتمكن سعيد من التوجه الى مسقط ، حيث أعلن نفسه سلطانا[1] •

ادى مقتل بدر الى الاتفاق بين سعيد وعمه قيس ، الذي كان يكره بدراً لابتعاده عن مبادىء الاباضية وتفاهمه مع الوهابيين[2] • وبعد ان حقق سعيد ذلك الاتفاق ، سعى الى كسب تأييد البريطانيين له ، فكتب الى جوناثان دنكان ، حاكم بومباي ، في ٣١ تموز ١٨٠٦ ، معلنا موت بدر « بقضاء السماء وأمر العلي القدير » ومعلناً توليه السلطة[3] • كما حاول كسب الوقت مع الوهابيين فبادر بالكتابة الى الامير سعود مبرئا نفسه من الجريمة ، متهما محمد بن ناصر بارتكابها • وفي نفس الوقت اعلن عن استعداده لتنفيذ شروط المعاهدة التي سبق لبدر ان عقدها مع الامير الوهابي بكل شروطها[4] • وقد وافق سعود ، على الرغم من اطلاعه على حقيقة ما حدث ، على طلب سعيد ، فيما عدا اعادة مفرزة الفرسان الوهابيين الى برقة[5] • وبذلك حصل سعيد على هدنة ، ولكن لم يكن بامكانه الحصول على مثلها من القواسم[6] •

---

(١) Shaik Mansur, op. cit., pp. 13-14; Miles, op. cit., p. 309.

(٢) Badger, op. cit., p. LXXI.

(٣) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 109.

(٤) أنظظر هامش ٣ ص ١٧٢ أعلاه حول شروط تلك المعاهدة •

(٥) Shaik Mansur, op. cit., pp. 16-17; Memorial of the Govrt. of Saudi Arabia, Vol. 1, p. 124.

(٦) Coupland, op. cit., p. 109.

استغل القواسم فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل بدر ، فاستولوا على خورفكان[1] . وأقام شيخهم سلطان بن صقر ، فيها قلعة اتخذها قاعدة لعملياته البحرية[2] . وواصلوا بنشاط شن هجماتهم على التجارة العمانية ، ولم يكن بمقدور سعيد كسر قوتهم الا بمساعدة خارجية[3] . ومع ذلك فان ترك خورفكان بأيدي القواسم ، كان اخطر من أن يترك بدون محاولة لاستعادتها . كما ان تزايد الهجمات القاسمية البحرية أضرت بالتجارة العمانية بدرجة خطيرة[4] . لذلك ، ومن أجل ايقاف نشاط القواسم الى درجة ما ، أعد سعيد بالاتفاق مع عمه قيس ، حملة برية وبحرية غرضها استعادة خورفكان منهم .

قاد سعيد القوات البحرية وانزلها بالقرب من خورفكان ، في نفس الوقت الذي زحف فيه قيس برا . وطوقت قواتهم المشتركة المدينة ، ونجحت في اقتحامها . اندفعت القوات العمانية الى الداخل حيث « ذبحوا الجميع ، الصغير والكبير ممن وجد في الحصن »[5] . ولكن سعيد لم ينجح في الاحتفاظ طويلا بخورفكان اذ حالما سمع سلطان بن صقر بانباء احتلال سعيد لذلك الميناء ، وعلم بمصير الحامية المؤلم ، حتى حشد قواته ، وتمكن من جمع قوة كبيرة من بين القبائل الموالية للقواسم ، بلغت اثني عشر الف مقاتل ، وزحف لاستعادة المدينة . وبالقرب منها ، اشتبك الطرفان بمعركة ضارية ، انتهت بهزيمة ساحقة للقوات العمانية ، ومقتل عدد كبير

(1) Kelly, op. cit., p. 109.

(2) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 441.

(3) Coupland, op. cit., p. 109.

(4) Miles, op. cit., p. 311.

(5) Badger, op. cit., p. 293.

من رجالها ، كان من بينهم قيس نفسه ومحمد بن خلفان ، قائد قوات سعيد ، وتمكن الاخير من النجاة بفراره من ميدان القتال ، حيث استقل زورقا أوصله الى سفنه وابحر عائدا الى مسقط[1] •

تعرض سعيد الى المزيد من الصعوبات، ففي خريف تلك السنة نفسها، (١٨٠٧) ، أرسل الامير سعود قوة عسكرية كبيرة ، يقودها واحد من أقدر قادته العسكريين ، هو مطلق المطيري ، ومنحه سلطات واسعة من اجل تعزيز السيطرة الوهابية في عمان • وقد ألقى القواسم ، بجانب نشاطهم البحري الواسع ، بكل ثقلهم في البر وراء مطلق ، فمكنوه من تشديد قبضته على عمان ، ونجح بمعونتهم من انتزاع شناص ، على الساحل الى الشمال من صحار ، من عزان بن قيس • وبنهاية سنة ١٨٠٨ ، أصبحت معظم الموانىء على ساحل (الشمالية) ، وبضمنها خورفكان والفجيرة ودبا وخور كالبا بين أيديهم[2] •

اصبح بمقدور القواسم ، بعد تلك الانتصارات وهيمنتهم على تلك الموانىء الهامة ، تركيز غاراتهم البحرية على التجارة العمانية المارة بخليج عمان[3]• في نفس الوقت الذي كان فيه مطلق يواصل غاراته بقسوة متناهية

---

(١) Barger, op. cit., pp. LXX1, 293-4; Miles op. cit., p. 311.
يقدر ابن بشر ، ويتفق معه في ذلك فلبي ، عدد قوات سعيد وقيس ب ١٠٫٠٠٠ رجل ، وقوات سلطان بن صقر ب ٣٫٠٠٠ ، أما عن عدد القتلى ، فان الاول يقدر عددهم ب ٤٫٠٠٠ رجل ، في حين ان صاحب لمع الشهاب ، يقدر عدد القتلى من العمانيين بألف رجل • انظر : ابن بشر ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٣٦ ؛ لمع الشهاب ، ص٨٧ ؛ Philby, Saudi Arabia p. 111

(٢) Kelly, op. cit., pp. 111-12.

(٣) Ibid, p. 112.

على ساحل الباطنة الى درجة جعلت السكان ينظرون الى ما حاق بهم في السابق من غارات الحارق « وكأنها معتدلة بالمقارنة بها » ، وازاء هذا الوضع الخطير ، سعى سعيد الى عقد الصلح عند نهاية سنة ١٨٠٨[1] . والتمس الزعيم العماني ، من الامير سعود ، اعادة شناص والموانيء الاخرى على ساحل (الشمالية) التي استولى عليها مطلق والقواسم فكان جواب سعود بان اعادة تلك المواقع تعتمد على استعداده للالتحاق بالقواسم فيما اذا قام الوهابيون بحملة على البصرة ، والمساهمة باعتراض السفن الهندية[2] .

لقد اصبح الموقف في نظر البريطانيين خطرا الى درجة كان يتوجب عليهم القيام باجراء يحول دون المزيد من تدهوره لمصالحهم . وكانت رسائل ستون ، المقيم البريطاني في مسقط ، الرسمية منذ اوائل سنة ١٨٠٩ ، تستحث مالكولم بضرورة التدخل البريطاني ، اذا ما أُريد ان لا تصبح مسقط ولاية وهابية ، خاصة وان الأمير سعود قد هدد بالقدوم الى مسقط في الربيع بعد ان ينهي موسم الحج ، اذا لم يطع سعيد أمره بالاشتراك في الهجوم على البصرة والمشاركة في القرصنة ، وأضاف ستون قائلا[3] :

« اذا ما كان على سعيد ان يعزز وسائل عمان الدفاعية في الوقت المناسب، للوقوف امام هجوم الامير ، فان عليه ان يستعيد السيطرة على شناص وساحل الشمالية ، وانه لا يمكنه تحقيق ذلك بدون مساعدة بحرية وعسكرية من الهند » .

---

(١) Kelly, op. cit., p. 112.

(٢) Ibid, p. 115.

(٣) Quoted in: Ibid.

وبناء على ذلك ، الح مالكولم على الحاكم العام ، منذ اوائل مارت ، من اجل الحصول على موافقته بالقيام بحملة عسكرية لكبح خطر القواسم ومساعدة حكومة مسقط[1] •

قدر البريطانيون بان القواسم هم مفتاح الموقف في عمان والخليج • فقد كانوا تحت قيادة حسين بن علي، في حالة نشاط واسع في البر والبحر ، فاذا امكن توجيه ضربة قوية اليهم في البحر ، واخراجهم من (الشمالية)، فسيمكن عندئذ تحقيق هدفين : الانتقام من هجماتهم على الملاحة البريطانية وتقليل أمثالها في المستقبل ، وتمكين حاكم مسقط من الحصول على وقت يمكنه من تقوية دفاعاته[2] •

لاحت لسعيد فرصة في نيسان ١٨٠٩ ، اعتقد انها مناسبة لتوجيه ضربة الى القواسم • اذ استغل غياب الامير الوهابي في مكة ، ومعتمدا على وعود من قبل شيخ بوشهر والعتوب وفريق من القواسم الناقمين ، فانطلق الى الخليج متوجها الى رأس الخيمة على رأس اسطوله بنية مهاجمة الزعيم الجديد للقواسم • وانتهت هذه الحملة بفشل ذريع ، اذ نجح القواسم في تشتيت اسطوله واصبح آنذاك في وضع عصيب • واجبر على التقهقر الى مسقط[3] • ويبدو ان هزيمته هذه ، هي التي دفعت به الى اظهار عدم تحمسه بل وتشاؤمه من امكانية نجاح الحملة البريطانية ، للقائد البريطاني ،

---

(١) سنتناول بصورة وافية دوافع الحملة البريطانية الاخرى واهدافها واستعدادات حكومة الهند البريطانية في الفصل التالي •

(٢) Kelly, op. cit., p. 115.

(٣) [I.O.] Precis of Nejd Affairs, p. 6; Miles, op. cit., p. 314; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 442.

حين اجتماعه به في مسقط في تشرين الاول ١٨٠٩ بسبب قلة عدد قواتها في نظره[١] .

وجد سعيد مع تحرك الحملة البريطانية ضد القواسم ، ان الوقت قد أصبح مناسبا اكثر للقيام بهجوم جديد عليهم لاسترجاع سيطرته على موانىء (الشمالية) . فعبأ قواته وجهز اسطوله بأسرع ما يمكنه لهذا الغرض . ونترك وصف تقدم القوات العمانية لشاهد عيان رافق سعيدا في هذه الحملة ، وهو مريزي[٢] :

« صعدت مع سعيد الى السفينة الحربية الكبيرة ، وتوجهنا الى برقة ، حيث تجمعت كل القوة ، وبلغ عدد افرادها ٥٠٠٠ من المشاة و ٣٠٠ من الفرسان ، الى جانب سفينة كبيرة اخرى هي (جنجافا) وحوالي ثمانين سفينة أصغر حجما . وفي اليوم التالي صعدنا الى السفن ، السلطان يقود الاسطول بينما اخوه سليم يقود القوات البرية على طول الساحل . وفي صعره Saara التحقت بالجيش قوات عزان بن قيس ، وعدد افرادها ١٠٠٠ من المشاة و ١٠٠ من الفرسان ، الى جانب عدد من الزوارق . دخلنا المنطقة التي يسيطر عليها القواسم ، وفي عزمنا ان نضع كل شيء طعاما للنار والسيف ... كنت لا ازال مرافقا للسلطان في سفينة القيادة ... لم نواجه في البداية اية مقاومة ، ومع ذلك كانت السواحل ترجع صدى صرخات الضحايا التعساء ، ومعظمهم من النساء ، الذين سقطوا تحت سيوف رجالنا ، بينما كانت السنة اللهيب تتصاعد من أكواخهم ، لتزيد من الدمار للعديد من العوائل المنكوبة ... وعند شناص توقف الجيش لتقدير الخطة ... » .

---

(١) انظر : Kelly, op. cit., p. 115.

(٢) Shaik Mansur, op. cit., pp. 54-6.

قرر سعيد عدم المجازفة بمهاجمة شناص ذات الدفاعات القوية ، وفضل مهاجمة مدينة خوركالبا عوضا عنها ، لأنها الاضعف استحكاما ، ليجعل منها مثلا قاسيا قد يؤدي ، حسب رأيه ، الى سهولة مهمته في الاستيلاء على شناص بدون قتال[١] . تم اقتحام خوركالبا على اثر هجوم عنيف ، رافق ذلك مذابح وحشية للسكان . ولجأ عدد من سكانها يبلغ حوالي سبعمائة فرد الى داخل أحد الحصون ، حيث دافعوا عن موقعهم باستماتة ، في الوقت الذي « تحول فيه كل جزء آخر من المدينة الى شعلة من اللهب »[٢] . وحينما عرض سعيد على الرجال المعتصمين في الحصن تسليم اسلحتهم وأموالهم مقابل السماح لهم بمغادرة المدينة ، وافقوا على عرضه ، وانسحبوا الى التلال القريبة[٣] . لم يتمتع حاكم مسقط بانتصاره طويلا ، اذ لم تمض ثلاثة ايام ، حتى قام القواسم بهجوم مباغت على القوات العمانية ، فاوقعوا فيها البلبلة والارتباك ، فتقهقرت بلا نظام . ولم ينج سعيد نفسه الا بعد ان « سبح الى قارب صغير بحارته من البرتغاليين ، كان قد وضع لحالات الطوارىء » ، وتراجع الاسطول العماني وبقية القوات الى مسقط بدون ان ينجح في تحقيق اية نتيجة[٤] .

وصل الاسطول البريطاني الى مسقط في اوائل كانون الاول ، بعد عملياته الناجحة ضد الموانىء القاسمية : رأس الخيمة ولنجة ولافت[٥] .

---

(١) Shaik Mansur, op. cit., p. 56.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, p. 57.

(٤) Ibid, pp. 57-8.

(٥) أنظر الفصل الرابع ص ٢٣٦–٢٥٢ .

جرت على الاثر محادثات بين سعيد والقادة البريطانيين ، تقرر فيها ، بعد الحاح من سعيد ، القيام بعملية مشتركة لمهاجمة شناص ، واستعادة سلطة حاكم مسقط على الموانيء الشمالية لعمان[١] ، التي استولى عليها القواسم ، وهي شناص وخورفكان وخوركالبا[٢] ولكن المقاومة الضارية التي جوبه بها المهاجمون في شناص ، والبسالة الرائعة للقواسم جعلتهم يصرفون النظر عن متابعة الحملة • فانتهت بانسحاب البريطانيين ، وتعرض قوات سعيد لهزيمة ساحقة على يد القائد الوهابي الشهير ، مطلق المطيري[٣] •

لم يحقق سيد سعيد ما كان يتوقعه من فوائد بتعاونه مع الحملة البريطانية • حيث ان تلك الحملة لم تنجح في اخراج القواسم من خورفكان والموانيء العمانية الاخرى التي ظلت في أيديهم ، واستمر مركز سعيد قلقا في مواجهة الوهابيين ، ودفعه ذلك الى ان يصرف النظر مؤقتا عن محاولة استعادة سيطرته على عمان الشمالية ، والجزء الغربي من الباطنة التي كانت تحت سيطرة الوهابيين والقواسم[٤] • وجد سعيد انه عاجز عن مواجهة الموقف بدون مساعدة خارجية • فالتفت الى البريطانيين لاغاثته • فأرسل نداء بالاستغاثة الى حاكم بومباي ، في كانون الثاني ١٨١٠ قائلا فيه « انني اترقب ، وبمعونة الله ، قيام سفنك وجنودك المظفرة ••• بمحق قبيلة

---

(١) Shaik Mansur, op. cit., 58; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 184.

(٢) S.R.B.G. No. XX1V, p. 306, 'Warden, Joesmees'.

(٣) تفاصيل هذه العمليات سنتناولها بشكل مفصل في موضوع الحملة البريطانية لسنة ١٨٠٩ ، في الفصل الرابع •

(٤) Kelly, op. cit. p. 123.

الوهابين الضالة ، التي هي عدو لكلينا »[1] وبرر طلبه بالمساعدة مدعيا بأن « تعاونه مع اصدقائه وحلفائه الانكليز في الحملة الاخيرة ، قد ورطته في هذه الحرب مع الوهابيين ، الذين كان معهم في سلام »[2] وبانه « واثق من ان الحكومة البريطانية لن تظل على الحياد من هذا الصراع الذي يخوضه دفاعا عن ممتلكاته وعاصمته ضد الغزو »[3] • وتشكى بانه لولا صداقته مع الحكومة البريطانية ، لكان بامكانه في هذا الوقت ، ان يقبل دعوة السلام الوهابية التي قدمت اليه عدة مرات « لقد عرضوا علي اعادة السلام والانسجام مرتين او ثلاثا ، ولكن بسبب ارتباطي مع الحكومة البريطانية فانني رفضت الاستجابة لرغبتهم »[4] •

لم يكن موقف سعيد هذا ، كما عكسه للسلطات البريطانية في الهند ، حكيما كما لم يكن صادقا من وجهة النظر البريطانية • وقد هاجمه اللورد منتو ، الحاكم العام ومجلسه ، حينما تسلموا الرسالة من بومباي • وكان جوابهم الى حاكم بومباي في آب ١٨١٠ ، يتضمن بان نية سعيد الواضحة هي تحريض الوهابين ضد البريطانيين ، بتظاهره بأن الاخيرين يتعاونون معه على أمل ان ينجح « باشعال الحرب فعلا ، وبهذه الوسيلة يضمن لنفسه المساعدة التي يطلبها »[5] • وبناء على ذلك ، اضاف الحاكم العام ، فان على دنكان ، حاكم بومباي ، ان يخبر سعيد بان : « الحكومة البريطانية لم يعد لها اهتمام بالصراعات الجارية بينه وبين الوهابين ، بقدر ما هي قلقة

(١) Quoted in: Coupland, op. cit., p. 145.
(٢) [I.O.] Precis of Nejd Affairs, p. 7.
(٣) Ibid.
(٤) Quoted in: Coupland, op. cit., p. 145.
(٥) Ibid, pp. 145-6.

على ازدهار ورفاه الامامة [دولة عمان] ، ونتيجة لهذا القلق والاحساس الصادق بفوائد وبركات حالة السلم ، فانه يطلب من (الامام) ان يوافق على شروط السلم التي عرضها الوهابيون ، اذا كانت تنسجم مع شرف وأمن دولـة مسقط »[1] . واستطرد قائـلا : « وليس من الضروري ان يضمن جوابه لأية مبادرة يقوم بها الوهابيون، الى ارتباطه بالحكومة البريطانية، التي كانت دائما تعتبر نفسها في سلام مع تلك القبيلة [الوهابيون] ، وان التعاون الاخير مع (الامام) لم يكن اعلان حرب من جانبنا ضد الوهابيين بصورة عامة ، ولكنه موجه للقضاء على القرصنة فقط »[2] .

يمكننـا ان نعلل موقف حـكومة الهند ، الى عدم رغبتهـا بالمخاطرة بالتورط في حرب مع الوهابيين ستؤدي في حالة قيامها ، الى تهديد مصالحها بالمنطقة . كما لم يكن هناك من خطر في دفـع حاكم مسقط الى احضان فرنسا . فحين كتبت مسودة هذه التعليمات في آب ، كانت جزيرة بوربون قد سقطت بالفعل في ايدي البريطانيين ، وجزيرة فرنسا Ile de France (موريشيسوس) على وشك السقوط[3] . وبذلك زال الخطر الفرنسي كلية .

بالنظر لفشل سعيد في الحصول على مساعدة حكومة الهند ، فقد توجه بنظره الى ايران . فأرسل اخاه سليماً الى بـلاط الأمير الحاكم لفارس في شيراز ، في سنة ١٨١٠ طالبا المساعدة[4] . لقي الوفد ترحيبا من قبل السلطات

(١) [I.O.] Precis of Nejd Affairs, p. 8.

(٢) Ibid.

(٣) Coupland, op. cit., p. 146.

(٤) هناك تضارب واضح بين المصادر حول وقت ارسال هـذه البعثة . ففي الوقت الذي يقول فيه بادجر بان زيارة سليم الى شيراز تمت مابين سنتي ١٨٠٨ و١٨٠٩ (Badger, op. cit., Footnote on p. 306) وهو تاريخ مبكر جدا لوقوعها، نجد =

الفارسية ، التي وافقت على ارسال مساعدة تألفت من ١٫٥٠٠ من الفرسان ، وأربع بطريات مدافع خفيفة ، وكان من بين افراد القوة المرسلة حوالي ٤٠ ـ ٥٠ أسير حرب روسي[١] . لقد كان من العوامل التي دفعت بالفرس الى اتخاذ هذه الخطوة ، على ما يبدو ، استياؤهم من الوهابيين لارتكابهم مذبحة كربلاء (١٨٠٢) ، وربما فكروا في استغلال ارتباك الاوضاع العامة في عمان لفرض سيطرتهم عليها[٢] .

وصلت هذه القوات الى مسقط في اواخر سنة ١٨١٠ ، فالتحقت بها قوة عمانية مؤلفة من ٤٫٠٠٠ رجل ، ووضع على قيادتها سليم يعاونه كل

= ان كلا من مريزي ولوريمر يجعلانها في أواخر سنة ١٨١١ ، (Shaik Mansur, op. cit., pp. 79-80; Lorimer, p. 444). اما فلبي فانه يقع في خطأ واضح في تحديده لهذه البعثة اذ يقول بان سعيداً ارسل اخاه سليماً الى ايران في سنة ١٨٠٤ ، فالى جانب انه تاريخ مبكر جدا . فان سعيد لم يكن آنذاك في الحكم ــ استلم الحكم بعد اغتياله لعمه بدر في ١٨٠٦ كما مر بنا ــ (Philby, Arabia, p. 90) اما كيلي فيحدد الزيارة وقدوم النجدة الفارسية في أواخر ١٨١٠ (Kelly, op. cit., p. 125) وهو الاكثر دقة في ذلك . فلفشل سعيد في الحصول على دعم حكومة الهند ، كما مر بنا أعلاه ، ووصول ردها بالرفض في حوالي منتصف سنة ١٨١٠ ، وللمأزق الحرج الذي كان سعيد يعاني منه ، لم يكن امامه سوى اللجوء الى القوة الوحيدة التي بامكانها الاستجابة له . وهي ايران ، وبأسرع وقت ممكن .

(١) Shaik Mansur, op. cit., p. 80; Miles, op. cit., p. 318; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 444; Kelly, op. cit., p. 125.
اما كل من بادجر وابن بشر فيقدران عدد القوات التي ارسلتها ايران ب ٣٫٠٠٠ رجل (ابن بشر ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٤٨ ؛ Badger, op. cit., p. 314

(٢) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 444.

من عزان بن قيس وقائد القوة الفارسية المدعو سعدي خان • زحفت هـذه القوات لمهاجمة الوهابيين في (نخل) ، ونجحت في اجبار القوات الوهابية على التراجع الى (زيكي) بعد معركة طاحنة • وعلى الاثر انفتح الطريق امامها للسيطرة على حصن سمائل[١] ، الـذي يتحكم بالممر الـذي يحمل نفس الاسم[٢] •

اعتقد سعيد انه نجح في تحطيم قوة الوهابيين ، ولذلك فقد رأى ان الموقف ملائم لمهاجمة رأس الخيمة • فانطلق باسطوله ، الذي جهزه حديثا بالمدافع والهاونات التي ابتاعها مؤخرا من بومباي[٣] • ولكنه ما كاد يشرع في تلك الحملة حتى وجد نفسه مجبرا على صرف النظر عنها فقد وردته انباء الهزيمة الساحقة التي لحقت بقواته المدعومة بالقوات الفارسية ، امـام القـوات الوهابية التي يقودهـا مطلق المطيري • وقع الاشتباك بالقرب من سمائل ، وكانت هزيمة العمانيين والفرس كاملة • وغنم الوهابيون مدفعيتهم كلهـا ، وفـر سعدي خان الى برقـة مـع مئة فارس ، واستعاد الوهابيون سيطرتهم على حصن سمائل الستراتيجي[٤] •

---

(١) يدعى ايضا كوت سمائل ، موقع هام يقع على الجانب الشرقي من وادي سمائل ويفصل الوادي الاعلى عن الوادى الاسفل • وفيه حصن يتحكم بالممر الكبير بين الساحل والمنطقة الداخلية التي تقع اعلى الوادى • يربض على هضبة صخرية ، ذات انحدار شديد عند قاعدتها • أما وادي سمائل ، فأنه اكبر وأكثر سكانا بل واهم وادي في سلطنة عمان • يقطع سلسلة الحجـار مقسما اياها الى كتلتين همـا الشرقية والغربيـة
Lorimer, op. cit., Vol. IIB, p. 1663.

(٢) Shaik Mansur, op. cit., pp. 80-1; Miles, op. cit., p. 310.

(٣) Shaik Mansur, op. cit., pp. 82-3.

(٤) Ibid, pp. 84-5; Badger, op. cit., pp. LXX111-LXX1V; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 444.

نتيجة للتطور الذي اخـذ يهدد الجناح الغربي من الدولة الوهابية ، بتوارد الانباء عن قيام محمد علي باشا بالاعداد لحملة الحجاز ، بادر الامير سعود الى القيام بخطوة سياسية ، غرضها ابعاد التدخل الفارسي عن الصراع العماني ـ الوهابي • فأرسل مبعوثا الى شيراز في اوائل سنة ١٨١١ ، قابل الامير الحاكم لفارس ، طالبا منه الامتناع عن تقديم الدعم لسعيد ، ونجحت هذه السفارة ، وحصل مبعوث سعود على الضمانات التي طلبها[١] • وكان نصير القوة الفارسية المؤلم الـدور الاكبر في موقف السـلطات الايرانية الاخير • وقد قام ذلك المبعوث المدعو ابراهيم بن عبدالكريم ، وهو في طريق عودتـه الى بلاده ، بزيارة للمقيمية البريطانية في بوشهر • ليرى اذا كان بامكانه ان يكتشف فيما اذا كان من المرجح ان تقوم السلطات البريطانية في الهند بأية عمليات عسكرية على الساحل العربي • وفي لقائه مـع المقيم ، اعلمه بانه مخول من قبل الامير سعود بعقد اتفاقية تجارية مع حكومة الهند • وقـد احيل العرض الى الهنـد ، ولكن السلطات البريطانية رأت بأن من الافضل رفضه ، وتفادي الدخول بأية علاقات رسمية مع الوهابيين[٢] •

بادر الامير الوهابي سعود ، على أثر حملة سعيد الفاشلة في ١٨١٣ ضد رأس الخيمة بهدف اعادة سلطان بن صقر الى مشيخة القواسم كما مر بنا ، الى اعادة مطلق المطيري في نفس تلك السنة الى البريمي[٣] • وقد قام

(١) Kelly, op. cit., pp. 125-6.

(٢) Ibid, p. 126.

(٣) كان سعود قد أمر باستدعاء مطلق من البريمي ، بسبب اشتراكه في حملة ابناء الامير الوهابي الثلاثة غير المسؤولة على عمان في سنة ١٨١٢ • حيث قام هؤلاء بمهاجمة مدن ساحل الباطنة • ناهبين وحارقين اينما ذهبوا • ولم يتوقفوا الا بعد ان أحدثوا الدمار في شرقي عمان حتى رأس الحد . وقد غضب الامير سعود ==

سعود بذلك الاجراء في محاولة لاستعادة مركز الوهابيين الذي تهدد بمقتل القائد الوهابي عبدالعزيز بن غردقة[1] ، وحملة سعيد على القواسم ، وصدرت الاوامر الى مطلق بالتحرك لمهاجمة مسقط[2] .

تحرك مطلق من البريمي على رأس قوة كبيرة . تألفت من ٤٠،٠٠٠ رجل ، في ربيع ١٨١٣ ، فاخترق وادي الجزى مجبرا صحار على الاستسلام ، ثم تحول جنوبا الى مسقط[3] . فالتقى بسعيد على رأس قواته بالقرب من (مصنعة)[4] . لان سعيد لم يغامر بخوض معركة ، فطلب

= على تلك العملية لانها احدثت استياء خطيرا بين القبائل العمانية، فاستدعى مطلق وعين ابن غردقة ، والي الاحساء ، في منصبه . وقد وصل الاخير الى البريمي في أواخر سنة ١٨١٢ . انظر :

Badger, op. cit., pp. 312-20; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 444; Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 56; Philby, Saudi Arabia, p. 119.

(١) ما ان عبر ابن غردقة والقوة التي ترافقه (الظافرة) ، بعد تعيينه في آخر سنة ١٨١٢ ، حتى هوجم من قبل بني ياس وحلفائهم ، فقتل القائد الوهابي ومائتان من اتباعه

(Kelly, Eastern Arabian Frontiers, p. 56)

أما فلبي فانه يحدد تاريخا مبكرا لمقتل هذا القائد وحاشيته ، اذ يجعله في مايس ١٨١١

(Philby, Saudi Arabia, p. 120)

(٢) Miles, op. cit., 319; Kelly, Britain and the Persian Gulf, p. 127.

(٣) Kelly, op. cit., p. 127.

(٤) مدينة صغيرة على ساحل الباطنة ، تبعد ١٧ ميلا شمال غرب برقة و١٧ ميلا جنوب شرق سويق .
(Lorimer, op. cit., Vol. IIB, pp. 1178-9).

محادثة شخصية مع مطلق ، نجح في خلالها باقناعه بالانسحاب من عمان مقابل رشوة ضخمة تبلغ ٤٠٫٠٠٠ دولار[١] • وكانت هذه الواقعة هي آخر ضربة موفقة لمطلق • ففي اواخر سنة ١٨١٣ ، وفي احدى غزواته في (الشرقية) ، وقع في كمين بالقرب من بادية Badiya في وادي باثا Batha نصبه افراد من قبيلة الحجاريين ، حيث اسفر عن مقتله[٢] •

شكل فقدان الوهابيين لقائدهم الكبير ، خسارة معنوية كبرى ، كما قوى من عزم سعيد على مواصلة الصراع • فعلى الرغم من تعيين قائد وهابي جديد ، هو عبدالله بن مزروع ، ليخلف مطلق في القيادة ، والذي بادر بعد

(١) Coupland, op. cit., p. 148; Miles, op. cit., p. 319.

أما لوريمر ، فيشير الى أن سعيداً حينما اجتمع بمطلق اعلن خضوعه وقدم للقائد الوهابي (هدية) مقدارها ٤٠٫٠٠٠ دولار ، ولكن يلاحظ ان لوريمر يذكر ان تلك الحادثة جرت قبل مجيء ابن غردقة الى عمان ومقتله ، وهو بهذا يناقض سير الأحداث ، ويختلف عن المصادر الاخرى •
(Lorimer op. cit., Vol. 1A, p. 445).

(٢) Kelly, op. cit., p. 127.

هناك عدة روايات عن الظروف التي أدت الى مصرع هذا القائد الكبير • فمريزي يقول انه وقع في كمين بينما كان في طريقه الى سمائل برفقة قوة صغيرة ، وبعد قتال مستميت قتل مطلق وقطع رأسه وحمل مع اسلحته الى سعيد « الذي لم يكن بمقدوره ان يصدق موت خصمه العنيد » (Shaik Mansur, op. cit., p. 78) اما مايلز فيقول ان مطلق واجه مقاومة في منطقة الحجاريين لم يكن يتوقعها ، حيث تجمعت القبائل بقوة كبيرة ، واصيب بطلقة بندقية في أول الاشتباك ، وارسلت يداه وزرده الى مسقط ، (Miles, op. cit., p. 320) ويتفق مع مايلز في هوية القتلة والنتيجة ، لوريمر (Vol. 1A, 445) اما ابن بشر فيقول انه قتل من قبل اهالي جعلان ، التي بعد ان ترك حصارها ، تبعه اهلها حيث وقعت معركة بينهم انتهت بمقتل مطلق • (ابن بشر ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٥٩) •

وقت قصير من وصوله الى البريمي ، بالتحرك لمهاجمة (بادية) انتقاما لمقتل القائد السابق ، الا انه لم يستطع ان يتقدم الى ابعد من مدينة (باهلة) ، حيث قرر التوقف عن تقدمه بعد أن علم بأن سعيدا قد نجح في اثارة (الشرقية) ضده ، وانه ينتظره في نزوة[1] .

شجع ذلك التطور على قيام سعيد بمحاولة جديدة لمهاجمة رأس الخيمة واعادة شيخ القواسم السابق سلطان بن صقر . وقد مر بنا ان تلك الحملة أسفرت عن التوصل الى اتفاق بين القواسم وسعيد ، كان من جملة بنوده توقف القواسم عن مهاجمة السفن العمانية واعادة اية غنيمة جرى الاستيلاء عليها من قبل اساطيلهم التي كانت في البحر فعليا[2] .

لم يكن لتلك المعاهدة تأثير في انهاء الصراع القاسمي ـ العماني . فقد كان سعيد لا يزال قريبا من رأس الخيمة ، حينما هاجمت سبعة زوارق قاسمية سفينة فارسية تحمل بضائع من مسقط الى بندر عباس ، ونجحت في الاستيلاء عليها بعد مقاومة عنيفة ، قتل فيها كثيرون من كلا الجانبين . « وليس هناك ما يؤكد قيام القواسم باعادتها ، حتى في هذه الحالة ، على الرغم من ان حبر المعاهدة ، التي تنص على ذلك ، لم يجف بعد »[3] .

توفي الامير سعود في مايس ١٨١٤ ، ففقد الوهابيون بموته ، قائدا لا يعرف الكلل مالكا لكل المواهب الضرورية للموقف الذي يمسك به[4] . وضاعف حراجة موقفهم تحولات الموقف في الجناح الغربي من الدولة

---

(١) Kelly, op. cit., pp. 127-8.

(٢) أنظر أعلاه ص ١٥٦ .

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 651.

(٤) Burckhardt, op. cit., Vol. II, p. 287.

الوهابية • فقسم كبير من الحجاز اصبح آنذاك بأيدي المصريين • وكانت خطوة محمد علي باشا التالية ، نقل الحرب الى داخل معسكر الوهابيين • وفي كانون الثاني ١٨١٥ ، وفي منتصف الطريق بين الطائف وطربة Taraba ، أوقع محمد علي هزيمة منكرة بجيش وهابي كبير يقوده فيصل ابن سعود ، اخ الامير الجديد عبدالله[1] ، بلغ عدده حوالي ٤٠٫٠٠٠ رجل• وكاد الموقف ان يتحول الى كارثة كبرى للدولة الوهابية لولا اضطرار محمد علي باشا على العودة الى مصر[2] • حيث وجد طوسون باشا ، خليفته في قيادة القوات المصرية، نفسه مضطرا ، بسبب النقص في الذخيرة والامدادات ، الى عقد اتفاق مؤقت مع عبدالله بن سعود ، تخلى فيه الوهابيون عن حقوقهم على القبائل في المنطقة التي فتحها محمد علي[3] •

لم تؤثر تلك التطورات ، على نشاط القواسم ، الذين واصلوا خوض معارك بحرية سجالاً ضد العمانيين • تمثلت بما يلي : هاجم القواسم وأسروا سفينة من نوع (بغلة) تعود لسيد سعيد ، في سنة ١٨١٤ ، اثناء

---

(١) Kelly, op. cit., p. 130.

(٢) يلخص دودويل أسباب اسراع محمد علي بالعودة الى مصر وعدم استفادته من الكارثة التي أوقعها بالوهابيين ، بوقوع محاولة لتنحيته عن باشوية مصر ، والى التطورات الخطيرة التي كانت اوربا تتوقعها على أثر نجاح نابليون في الفرار من منفاه في جزيرة البا ، مما جعل محمد علي يفكر بتحقيق بعض المكاسب السياسية • انظر :

Henry Dodwell, The Founder of Modern Egypt, a Study of Muhammad 'Ali, (Cabridge, Rep. 1967) pp. 45-6.

(٣) Ibid, p. 46.

رسوها في مغو[1] ، وهي محملة بالخيول والكبريت المرسلة الى السلطات البريطانية في الهند[2] • وفي سنة ١٨١٥ ، التقت عمارة قاسمية مؤلفة من سفينة كبيرة وخمس وعشرين بغلة وبتيل ، كانت تهدد مطرح[3] ، بعمارة مسقطية يقودها سعيد نفسه ، مؤلفه من : الفرقاطة (كارولين ـ ذات ٤٠ مدفعا)[4] وسفينتين اخريين الى جانب عدد من السفن الصغيرة • واعقب ذلك اشتباك بحري عنيف على مقربة من (رأس قريات) ، حاول القواسم في خلاله اقتحام سفينة القيادة لاسطول مسقط ، ونجحوا فعلا في اعتلاء مقدمتها ، حينما تم ازاحتهم بفضل نيران المدافع التي اطلقت عليهم من مؤخرتها • وقد اصيب سعيد بجراح كما تراجعت بقية سفنه الى الخلف ، فوجد نفسه مضطرا الى الفرار نحو مسقط[5] •

---

(١) ميناء على الساحل الفارسي ، يقع على بعد حوالي ١٧ ميلا جنوب شرق خارج ، و٢٣ ميلا شمال غرب لنجة •
(Lorimer, op. cit., Vol. IIB, p. 1248).

(٢) Ibid, Vol. 1A, p. 653.

(٣) Ibid, Vol. 1A, pp. 446, 653.

(٤) بنيت هذه الفرقاطة في ميناء بومباي بطلب من سعيد • وانزلت الى البحر في ٢٨ تشرين الثاني ١٨١٤ • وقد اطلق عليها حاكم مسقط اسم (كارولين) لاعجابه بفرقاطة البحرية الملكية البريطانية التي تحمل نفس الاسم ، حينما شارك في الحملة البريطانية الموجهة ضد القواسم سنة ١٨٠٩ • انظر :
[I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, from Bombay Govrt. to the Court of Directors, Cons. of 1st Fef. 1815.

(٥) Ibid, Cons. of 5th July, 1815; See also: Low, op. cit., Vol. 1, pp. 338-9; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 446, 653; Graham, op. cit., p. 245; Coupland, op. cit., p. 149,

أما فيلبس فيعطي تاريخا مبكرا لهذه العملية فيجعلها خطأ في سنة ١٨١٤ Phillips, op. cit., p. 339.

دفع عجز سعيد في ايقاف النشاط القاسمي الى لجوئه من جديد الى حاكم بومباي طالبا مساعدته ببعض السفن الحربية البريطانية[١] ، ولكنه لم يحصل عليها •

قرر سعيد ، على الرغم من عدم حصوله على المساعدة التي طلبها من بومباي ، ان يغامر بالهجوم على رأس الخيمة • فتحرك على رأس اسطوله في بداية سنة ١٨١٦ متوجها ضد العاصمة القاسمية • ونجح في فرض الحصار عليها طيلة أربعة أشهر ، ولكنه عجز عن تحقيق اية نتيجة فعالة[٢]، بسبب المقاومة التي ابداها القواسم وصمود قاعدتهم الرئيسة للحصار • وفي الواقع ان سعيداً كان عاجزاً عن تحقيق اي شيء ضدهم كما لم يكن في مقدوره ، بحسب رأي المستر بروس ، المقيم البريطاني في بوشهر ، تحقيق اي شيء بدون دعم من حكومة الهند ، وقد لاحظ بروس ان « حاكم مسقط سيكون سعيدا بان يتنازل عن اي ميناء او جزيرة في الخليج تابعة لسلطته للبريطانيين ، اذا ما حصل على ذلك الدعم »[٣] •

تواصل الصراع بين مسقط والقواسم ، ولم يقتصر على الصراع البحري فقط ، بل شمل اليابسة ايضا • ونجح القواسم في انزال هزيمة كبيرة ، بالقوات العمانية التي كان يقودها سعيد بنفسه في محاولة لاسترجاع خورفكان منهم ، في سنة ١٨١٦[٤] •

---

(١) Low, op. cit., Vol. 1, p. 339.

(٢) Ibid, p. 338; Lorimer, op. cit., p. 446; Miles, op. cit., p. 321.

(٣) Quoted in: Low, op. cit., p. 321.

(٤) Ibid, Footnote on p. 339; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 446.

وقعت اكبر المعارك البحرية بين قطع الاسطولين القاسمي والمسقطي في كانون الاول ١٨١٨ ، حيث اشتبكت عمارة قاسمية مؤلفة من سبع قطع : اربع (بغلات) و (داو) و (بتيلين) ، وبين عمارة مسقطية مؤلفة من السفينة الحربية الكبيرة (الرحماني) و (بغلة) ضخمة • واستمرت المعركة لمدة يومين ، كادت فيها العمارة القاسمية في النهاية ان تنجح في أسر السفينتين المسقطيتين ، بسبب نفاذ ذخيرتهما ، لولا تدخل سفينة الشركة الحربية (انتلوب Antelope ذات ١٤ مدفعا)[١] في المعركة • حيث قامت بقصف مكثف على القطع البحرية القاسمية ، وعلى الرغم من كثافة القصف « حاول القواسم اقتحامها مرتين ، الا انهم كانوا يردون بسبب النيران الكثيفة التي كانت (انتلوب) تطلقها عليهم » فتوقف القواسم عن الاستمرار في القتال منسحبين الى رأس الخيمة • وقدرت خسائر القواسم بمائة وسبعة عشر رجلا ، وكانت « معظم خسارتهم بسبب محاولاتهم الجريئة لاقتحام انتلوب »[٢] •

حاول القواسم ، على أثر سقوط الدرعية في ١٨١٨ ، ولشعورهم بخطر الزحف المصري في نجد ، تصفية مشاكلهم مع حاكم مسقط • فعرضوا عليه انهاء حالة الحرب بينهما وتكوين حلف ثنائي لمواجهة ما يتهددهما من الخطر المصري• الا ان حاكم مسقط رفض ذلك العرض[٣]؛ مفضلا الاستمرار في الحرب ، لاسيما انه شعر بأن سقوط الدولة الوهابية قد انتزع من القواسم ، الاسناد القوي الذي كانوا يلقونه من القوات

---

(١) كانت (انتلوب) واحدة من طرادات بريطانية اخرى ، مهمتها القيام باعمال الدورية في الخليج لضرب القواسم •

(٢) Low, op. cit., Vol. 1, pp. 337-8.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 446.

الوهابية • كما انه ، اي سعيد ، كان على اطلاع بقرب قيام حكومة الهند بأعمال عسكرية ضد القواسم • وقد اشارت التقارير التي وردت الى حكومة بومباي في سنة ١٨١٩ ، وقبل تحرك قوات الحملة البريطانية الكبرى ، الى ان حاكم مسقط يقـوم باستعداداتـه لحملة اخرى ضد عاصمة القواسم ، رأس الخيمة بالاتفاق مع بني ياس[١] • ولكنه فضل التريث في تنفيذ الهجوم على القواسم ، مفضلا تنسيق جهوده مع القوات البريطانية ، حين سماعه بقرب تحرك حملة بريطانية باتجاه الخليج، لضرب القواسم في تلك السنة •

---

(١) S.R.B.G. No. XX1V, 312, 'Warden, Joasmees'.

الفصل الرابع

علاقات القواسم بالانكليز

١٨٠٠ ـ ١٨١٩



علاقات القواسم بالانكليز

١٨٠٠ ـ ١٨١٩

سبقت لنا الاشارة في الفصل الثاني ، الى بداية المنافسة الفرنسية ، التي هددت باضعاف مركز بريطانيا المتفوق في الخليج ، وتوجيه ضربة الى الهند[١] • وبعد تعزيز الحكم البريطاني في شبه القارة في اواخر القرن الثامن عشر ، اصبح واقع ممارسة هيمنة سياسية على الخليج العربي من قبل بريطانيا ، امرا محتوما • وكان العامل المعجل لهذا التطور ، يتمثل بنشاطات نابليون في الشرق الاوسط • ففي خلال المرحلة الحاسمة ، بين غزو نابليون لمصر في ١٧٩٨ ، والحملة البريطانية على القواسم في ١٨١٩ ، تبلورت الأهداف البريطانية في اعتبارين ، كلاهما يتضمن حماية الهند ، شكلا اساس النشاطات البريطانية في الخليج • الاول هو مواجهة التحدي الفرنسي للهند[٢] ، والثاني مجابهة الخطر المهدد لأمن المواصلات البحرية الى الهند • ذلك الخطر الذي ولده نمو قوة القواسم البحرية ، وهجماتهم على السفن البريطانية • وسنحاول في الصفحات التالية ، توضيح هاتين الناحيتين •

المنافسة الانكلو ـ فرنسية ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ :

تركزت النشاطات البريطانية منذ اواخر القرن الثامن عشر ، لمجابهة

---

(١) أنظر ص ١١٥ـ١١٧ من الفصل الثاني •

(٢) منذ معاهدة باريس ١٨٦٣ ، وضعت فرنسا عدة خطط لاستعادة الامبراطورية الفرنسية في الهند • ومعظم تلك الخطط اعتمدت على استخدام طريق السويس ـ البحر الاحمر ، أو عبر الطريق البري الى الخليج العربي • وذلك لتجنب التفوق البحري البريطاني في المحيط الهندي • انظر :

Thomas E. Marston, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878, (U.S.A., 1961), p. 31.

المخططات الفرنسية الرامية الى الوثوب على الهند[1]، ولما كان النفوذ الفرنسي واضحا في عمان[2] وايران، وخوفا من ان يمتد ذلك النفوذ الى اجزاء اخرى من الخليج، قرر الحاكم العام للهند، المركيز ولزلي Richard Colley Wellesley، اتخاذ الاحتياطات الضرورية ضد التوسع الفرنسي المحتمل، فأصدر تعليماته الى حاكم بومباي، دنكان Jonathan Duncan لابلاغها الى المقيم المعين حديثا في بوشهر، المدعو مرزا مهدي علي خان، وهو مواطن فارسي يعمل في خدمة الشركة، بأن

(١) لم يقتصر الانكليز في مواجهتهم للتحدي الفرنسي على النشاط الواسع في منطقة الخليج العربي • اذ قامت حكومة بومباي بارسال قوة مسلحة لتأسيس قواعد عسكرية في مدخل البحر الاحمر، لاعتراض اية حركة ممكنة للفرنسيين باتجاه الهند، من ذلك الطريق • وفي سنة ١٨٠١ غادرت الهند قوات برية وبحرية مشتركة، للتعاون مع القوات البريطانية التي أنزلت من البحر المتوسط في مصر • ولكن قبل وصول هذه القوات الى هدفها وهو القاهرة، نجحت القوات التي انزلت من الشمال في الاستيلاء على العاصمة المصرية في حزيران، والاسكندرية في أيلول • انظر :

Halford Lancaster Hoskins, British Routes to India, (London, New Imp., 1966), pp. 60-1; Marston, op. cit., p. 32.

(٢) نجح الفرنسيون في الحصول على موافقة امام عمان بانشاء مركز فرنسي في مسقط ١٧٨٥ (Coupland, op. cit., pp. 86, 90) وحتى ذلك التاريخ كان الامام يرفض السماح بانشاء مركز اوربي في بلاده، ولو ان شركة الهند الشرقية الانكليزية، كان لها وسيط broker اهلي في مسقط في عهد الامام احمد (ت• ١٨٨٣) انظر :

William Frankline, Observations made on a Tour from Bengal to Persia, in the Years 1786-1787, (London, 1790), p. 37.

يقوم بزيارة مسقط وطهران ، وان يحـاول ربـط الحكومتين ، الايرانية والعمانية ، باتفاقية سياسية ، غرضها ابعاد النفوذ الفرنسي عن اراضيهما •

وصل مرزا مهدي الى مسقط في الاسبوع الاول من تشرين الاول ١٧٩٨ ، حيث اجتمع بسيد سلطان ، حاكم مسقط • وأسفرت المفاوضات التي جرت بينهما عن التوقيع على (قولنامة) أو معاهدة مكتوبة ، في ١٢ تشرين الأول ، احتوت على سبع مواد ، تضمنت بالاضافة الى ابعاد الفرنسيين عن مقاطعات (الامام) وسفنهم عن موانئه ، مادة نصت على تأسيس مركز لشركة الهند الشرقية الانكليزيـة في بندر عباس ، يحرسـه سبعمائة او ثمانمائة جندي[١] •

يمكننا ان نعلل سرعة استجابة حاكم مسقط للموقف البريطاني ، على الرغم من العلائق القوية مع فرنسا ، الى اطلاعه على قوة بريطانيا المتفوقة في البحار ، ومركزها المتحكم في الهند • وكانت عمان تعتمد بدرجة كبيرة في حياتها الاقتصادية على التجارة مع سواحل الهند الغربية[٢]• ان هذه المعاهدة ذات اهمية خاصة ، ذلك انها حددت بداية العلاقات السياسية مع مسقط ، التي أخذت تزداد توثقا بمرور الوقت ، كما شكلت خطوة اولى في سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، التي قادت بالتدريج الى وضع معظم الكيانات

---

(١) للنص الكامل للمعاهدة ، انظر :
J.C. Herewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record: 1535-1914, (U.S.A., Rep., 1958), Vol. I, pp. 64-5,
ويلاحظ ان مايلز يضيف بان سلطان قد وافق ، وان لم يشر الى ذلك في المعاهدة ، على ارسال ضابط انكليزي ليقيم في مسقط ، ويكون ممثلا للشركة ومستشارا له •
Miles, op. cit., p. 291.

(٢) Ravinder Kumar, India and the Persian Gulf 1858-1907, (India, 1965), p. 11.

على طول الساحل الشرقي والجنوبي لشبه جزيرة العرب ، وبدرجات مختلفة ، تحت الحماية البريطانية •

حقق المبعوث البريطاني نجاحا آخر في ايران حيث تمكن من استغلال الاطماع الايرانية في افغانستان وبالتأكيد على المخاطر الناجمة من المخططات الفرنسية على مصالح الطرفين ، لاقناع الشاه بأن يعد بالوقوف الى جانب بريطانيا في حالة وقوع تحرك عسكري فرنسي باتجاه الخليج[١] •

اعقب بعثة مرزا مهدي ، ارسال بعثة ثانية في مطلع سنة ١٨٠٠ برئاسة الكابتن جون مالكولم ، الذي قدر له ان يلعب دورا كبيرا في صياغة السياسة البريطانية في الخليج[٢] • هذا وقد سبق لمالكولم ان وضح اهداف بعثته هذه برسالة الى الجنرال روس Ross مؤرخة في ١٠ آب ١٧٩٩ • اذ جاء فيها[٣] :

« ان اهداف هذه البعثة متعددة ومهمة •• لتخليص الهند من التهديد المستمر بغزوها من قبل زمان شاه[٤] ••• لمجابهة المحاولات المحتملة لهؤلاء

---

(١) Kumar, op. cit., p. 12.

(٢) كان مالكولم في الثلاثين من عمره ، وبمنصب معاون المقيم في حيدر آباد ، حينما اختير ليرأس هذه البعثة • بدأ حياته العملية وهو في الرابعة عشرة من عمره حينما وصل الى الهند كطالب عسكري في جيش الشركة ، وخاض أول عملياته العسكرية في ميسور سنة ١٧٩٠ • انتقل الى الخدمة السياسية في ١٧٩٨ • تميّز بالنشاط والجرأة والطموح (Kelly, op. cit., pp. 68-9)

(٣) John William Kaye, The Life and Correspondence of Major-General Sir John Malcolm, (London, 1851), Vol. I, Malcom to Gen. Ross, 10 Aug. 1799, pp. 89-90.

(٤) ثالث ملوك افغانستان من السلالة الدورانية • شكل تهديدا خطرا على الممتلكات البريطانية في شمال الهند . حيث قام=

الأوغاد الفرنسيين ، ومحاولة انعاش التجارة السابقة مع ايران التي أصابها الكثير من التدهور » •

وكان على مالكولم ان يتوجه الى مسقط قبل ذهابه الى ايران • حسب تعليمات الحاكم العام للهند ، المركيز ولزلي Richard C. Willesley بسبب الشكوك التي ثارت لدى البريطانيين من حدوث تقارب بين نابليون وسلطان مسقط ، وقيام الاخير بمساعدة تيبو صاحب ، حاكم ميسور والثائر ضد البريطانيين • والذي عزز تلك الشكوك وقوع رسالة من نابليون في مصر الى حاكم مسقط تتضمن عواطف ودية ، وفي داخلها رسالة الى الثائر الهندي ليقوم بايصالها اليه[1] • وقد طلب الحاكم العام من مبعوثه ، ممارسة الضغط على (الامام) لتنفيذ شروط معاهدته السابقة مع بريطانيا ، وان

= ثلاث مرات،في الفترة (١٧٩٢ و١٧٩٧)، بالهجوم على شمال الهند • وفي مرتين من تلك الهجمات عبر السند ونهب البنجاب• وفي خريف ١٧٩٨ ، كان من جديد يهدد البنجاب من قاعدته المتقدمة في بشاور Peshawar . وكانت ايران تمتلك المفتاح لمشكلة القضاء على خطره • فقد كان فتح علي شاه (ت ١٨٣٤) طامعا في مد أراضيه شرقا الى داخل خراسان واستعادةالمقاطعات التي كانت تمتلكها الدولة الصفوية سابقا ، من زمان شاه • فكانت حكومة الهند ترى انه في حالة تعرض الامير الى ضغط من الغرب ، فانه سيجبر على ترك اطماعه في الهند •
Kelly, op. cit., p. 68; Peter Avery, Modern Iran, (London, 1965), p. 33.

(١) اعترض الرسالتين الكابتن ولسون S. Wilson ، الوكيل البريطاني في مخا ، وصولها الى الهند • ولنص الرسالتين ، انظر : Miles, op. cit. 290.

يقطع كل نوع من الاتصالات مع الفرنسيين[١] .

اجتمع مالكولم في ١٨ كانون الثاني ١٨٠٠ بسيد سلطان على ظهر سفينة الاخير (جنجافا) ، حيث اعرب له عن أسف الحاكم العام من ارتباط (السيد) بالفرنسيين ، ومعربا عن أمله في أن يراه مقتنعا بفوائد التحالف مع الحكومة البريطانية ، الذي لن يحقق الأمن السياسي لعمان فحسب ، بل الازدهار التجاري أيضا[٢] . واشار اليه بتفـوق بريطانيا في صراعها مـع فرنسا ، حيث أمكن طرد الاخـيرة من جميع ممتلكاتها في الشرق ، عـدا موريشيوس التي « هي جزيرة غير منتجة وليس في النية مهاجمتها »[٣] ! وكيف انتهى تيبو صاحب[٤] ، حينما اعتمد على الفرنسيين ، وعن انهيار

(١) Adamiyat, op. cit., p. 43.

(٢) Kay, op. cit., Vol. I, p. 109.

(٣) Ibid, p. 107.

(٤) استغل البريطانيون مفاوضات تيبو صاحب ، أمير ميسور ، مع الحاكم الفرنسي العام في موريشيوس ، كحجة لاحتلال ميسور ، رغم المحاولات والجهود اليائسة التي بذلهـا الزعيم الهندي ، للتوصل الى اتفاق مع الانكليز . اكتسحت القوات البريطانية ميسور ، وتمكنت من الاستيلاء علـى العاصمة سرنكا باتـام Seringapatam وقتل تيبو في مايس ١٧٩٩ ،

(Ramsay Muir, The Making of British India, (Karachi, Rep., 1969), pp. 21011; Michael Edward, A History of India, (Norwich, 1966), pp. 233-4).

وكان هدف ولزلي من احتلال ميسور ، ان يصبح بامكانـه مهاجمة المهراتا من الجنوب . وهذا ما وقع بالفعل ، اذ تمكن الانكليز من توجيه ضربة عسكرية قاسية الى قوات المهراتا في سنة ١٨٠٣ . انظر : K.M. Panikar, Asia and Western Dominace, (London, New ed., 1956), pp. 80-1.

الحملة الفرنسية على مصر ، وكيف ان تدمير سلطة تيبو ، قد جعلت جميع ساحل مالبار في أيدي الانكليز ، بحيث لم يعد بامكان أية سفينة أن ترسو على السواحل الهندية بدون سماح الانكليز[١] • ثم تساءل مالكولم بدهاء « ماذا ستؤول اليه تجارة مسقط ، اذا ما أغلقت موانىء شبه القارة الهندية امام سفن مسقط التجارية بواسطة الدوريات لقوة متفوقة ؟ » والاستنتاج الوحيد من ذلك السؤال هو : « ان رخاء مسقط يعتمد على الانكليز »[٢] • فكان جواب سلطان بن احمد انه « لا يرغب في شيء اكثر من تعزيز تحالفه مع الحكومة البريطانية »[٣] • وهكذا تم توقيع المعاهدة في نفس التاريخ • وتضمنت مادتين فقط ، الاولى تؤكد معاهدة **١٧٩٨** ، ونصت الثانية على اقامة وكيل سياسي في مسقط[٤] • وعلى اثر نجاح مهمته في مسقط ، التي أمنت لبريطانيا صداقة وتعاون الدولة الرئيسة على الساحل العربي ، توجه مالكولم الى بوشهر •

اسفرت مهمة مالكولم في ايران عن نتائج ايجابية ايضا ، حيث اسفرت مفاوضاته مع السلطات الايرانية عن عقد معاهدتين في كانون الثاني **١٨٠١** •

---

(١) Kaye, op. cit., Vol. 1, pp. 107-8.

(٢) Ibid, p. 108.

(٣) Ibid, p. 110.

(٤) Miles, op. cit., p. 293 • ظلت مسقط محافظة على علاقاتها القوية ببريطانيا بعد ذلك • حتى ان سلطان رفض قبول وكيل فرنسي وقنصل في تشرين الاول ١٨٠٣ ، وهو الطلب الذي قدمه اليه كافنياك Cavaingnac ، مبعوث نابليون الى مسقط • فأوضح للمبعوث الفرنسي بان موانئه ستكون دوما مفتوحة كالسابق للسفن الفرنسية ، وانه يسعده سماع أية عروض تجارية يقترحونها • للمزيد من التفاصيل وتعليل اسباب موقف سلطان ، انظر :
Coupland, op. cit., pp. 102-6.

الاولى سياسية ، تضمنت خمسة بنود نص معظمها على تأمين حماية الهند ، واخراج الفرنسيين من ايران ، وقيام حلف دفاعي بين الدولتين ضد التهديد الفرنسي والافغاني[1] • والمعاهدة الثانية تجارية منحت للبريطانيين امتيازات واسعة[2] • ويمكن تعليل نجاح مالكولم في مهمته في ايران ، ان البلاط الفارسي كان متلهفا لتأسيس علاقات ودية مع اية قوة قد تساعده في ايقاف الاطماع الروسية في بلاده[3] • في وقت بدت فيه روسيا عدوة للطرفين ، الايراني والانكليزي ، لاسيما وان نابليون كان يعتزم غزو الهند بالاشتراك مع بولص الثالث قيصر روسيا •

ادى اغتيال القيصر بولص في ١٨٠١ ، الى فشل المشروع الفرنسي ــ الروسي لغزو الهند • لهذا لم تعد بريطانيا متحمسة للوفاء بتعهداتها الاخيرة لايران ، وهذا يفسر لنا عدم استجابة حكومة الهند البريطانية لطلب تقدم به الشاه بعد وقت قصير من عقد المعاهدة ، باضافة مادة جديدة اليها ، تنص

---

(١) للنص الكامل للمعاهدة :

Hurewitz, op. cit., Vol. I, pp. 68-9.

وانظر ايضا :

Kay, op. cit., Vol. I, p. 137, Hasan-e Fasa'i, Farsnama-Ye Naseri, Trans. From the Persian by, Herbert Bussel under the Title 'History of Persia Under Qajar Rule, (Columbia, 1972), p. 95.

(٢) Hurewitz, op. cit., Vol. I, pp. 69-70; Judith Blow Williams, British Commercial Policy and Trade Expansion 1750-1850, (Oxord, 1976), p. 306; Sykes, op. cit., Vol. II, pp. 300-301.

(٣) Paul Shupp, The European Powers and the Near Eastern Question 1806-1807, (N.Y., 1931), p. 524.

على قيام بريطانيا بوضع الاموال والجنود تحت تصرف الحكومة الفارسية ، في حالة حدوث هجوم روسي على المقاطعات الايرانية ، خاصة ان انكلترا قد اصبحت آنذاك في تحالف ودي مع روسيا[1] • ولمدة سنتين بعد عقد المعاهدة واصل الروس هجماتهم على المقاطعات الايرانية الشمالية ، في حين لم تلق التماسات ايران استجابة من بريطانيا[2] •

دفع ذلك الموقف من جانب بريطانيا ، بايران الى التقارب مع فرنسا لدرء المخاطر الروسية • وقد وصل التقارب بين الشاه فتح علي شاه (١٧٩٧ - ١٨٣٤) ونابليون اقصاه في سنة ١٨٠٧[3] ، حيث تبلور بتوقيع معاهدة (فنكنشتاين Finkenstein) في ٤ مايس ١٨٠٧ ، بين نابليون وبين مبعوث الشاه المدعو مرزا محمد رضا[4] • وبموجب هذه المعاهدة تعهدت فرنسا بدعم ايران عسكريا ضد اي هجوم روسي ، مقابل قيام الشاه بقطع كل علاقاته السياسية والتجارية مع بريطانيا واعلان الحرب عليها ، كما يقوم الفرس بفتح ممر للقوات الفرنسية المتجهة الى الهند[5] • اعقب هذه المعاهدة ، ارسال بعثة عسكرية فرنسية كبيرة الى ايران ، وكانت تعليمات نابليون لرئيس هذه البعثة ، الجنرال غاردان Gardane تنص على اهمية ايران كممر الى الهند ، وان « لا يغيب عن نظر غاردان ، ان واجبنا الهام تكوين تحالف

---

(١) Fasa'i, op. cit., p. 121.

(٢) Hoskins, op. cit., p. 68.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الجهود الدبلوماسية لنابليون من اجل التقارب مع ايران ، لاتخاذها قاعدة لضرب الوجود البريطاني في الهند ، انظر : Shupp, op. cit., pp. 433-7.

(٤) Hurewitz, op. cit,. Vol. 1, p. 77; Shupp, op. cit.. p. 436; Sykes, op. cit., II, p. 304.

(٥) Hurewitz, op. cit., 1, pp. 77-8; Fasa'i, op. cit., r. 121

ثلاثي بين فرنسا والباب العالي[1] وايران ، من اجل ان ينفتح لنا الطريق الى الهند »[2] • وفي شهر كانون الاول من السنة نفسها ، وصل غـاردان الى طهران ، على رأس بعثته المؤلفة من سبعين خبيرا عسكريا ومهندسا وفنيا[3] •

قلقت بريطانيا من المخاطر التي أخذت تهدد الهند نتيجة لتطور العلاقات الايرانية ــ الفرنسية • فارتأى جورج كاننك ، وزير خارجية بريطانيا ، في مايس ١٨٠٧ ، ضرورة ارسال سفارة الى ايران تكون ممثلـة للتاج لا للشركة لاعطائها وزنا اكبر ، ووقع الاختيار على هارفورد جونز ، المقيـم السابق في بغداد لرئاسة السفارة • وقد تسلم جونز تعليماته من الوزير في ٢٨ آب ١٨٠٧ فكان عليه ان يعرض على الشاه المساعدة المالية والعسكرية ، مقابل وقوف ايران الى جانب بريطانيا في حالة تعرض الهند الى اي هجوم من قوة أوربية ــ فرنسا أو روسيا ــ ، وجرى اعلام حكومة الهند بتلـك السفارة في نفس ذلك الشهر[4] •

استاءت حـكومة الهند من مبادرة الحـكومة البريطانية هذه ، وبادر اللورد منتو ، الحاكم العام للهند ، وقبل ا نينتظر وصول جونز الذي وصفه بـ « المتطفل على عملنا »[5] ، الى تعيين سفارة اخرى الى بلاط الشاه برئاسة

---

(١) في نفس الوقت الذي عقدت فيه تلك المعاهدة ، وصل الى نابليون تأييد من الاستانة يعلن بان الباب العالي يسمح بمرور الجيش الفرنسي عبر الممتلكات العثمانية
. (Sykes, op. cit., II, p. 305)

(٢) Hurewitz, op. cit., Vol. 1, pp. 79-81; Shuppr op. cit., pp. 437-8; Hoskins, op. cit., p. 71.

(٣) Fasa'i, op. cit., p. 120.

(٤) Kelly, op. cit., pp. 80-3.

(٥) Quoted in: Ibid, p. 88.

جون مالكولم في اوائل كانون الثاني ١٨٠٨[١] • ابحر مالكولم ترافقه عمارة قوية من الاسطول ، ووصل الخليج في نيسان •

توجه مالكولم اول الامر الى مسقط ، حيث كلف من قبل دنكان ، حاكم بومباي ، بالاجتماع بسعيد بن سلطان لشرح اجراءات الحكومة البريطانية الوقائية في الخليج ، وأن يسأله فيما اذا كان يقبل المساعدة البريطانية لأبقاء الفرنسيين بعيدا عن بندر عباس[٢] • وفي ٣٠ نيسان صعد وزير سعيد للترحيب بمالكولم على ظهر سفينة الاخير ، فأشار اليه مالكولم بأن الحكومة البريطانية تود ان تلفت نظر سلطان مسقط بانه على الرغم من ان الحكومة البريطانية قد سمحت له بالاستمرار بعلاقاته الودية مع الفرنسيين ، فان على سعيد ان لا يفسر ذلك السماح بأنه اذن لتقديم الدعم والتأييد لهم • وحينما ذكره الوزير بأن الحكومة العليا للهند تعتبر مسقط على الحياد ، أجاب مالكولم بكبرياء « اذا لم يتمكن سعيد من اثبات نفسه صديقا مخلصا ، فان بريطانيا ستعتبره عدوا »[٣] • وقبل ان ينتظر جواب سعيد غادر مسقط الى بوشهر فوصلها في ١٠ مايس •

---

(١) يمكن تعليل موقف منتو بهذه المناسبة ، بان حكومة الهند كانت قد حصلت على درجة عالية من تحمل المسؤولية في المواقف السياسية مع الدول القريبة من الهند • فلاسباب سياسية وتجارية ، لم تكن حكومة الهند ترغب في أن تقوم الحكومة البريطانية بالتفاوض مباشرة مع هذه الدول ، والتي ستؤدي الى اضعاف الهيبة التي نمت حول اسم الشركة كسلطة اوتوقراطية واستعمارية •
انظر : Hoskins, op. cit., p. 75.

(٢) كان السيد سعيد قد أجاب حكومة بومباي مؤخرا ، بأنه لن يسمح باستخدام بندر عباس وهرمز كقواعد للفرس والفرنسيين ، طالما كانتا تحت حكمه • (Kelly, op. cit., p. 88).

(٣) Quoted in: Ibid, pp. 88-9.

بعث مالكولم برسالة الى حكومة طهران من بوشهر حملهـا الكابتن جارلس باسلي Pasley ، وتضمنت الرسالة اتهامه لحكومة الشاه بالانحياز للفرنسيين وخرق معاهدة ١٨٠١ ، اضافة الى تحذير الحكومة الايرانية من مغبة تلك السياسة • كما اشارت الى انه اذا لم يقم الشاه باخراج الجنرال غادران ومعاونيه من البلاد ، فان على ايران تحمل النتائج الوخيمة من جراء سياستها ، وقد يقود الامر الى قطع علاقات ايران التجارية مع الهند ، وحتى القيام بعمل عسكري للاستيلاء على بعض الجزر الايرانية في الخليج[١] • رفضت الوزارة الايرانية استقبال باسلي في طهران ، واوعزت له بالتداول في الامر مع الامير حسين على مرزا ، حاكم فارس ، في شيراز الذي هو المسؤول حاليا عن العلاقات بين ايران وشركة الهند[٢] • رفض مالـكولم ذلك العرض بشكل عنيف ، مشيرا الى ان ممثل الشعب البريطاني لن يتنازل بالتعامل مع زعيم محلي ، وعليه فانه سيقطع زيارته ويعود الى الهنـد[٣] • وبذلك فشلت بعثة حكومة الهند • يمكننا ان نعزو فشـل هـذه البعثة الى الاسلوب المتغطرس الذي سلكه مالكولم من ناحية ، والى قوة نفوذ الجنرال غاردان في بلاط الشاه من ناحية اخرى[٤] •

جرى في كلكتا على اثر فشل هـذه البعثة ، اسـتعراض للموقف الايراني ، تمخض عن وضع خطط جديدة للاستيلاء على جزيرة خارج

---

(١) Kelly, op. cit., p. 89.

(٢) Ibid.

(٣) Hoskins, op. cit., p. 76.

(٤) في الواقع ان مالكولم تعرض الى نقد قاس على موقفه هذا في مناسبات عدة • كما ان اللورد منتو ، لم يكن راضيا عن لغة الغطرسة التي استخدمها مالكولم بهذه المناسبة •
(Hoskins, op. cit., p. 76)

واقامة حامية فيها[١]. وكانت ايران قد وعدت بتسليم هذه الجزيرة لفرنسا، واعتبرت قاعدة مناسبة لغزو فرنسي – ايراني للهند. وعليه فمن وجهة النظر البريطانية، فانه يمكن استخدامها لاعتراض أية محاولة لغزو الهند، وفي نفس الوقت لم يجر اغفال أهميتها التجارية ولا موقعها السوقي (الستراتيجي) في تسهيل القيام بعمليات عسكرية في ايران اذا ما استمر التحدي الفرنسي[٢]. وكانت الاستعدادات للقيام بعملية خارج تسير باطراد[٣]، حينما وصل جونز الى الخليج تمهيدا لبدء المفاوضات مع حكومة الشاه[٤].

---

(١) كانت خطة احتلال جزيرة في الخليج واتخاذها قاعدة عسكرية بريطانية، من اهم الاهداف التي كان مالكولم يسعى لدى حكومته من اجل تحقيقها. فعند عودته من بعثته الاولى سنة ١٨٠١، حاول اقناع المركيز ولزلي بضرورة الاستيلاء على قشم، ومن بعثته الثانية الفاشلة أراد الاستيلاء على جزيرة خارج بالقوة. Brydges, op. cit., Vol. I, p. 138

(٢) للمزيد من التفاصيل:
Kaye, op. cit., Vol. 1, pp. 432-4;
[I.O.] Precis of Correspondence, pp. 16-17.

(٣) انظر:
[I.O.] J.G.T.B., Book X1, From Charles Pasley to Andrew Junkes in charge of the Residency at Bushire, 15th Feb. 1809.

(٤) توقفت اجراءات حملة خارج بالضرورة، فقد كتب اللورد منتو الى مالكولم في ٣٠ أيلول ١٨٠٨ يأمره بايقاف تحرك الحملة «ليس بامكاننا القيام باعمال عدائية ضد ايران في الوقت الذي يفاوض فيه ملك انكلترا ملك ايران»

Kaye, op. cit., Vol. 1, p. 437, Lord Minto to Brigadier Malcolm, Barrakpore, Sep. 30, 1808.

ساعدت التطورات التي وقعت في اوربا ، واستغلال جونز لها ببراعة على نجاحه في تحقيق نجاح كامل في مهمته في طهران • اذ لم تكد تعقد معاهدة فنكنشتاين بين ايران وفرنسا ، حتى غيرت الاحداث في اوربا كل اتجاهاتها • ففي حزيران ١٨٠٧ ، وقعت معركة فريدلاند الحاسمة التي انتهت باندحار الروس ، واعقبها مفاوضات بين الامبراطورين الفرنسي والروسي في (تلست) • وفي هذا المؤتمر المهم تم التوصل الى ان يكون نابليون حر اليد في اوربا ، مقابل حرية الامبراطور الروسي في آسيا ، وان يعتبر كلاهما بريطانيا عدوه الرئيس[1] • وهكذا ضحى نابليون بالمصالح الآسيوية لمصلحة السياسة الاوربية ودفعه ذلك بالضرورة الى اضعاف صلاته بايران ، لانه لم يعد بامكانه مساعدتها ضد حليفته الجديدة روسيا[2] • وازاء تلك التطورات وجد المبعوث الفرنسي لدى بلاط الشاه ، الجنرال غاردان ، نفسه مضطرا الى مغادرة ايران ، في الوقت الذي كان فيه جونز يقترب من طهران •

توصل المبعوث الانكليزي الى عقد معاهدة اولية مع ايران في ١٢ مارت ١٨٠٩ ، شكلت اساس العلاقات بين الدولتين • ويلاحظ ان حماية الطرق الموصلة الى الهند قد ظهرت في كل مادة من موادها • وباختصار ، فان على ايران ان لا تدخل باتفاقيات معادية للمصالح البريطانية ، وتمنع اية قوة اوربية من المرور عبر أراضيها باتجاه الهند • وبالمقابل تتعهد الحكومة البريطانية بحماية ايران ضد الغزو الاجنبي ، وتقوم بتزويدها بالسلاح والقوات المسلحة ، للاغراض الدفاعية ، وتقدم لها العون المالي ويبلغ

(١) Hoskins, op. cit., pp. 71-2.

(٢) في الواقع ان نابليون اعتبر اتفاقية تلست ، والتي دخلت روسيا بموجبها الى الحصار القاري ضد بريطانيا ، استعاضة مناسبة لمشروعه في غزو الهند • انظر : Ibid, p. 72.

٢٠٠٫٠٠٠ تومان (حوالي ١٥٠٫٠٠٠ باون)[١] • وهكذا نجحت بريطانيا في احباط آخر تهديد فرنسي لغزو الهند عن طريق البر ، وما ان حلت سنة ١٨١٠ ، حتى تم نهائيا القضاء على التهديد النابليوني للهند والشرق الاوسط ، كنتيجة لانتزاع بريطانيا جزيرتي بوربون وجزيرة فرنسا (موريشيوس) ، من الفرنسيين[٢] • وكان على الانكليز لتثبيت سيادتهم

(١) Hoskins, op. cit., pp. 78-9; Curzon, op. cit. II, p. 577,

ويلاحظ ان سايكس يحدد قيمة العون السنوي ب ١٦٠٫٠٠٠ تومان (Sykes, op. cit., Vol. II, p. 307) • ويجدر بنا ان نسجل هنا ، ان كراهام يقول عن التومان ، انه عملة ذهبية ، كانت قيمته تعادل في ذلك الوقت عشر شلنات (Graham, op. cit., note 2, p. 264) وقد تم تحويل هذه المعاهدة الى معاهدة دائمية وتمت المصادقة عليها في ٢٥ تشرين الثاني ١٨١٤ • انظر نصها الكامل في :
Hurewitz, op. cit., Vol. 1, pp. 78-8.

(٢) هاجم الاسطول البريطاني جزيرة بوربون في صباح ٧ تموز ١٨١٠ ، وفي ظهر اليوم التالي نجح الانكليز في الاستيلاء على عاصمتها (سنت دنيس) • أما جزيرة فرنسا ، والتي شكلت القاعدة الاساسية للبحرية الفرنسية في البحار الهندية ، فان سقوطها كان يعني توجيه ضربة مميتة للوجود الفرنسي في تلك الارجاء • وقد وجهت حكومة الهند كل طاقاتها لتحقيق هذه الغاية • فأعدت حملة كبيرة تألفت من ١٢٫٠٠٠ جندي ، نقلوا على اسطول مكون من سبعين سفينة تقريبا ، ولم تكن حامية الجزيرة يزيد عدد أفرادها عن ١٫٦٠٠ جندي • نجحت الحملة وتم الاستيلاء على الجزيرة ذات الاهمية الستراتيجية في كانون الاول ١٨١٠ ، واعيدت تسميتها ب موريشيوس • للمزيد من التفاصيل ، انظر : Graham, op. cit., pp. 48-52.

ويعلق كوبلاند على ذلك الانتصار بقوله : « يحدد سقوط موريشيوس نهاية الحروب البحرية مع فرنسا وانفراد بريطانيا بسيادة المحيط الهندي » • Coupland, op. cit., p. 52.

الكلية على منطقة الخليج ، بعد ذلك ، القضاء على قوة اخرى تمثلت بالقواسم الذين شكلوا ، بهجماتهم المتكررة على الملاحة البريطانية ، خطرا كبيرا على المواصلات الامبراطورية ٠

الصراع بين القواسم والانكليز : ١٨٠٤ ـ ١٨٠٩ :

لم يتعرض القواسم للسفن البريطانية منذ هجومهم العنيف على الطراد (فايبر) ، في سنة ١٧٩٧ ٠ ولمدة سبع سنوات تقريبا ، كانت السفن التي ترفع العلم البريطاني تبحر بحرية في طريقها بين الهند والخليج العربي ٠ ولعل ذلك يرجع الى انهماك القواسم في الصراع مع حاكم مسقط ، سلطان ابن احمد ، عدوهم المباشر ومنافسهم الخطير ٠ الامر الذي دفعهم الى تركيز كل قوتهم البحرية والبرية لمجابهته ٠ على ان الامر اختلف اثر مصرع سلطان في ١٨٠٤ ، فانطلقوا بدون ضابط يحد من نشاطهم ٠ فاذا أضفنا الى ذلك ، اعتناقهم الحديث للعقيدة الوهابية ، التي الهبت حماسهم الفطري ، واحساسهم بدعم الدولة الوهابية ، وتحريضها لهم على مضاعفة نشاطهم بحمل راية الجهاد البحري ، نتمكن من تفسير هجماتهم على السفن البريطانية ٠

وقع اول تعرض قاسمي للبريطانيين في سنة ١٨٠٤ ٠ وموجز الحادث هو ارتطام طراد الشركة (فلاي Fly) ، الحامل لرسائل رسمية واموال الى بومباي ، بالقرب من جزيرة قيس وتحطمه في المياه الضحلة القريبة ٠ ولكن بحارة الطراد تمكنوا من الوصول الى بوشهر ، وهناك قاموا بشراء سفينة اهلية لتقلهم الى بومباي ٠ وقد هاجمهم القواسم في طريق العودة واقتادوهم أسرى الى رأس الخيمة ٠ حيث عرض هؤلاء البحارة على القواسم اطلاق سراحهم مقابل ارشادهم الى موضع غرق (فلاي) وكنزها ٠ وحين تم ذلك اطلق سراح البحارة البريطانيين على جزيرة قيس ٠ ولم ينجح من

هؤلاء في الوصول الى بوشهر سوى ثلاثة ضباط وبحارين ، وصل اثنان منهم فقط الى بومباي[١] .

هاجم القواسم ، في اوائل سنة ١٨٠٥ ، سفينتين بريطانيتين يمتلكهما صاموئيل منسيتي ، المقيم البريطاني في البصرة ، هما (شانون Shannon و (تريمر Trimmer) ، بينما كانتا في رحلتهما من بومباي الى البصرة بالقرب من جزيرة قيس[٢] . وبعد مقاومة بسيطة من جانب (الشانون) ، تم اسرهما ، واعدم البحارة الهنود من طاقمها ، كما قطعت يد قبطان (الشانون)، الكابتن بابوك Babcock لانه شوهد وهو يطلق بندقية عليهم[٣]،

---

(١) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 217-224; Charles Belgrave, The Pirate Coast, (London, 1966), p. 29; Miles, op. cit., p. 296,

ويلاحظ ان الاخير يحدد وقوع هذه الحادثة بسنة ١٨٠٣ .

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 33; Low, op. cit., Vol. 1, p. 317; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, 181; Hawley, op. cit., p. 99,

وبعض المؤرخين يحدد وقوع ذلك الهجوم بأواخر سنة ١٨٠٤ منهم :

Miles, op. cit., p. 303; Kelly, op. cit., p. 106.

أما فيلبس فانه يعطي تاريخا مبكرا للحادث حيث يجعله في سنة ١٨٠٣ . Phillips, Oman, p. 91 .

(٣) سن الوهابيون قاعدة باعدام اعدائهم اذا وجدوا يحملون السلاح، سواء أكانوا أجانب أو عرباً عارضوا الزعيم الاكبر أو تمردوا عليه . وهذا الاجراء الذي جعل اسم الوهابية مرعبا لدرجة كبيرة . فعلى سبيل المثال فانه « في خلال السنوات الاربع من القتال مع جنود محمد علي باشا ، لم تسجل حادثة واحدة عن ابقائهم على حياة اي من الترك» . وأي مخيم يتعرض للهجوم من=

اما بقيـة البحـارة من الاوربيين فقد اطـلق سـراحهم[1] • قـام القواسم بتسليح السفينتين ، وارسلت من رأس الخيمة للطواف في الخليج ، حيث قامتا « بعمليات قرصنية ناجحة »[2] • وقد حاول منسيتي استعادة السفينتين ، فأرسل وكيلا عنه الى الامير الوهابي في الدرعية ، طالبا تدخلـه في هـذه القضية ، ولكن المهمة لم تسفر عن نتيجة ايجابية[3] •

حاولت عمارة قاسمية مؤلفة من اربعين سفينة صغيرة ، الاطباق على طراد الشركة ذي الاربعة والعشرين مدفعا (مورنكتون Mornington) اثناء مروره بجزيرة (بليور Pilior) في كانون الثاني ١٨٠٥ ، ولكن الهجوم انتهى بالفشل بسبب كثافة النيران التي اطلقها الطراد[4] • وفي ٣٠ نيسان من نفس العام ، هاجمت (بغلة) قاسمية كبيرة مزودة بعشرة مدافع ، طراد الشركة (كوين Queen) بالقرب من مسقط ، ولكن الطراد نجح

= قبلهم ، فان جميع الاسرى الذين وجـدوا يحملون السلاح يعدمون ، ولكن يعفى من الاعدام الذين يستسلمون طوعا ، حيث يمنح هؤلاء « أمان الله » انظر :
. Burckhardt, op. cit., Vol. II, pp. 176-7

(١) Buckingham, op. cit., II, pp. 224-5; Low, op. cit., Vol. 1, p. 317.

قام التمييز بين الاوربيين والهنود في معاملة الاسرى ، واعدام الاخيرين « لانهم يعتبرونهم منافسين تجاريين »
Hawley, op. cit., p. 116.

(٢) Buckingham, op. cit., II, p. 225; Low, op. cit., Vol. 1, p. 317

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 182; Hawley, op. cit., p. 99.

(٤) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 33; Curzon, op. cit., p. 449, Low, op. cit., p. 317; Miles, op. cit., p. 303; Kelly, op. cit., p. 106.

في رد الهجوم بعد صراع مرير[١] •

اشرنا في الفصل السابق ، الى الاجراءات التي اتخذتها حكومة الهند لمواجهة هذا الخطر الكبير الذي اعتبره منسيتي ، المقيم البريطاني في البصرة، بانه لا يقل عن الخطر الفرنسي على المصالح البريطانية في تلك الجهات[٢]• فاصدرت اوامرها الى ستون في مايس ١٨٠٥ بالعودة الى مسقط[٣] ، من اجل تنسيق العمل مع حاكمها الجديد • وقد شارك ستون كما مر بنا في حملة حاكم مسقط، بدر بن سيف، لاستعادة بندر عباس واعقب ذلك حصار عمارة قاسمية في ميناء قشم ، حيث انتهت العملية الاخيرة بعقد هدنة بين الطرفين[٤] •

حاولت حكومة بومباي ،عن طريق المقيم ستون ، تسوية الامر مع القواسم سلما • وجرت المفاوضات فعلا من اجل حل سلمي بين حكومة بومباي والقواسم منذ سنة ١٨٠٥ • وقد مرت المفاوضات بمرحلتين ، كانت الاولى في مسقط في تشرين الاول من تلك السنة ، حيث وضعت المبادىء الاولية للاتفاق بين المقيم البريطاني ومبعوث القواسم[٥] • اما المرحلة الثانية فكانت في بندر عباس بين كل من ستون ممثلا عن حكومة الهند ، وعبدالله ابن كروش ممثلا عن القواسم في اوائل سنة ١٨٠٦ • وأسفرت المفاوضات

---

(١) Miles, op. cit., p. 305.

(٢) العقاد ، المصدر السابق ، ص٧٤ •

(٣) كان ستون قد استدعي من قبل مالكولم في سنة ١٨٠٣ للقيام بمهمة في السند ، فتركت المقيمية في مسقط شاغرة •

(٤) أنظر : ص ١٦٧-١٦٨ ، ١٧٠-١٧١ •

(٥) S.R.B.G., No. XX1V, p. 304, ‘Warden, Joasmess’; Miles, op. cit., p. 307.

عن التوصل الى (قولنامة) او معاهدة مكتوبة بين الطرفين في ٦ شباط من تلك السنة •

احتوت هذه المعاهدة على ستة بنود ، عالجت بصورة عامة استتباب السلام في منطقة الخليج وحماية السفن والممتلكات البريطانية في موانيء القواسم[١] • ثمة نقطتان تستدعيان التنويه ؛ الاولى ان الطرفين المتعاقدين يوافقان على احترام علم وممتلكات الطرف الآخر « اينما وكيفما يكونون »، (مادة ١) ، وهكذا لم توضع قيود على القواسم في علاقاتهم مع الرعايا غير البريطانيين • والثانية اعطت للقواسم الحق باهمال الاتفاقية اذا ما اجبروا على ذلك بسبب عقيدة (الجهاد) ، على ان يعطوا « اشعارا بذلك قبل ثلاثة اشهر في جميع الاماكن » (مادة ٥) ومقابل ذلك اسقط ستون المطالبة بحمولة السفينتين (تريمر وشانون) ، ويسمح للقواسم بالتردد على الموانيء البريطانية في الهند ، من سورات الى البنغال كالسابق (المادتين ٢ و ٦) • وقد أشار ستون في رسالته الى حكومة بومباي بعد هذا الاتفاق « بأن جميع القواسم راغبون بالعودة الى مهنتهم التجارية السابقة »[٢] • وقد تمت المصادقة على هذه المعاهدة من قبل الحاكم العام للهند في ٢٩ نيسان من نفس السنة[٣] •

ساعدت التطورات التي شهدتها المنطقة والمرتبطة بمسألة الصراع الدولي في اوربا التي زامنت عقد تلك المعاهدة ، على التزام القواسم بتطبيق بنودها لفترة حوالي السنتين • فقد رابطت في الخليج العربي في

---

(١) للنص الكامل للمعاهدة ، انظر :
Aitchison, op. cit., Vol. X11, pp. 165-6.

(٢) S.R.B.G. No. XX1V, p. 304 'Warden, Joasmees'; Low, op. cit., Vol. 1 p. 318.

(٣) Aitchison, op. cit., Vol. X11, p. 166.

الفترة ١٨٠٧ ــ ١٨٠٨ ، عمارة قوية من الاسطول الحربي البريطاني ، تألفت من سفينة البحرية الملكية (فوكس Fox) وثمانية من طرادات الشركة[1] . وكان الهدف من مرابطتها فيه ان تمارس بريطانيا الضغط على الدولة العثمانية من خلال ممتلكاتها الآسيوية[2] . وقد عززت تلك القوة البحرية في شباط ١٨٠٨ ، حينما وافق نائب أميرال البحرية في بومباي على ارسال تشكيلة اخرى من السفن الحربية الى الخليج ، تألفت من (البيون Albion ذات ٧٤ مدفعا) و (فانون Phaeton ٣٨ مدفعا) و (ديد يجنوس Dedaigneuse ذات ٣٢ مدفعا)[3] . ان هذا المظهر من القوة الذي تزامن مع الاتفاق القاسمي ــ البريطاني ، يفسر عدم تعرض السفن التجارية البريطانية لأي هجوم من جانب القواسم في خلال تلك الفترة . الا ان التقارب العثماني البريطاني في خلال عام ١٨٠٨[4] ، دفع ببريطانيا الى

---

(١) Low, op. cit., 1, pp. 318-19; Lorimer, 1A, p. 640.

(٢) نتيجة لتزايد النفوذ الفرنسي في البلاط العثماني في سنة ١٨٠٦ ، واعلان الباب العالي الحرب على روسيا ، حليفة بريطانيا آنذاك ، في كانون الاول من تلك السنة ، نشطت بريطانيا لمواجهة الخطر . فأرسلت حملة بحرية ضد الدولة العثمانية بقيادة الاميرال جون دكوورث J. Duckworth ، في شباط ١٨٠٧ ، هدفها اجبار الباب العالي على تغيير موقفه . وقد نجح الاميرال الانكليزي في اختراق الدردنيل واقترب من الاستانة . الا انه اضطر على الانسحاب بسبب قوة دفاعات العاصمة العثمانية بجهود الجنرال سباستياني ، مبعوث نابليون الخاص . (William James, The Naval History of Great Britain, 1793-1827, (London, 1886), Vol. VI, pp. 213-18).

وقد دفع ذلك الفشل ببريطانيا الى ارسال قوة بحرية الى منطقة الخليج العربي في الفترة ١٨٠٧ ــ ١٨٠٨ كما نوهنا اعلاه .

(٣) Moyse-Bartlett, op. cit., pp. 35-6.

(٤) نجحت الدبلوماسية البريطانية في استغلال الظروف التي نشأت =

سحب معظم قطع ذلك التشكيل البحري فنشط القواسم من جديد وبشكل أوسع من السابق ·

فبالرغم من المعاهدة السابقة ، فان القواسم لم يراعوا تطبيقها ، لأنها في الواقع لم تحقق لهم نفعا ماديا ، بل على العكس من ذلك حرمتهم من موارد غزواتهم السابقة · لهذا استأنف القواسم تعرضاتهم للسفن التجارية بشكل اعنف من السابق في خلال سنة ١٨٠٨[1] ، وتمكنوا من ايصال عملياتهم قرب السواحل الهندية الى الشمال من بومباي منذ نيسان من تلك السنة[2] · وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٨٠٨ ، اشتبك طراد الشركة (ليفلي Lively) في معركة ضارية مع اربع سفن قاسمية بالقرب من ساحل كجرات[3] · وتمكن القواسم في خلال ذلك الشهر واوائل كانون الاول من أسر عشرين سفينة تجارية هندية[4] ، في البحر العربي الى الشمال من بومباي · دفعت هذه العمليات الناجحة بالقواسم الى تعزيز نشاطاتهم في تلك

= بعد عقد اتفاق (تلست) بين روسيا وفرنسا ، والذي وجه ضربة قاصمة للتقارب الفرنسي ــ العثماني ، للتقرب من الدولة العثمانية · فتم التوصل الى تسوية الخلافات بينهما · وفي ٥ كانون الثاني ١٨٠٩ ، وقعت معاهدة الدردنيل بين الطرفين ، للسلام والتجارة والتحالف السري · انظر نص المعاهدة :
Thomas, op. cit., pp. 845-8; Hurewitz, op. cit., Vol. I, pp. 81-4.

(١) Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 228.

(٢) S.R.B.G. No. XX1V, p. 304, 'Warden, Joasmees'.

(٣) Low, op. cit., Vol. 1, p. 319; Kelly, op. cit., p. 114,
اما مايلز فيقول ان الهجوم على (ليفلي) جرى في نيسان
Miles, op. cit., p. 313.

(٤) Low, op. cit., Vol. 1, p. 319; Kelly, op. cit., p. 114

انباه ، فأرسلوا عمارة من خمسين سفينة باتجاه سواحل كوج والسند[1] .
وفي منطقة الخليج ، تعرض الطراد (فيوري Fury ذو ٦ مدافع) وهو في طريقه من البصرة الى بومباي في شهر مايس من تلك السنة ، الى هجوم سفينتين قاسميتين على بعد أميال قليلة شرقي مسقط ، وبعد مطاردة استغرقت بضع ساعات ، حاول القواسم خلالها اقتحام الطراد ، فشلوا في الاستيلاء عليه بسبب كثافة نيران المدافع والبنادق[2] .

اكبر عمليات القواسم الناجحة في الخليج العربي حدثت في ٢٣ مايس ١٨٠٨ . ففي ذلك التاريخ ، هاجمت عمارة قاسمية مؤلفة من خمس وخمسين سفينة ، السفينة التجارية الضخمة (منيرفا Minerva العائدة ملكيتها لصاموئيل منسيتي ، بالقرب من رأس مسندم . وقد استمرت المطاردة والاشتباك يومين انتهت بأسر السفينة البريطانية ، واعدام معظم بحارتها . ومن بين الذين ابقي عليهم المسز تايلر ، زوجة الملازم روبرت تايلر مساعد المقيم البريطاني في بوشهر ، وابنها الطفل « لانه لم يكن من عادتهم الاعتداء على النساء »[3] . واقتيدت (منيرفا) الى رأس الخيمة ، حيث جردت من حمولتها وزودت بعشرين مدفعا ، واصبحت احدى قطع الاسطول القاسمي[4] . وقد أطلق سراح معظم الاسرى فيما بعد ، ومن

---

(١) S.R.B.G. No. XX1V, p. 305, 'Warden, Joasmeees'; Low, p. cit., Vol. 1, p. 319; Miles, op. cit., p. 313; Grant, op. cit., Vol., 1, p. 551.

(٢) Low, op. cit., p. 320.

(٣) Alan Villiers, The Indian Ocean, (London, 1953), p. 179.

(٤) عن عملية أسر منيرفا ، انظر : =

بينهم المسز تايلر بعد دفع فديتها البالغة ٦٧٠ دولار[١] •

اعتمد القواسم في هجماتهم على السفن المعادية ، اسلوبا يتطلب شجاعة وجرأة عاليتين ، ويقوم على محاولة الاسر بواسطة الاقتحام • فتحاول سفنهم المناورة من اجل الاقتراب من الهدف ، لتلتصق به وعندها يندفع مقاتلوهم الى سطح السفينة المعادية • ويرجع السبب في اتخاذهم لهذه الطريقة الى قلة الاسلحة النارية التي بحوزتهم[٢] • ولذلك ولتسهيل عملية تسلقهم على سطح السفن المعادية ، احدثوا بعض التغيير في شكل بناء سفنهم ، حيث اضافوا طبقة فوقية عالية في مؤخرتها ، مما يسهل كثيرا عملية التسلق حينما تتشابك السفينتان في الصراع[٣] • وبصورة عامة فان كل من يقاومهم يعدم • ويعلق ولستد على هذه الناحية فيقول[٤] :

« انه لما يدهشني بان اناسا ليسوا قساة بطبيعتهم ، يتبنون مبدأ التضحية الوحشي باسراهم • انهم يقومون بذلك في احتفالات مروعة ، مما يضفي على العمل مظهر بعض الطقوس الجهنمية • ولو انه ليس هناك من وصية

= Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 228-9; Shaikh Mansur, op. cti., p. 52; Low, op. cit., Vol. 1, p. 320; Kelly, op. cit., p. 111; Heude, op. cit., p. 28.

ومن الجدير بالذكر ان كيرزن يحدد سهوا الهجوم على منيرفا بسنة ١٨٠٩ وقوله انها سفينة تابعة للبحرية الملكية •
Curzon, op. cit., Vol. II, p. 449

(١) Kelly, op. cit., p. 111.

(٢) Low, op. cit., Vol. p. 321.

(٣) Phillips, op. cit., p. 94. ، اما مايلز فيقول ان (داواتهم) الكبيرة تبنى بمؤخرة عالية تصل فوق الجانب المحيط بالسطح العلوي للفرقاطة فتسهل عليهم أسر السفن « بطريقتهم المفضلة بالاقتحام » Miles, op. cit., p. 323.

(٤) Wellsted, Travels to the city of Caliphs, Vol. I, p. 101.

لمثل هذا المظهر ، الا للعقيدة المتعصبة التي يؤمنون بها • فبعد ان تؤسر السفينة ، تطهر بالماء والعطور ، ثم يساق افراد طاقمها كلا على انفراد ، حيث توضع رؤوسهم على حافة السفينة وتقطع رقابهم ، مع الهتاف المستعمل في المعركة الله اكبر » •

تزايدت جرأة القواسم الى درجة كبرى في خلال سنة ١٨٠٩ ، حتى انهم هاجموا سفينة البحرية الملكية الضخمة (لأيون Lion) ذات الخمسين مدفعا ، مما يدل على مبلغ استهانتهم بالقوة البريطانية[١] •

لاشك ان من بين العوامل التي شجعت القواسم على مواصلة هجماتهم على السفن البريطانية ، السياسة الحذرة التي سارت عليها حكومة بومباي في خلال الفترة الواقعة بين معاهدة ١٨٠٦ والحملة الثانية في ١٨٠٩ • فقد أصدر حاكم بومباي أمرا مشددا الى جميع قادة البحرية بعدم القيام بالهجوم او التحرش بالسفن العربية • منذرا قبطان اي سفينة يثبت ارتكابه ذلك العمل ، مؤكدا على عدم فتح النار الا اذا بدأت السفن العربية بالاطلاق[٢] • بل ان حاكم بومباي وجه اللوم الى الملازم گوان Gown قبطان الطراد (فيوري) ، لمبادرته بفتح النار على السفن القاسمية في المياه الهندية[٣] • وهنا لابد لنا من توضيح موقف حكومة بومباي هذا ، الذي وجه اليه نقد

---

(١) Wellsted, op. cit., pp. 101-2; Curzon, op. cit., Vol. II, p. 449.

(٢) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 226-7.

(٣) Miles, op. cit., p. 313; Low, op. cit., 1, 320; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 41; Sanger, op. cit., p. 171.

مستمر من جانب عـدد كبير من المؤرخين الانكليز[١] • يمكننا القول ان ذلك الموقف كان نتيجة لاسباب سياسية وعسكرية • فمن الناحية الاولى ، لم يكن بامكان حكومة الهند تجاهل الارتباط القائم بين القواسم والوهابيين • ولم يكن بالامكان ، في وقت بدأ فيه نابليون في استئناف نشاطه في الشرق ، أن تقدم حكومة الهند البريطانية على مخاصمة الاميرسعود بخاصة وان التعليمات التي زود بها جونز كانت تقتضيه بالسعي للتقرب منه في حالة فشل بعثته الى ايران • كما صدرت أوامر مماثلة لمالكولم من قبل اللورد منتو ، في اواخر ١٨٠٨[٢] • ومن الناحية الثانية ، العسكرية ، لم يكن بمقدور حكومة الهند توفير القوات اللازمة لمواجهة التحدي القاسمي ، « فمع كل امكانات الشركة المجهدة بالحروب مع فرنسا ، وفي الحملات داخل الهند نفسها ، فان امكانة اعـداد حملة الى الجزيرة العربية لم تكن بالامر الهين »[٣] • هذا مع العلم ان حكومة بومباي كانت لا تمتلك اكثر من اثنتي عشرة سفينة حربية في ١٨٠٨ ، تقـوم بأعمالهـا العديـدة في البحـار ما بـين ككلتا والسويس[٤] • وثمة عامل آخر يندمج بعمق مع الاعتبارات السابقة ، جعل ايما أمل في اعداد حملة عسكرية من قبل حكومة بومباي ، لمهاجمة قواعد القواسم الرئيسة ، غير وارد ، هو خطة مالكولم في اعداد حملة للاستيلاء على جزيرة خارج ، في اواخر ١٨٠٨ ، الامر الذي اشغل جميع القوات المتوفـرة[٥] •

---

(١) انظر على سبيل المثال :
Miles, op. cit., p. 315; Low, op. cit., Vol. 1, p. 323; Wilson, op. cit., p. 202.

(٢) Kelly, op. cit., p. 113.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid, pp. 113-14.

(٥) Ibid, p. 114.

في العشرين من تشرين الاول ١٨٠٨ ، وبعد اسابيع قليلة من أسر (منيرفا) ، اقتحم القواسم طراد الشركة (سلف Sylph ذو ٨ مدافع)، اثناء مروره في مدخل الخليج • كان (سلف) أحد قطع العمارة التي حملت بعثة هارفورد جونز الى بلاط الشاه[1] ، حينما افترقت عن بقية السفن • فاندفع اليها اثنان من داوات القواسم ، ونجحوا في اقتحامها وأسرها • وحينما كانوا يقتادونها بفخر ، ظهرت سفينة البحرية الملكية (نيريد Nereide) وحينما رأى قبطانها ، الكابتن كوربت Robert Corbet المشهد ، أدرك حقيقة ما وقع ، فبادر الى مطاردة الآسرين • فترك القواسم غنيمتهم مسرعين الى (داواتهم) واستمرت المطاردة اعتبارا من بعد ظهر ٢١ تشرين الاول بقليل وحتى الساعة التاسعة مساء • وبناء على ما دونه كوربت في سجل سفينته يبدو انه قد نجح في اغراق الداوين القاسميين ، فقد كتب:

« تمكنا في الساعة ٥ر٣٠ مساء من تدمير عارضة أحد الداوات • الساعة السادسة ، استمر اطلاق النار بأقصى ما تستطيعه المدافع ••• ترك بحارة الداو المصاب وانتقلوا الى سطح الداو الآخر ••• استمر القصف ولكن بدون ان يرد الداو علينا ••• الساعة الثامنة ، توقف اطلاق النار ، ويبدو ان الداوات قد اغرقت ••• الساعة ٩ اتجهنا الى (سلف) ••• »[2].

---

(١) تألفت هذه العمارة من (نيريد Nereide ذات ٣٦ مدفعا) و (سافير Sapphire) و (سلف) • Morier, op. cit., p. 43; Miles, op. cit. p. 314.

(٢) Quoted in; Morier, op. cit., Footnote on, p. 46. يتفق عدد من المؤرخين على نجاح (نيريد) في اغراق السفينتين القاسميتين Ibid, p. 44; Brydges, op. cit., Vol. II, pp. 36-7; Moyse-Bartlett, op. cit., pp. 38-41.

ومن الجدير بالذكر ان كيلي يقع في التباس بتسجيله لهذه =

ولكن كلا من بكنغهام ولو يؤكدان ان المطاردة لم تسفر عن ايــة نتيجة ، بسبب سرعة ابحار سفن القواسم ، « اعتقد آنذاك ان (نيريد) قد أغرقت احدى سفن القواسم بقصفها ، ولكن ظهر فيما بعد ان ذلك غير صحيح »[1] . على ان القواسم قاموا في خلال اسرهم لـ (سلف) باعدام ستة وعشرين من البحارة معظمهم من الهنود[2] .

حاول القواسم بعد ثلاثة ايام من ذلك الحادث اسر سفينة الشركة الحربية (نوتيلوس Nautilus ذات ١٤ مدفعا) ، اثناء مرورها قرب جزيرة طمب الكبرى ، بنفس الاسلوب ، ولكنهم اخفقوا في ذلك[3] .

ادى الهجوم على (سلف) بتلك الطريقة الجريئة والعنيفة الى رد فعل سريع لدى السلطات الهندية . فبادر دنكان ، حاكم بومباي ، في ١١ تشرين الثاني ، الى اصدار اوامره الى السـفينة الحـربية (تـايگنماوث Teignmouth ذات ١٦ مدفعا) بالتوجه الى الخليج من اجل « تطهيره من مسقط فصاعدا حتى بوشهر ، وان تقوم باسر وتدمير كل سفينة قاسمية تلتقي بها ، حتى يكون زعيمهم اكثر ادراكا لعواقب اعتداءاتهم ، واجباره

= الحادثة . فيقول ان (سلف) هوجمت اثناء عودتها من بوشهر .. في حين ان الثابت انها لم تصل لذلك الميناء (Kelly, op. cit., p. 112) . اما فلرز فيقع في خطأ بذكره ان القواسم نجحوا في الاحتفاظ بسلف حيث اصبح احدى قطع اسطولهـم . (Villiers, Monsoon Seas, p. 213) .

(١) Buckingham, op. cit., Vol. 11, p. 231; Low, op. cit., Vol. 1, pp. 321-2.

(٢) انظر تقرير الكابتن كوربت الى أميرال البحرية في Kelly, op. cit., p. 113: اما موريبر وهويد فيحددان عدد الذين اعدموا من بحارة سلف باثنين وعشرين رجلا : Morier, op. cit., pp. 45-6; Heude, op. cit., pp. 37-8.

(٣) Morier, op. cit., p. 43; Low, op. cit., 1, p. 322.

على اعادة السلام ..»[1] . ولكن (تايگنماوث) لم تبحر ، وأبقيت خشية ان يقرر مالكولم عند عودته من ككلتا حاجته اليها .

كان لاتساع عمليات القواسم البحرية قرب السواحل الهندية ، تأثير سلبي على التجارة في تلك الارجاء ، وقد دفع هذا الامر بثلاثين تاجرا بارزاً من البارسيين والكجراتيين ، في بومباي ، الى تقديم التماس لحاكم بومباي في اواخر سنة ١٨٠٨ ، يطالبون فيه باتخاذ اجراء فعال ضد القواسم ، ومعلنين بانهم سيجدون انفسهم مجبرين على ترك التجارة اذا استمر ضغط هؤلاء عليهم[2] . وبناء على ذلك اصدر دنكان تعليماتـه الى المشرف على البحرية الهندية من اجل « اعداد افضل القوات التي تحت امرتـه ، على الفور ، لتطهير السواحل الى الشمال من بومباي ، من القراصنة ، واحراق وتدمير اكبر عدد ممكن من سفنهم »[3] . كما قرر الحاكم العام اتخاذ اجراء سريع لمساعدة حكومة مسقط لمواجهة القواسم . فصدرت الاوامر من كلكتا في اواخـر نيسان ١٨٠٩ الى الفرقاطـة (كورنواليس Cornwallis) وفرقاطة اخرى بالتمركز بالقرب من رأس مسـندم ، لاعتراض السـفن القاسمية . ونجحت هاتان السفينتان في اسر عدد من السفن المعادية ، التي ارسلت الى بومباي ، حيث اطلق سراحها فيما بعد[4] .

لم يكن بمقدور حاكم بومباي في ذلك الوقت ، القيام باجراء حاسم في الخـليج قبل وصول مالكولم من كلكتا ، الـذي اوكل اليه اللـورد منتو بالاشراف على المصالح البريطانية في الخليج . ولكن مالكولم كان منشغلا الى درجة كلية بعملية خارج ، ولذلك فقد كانت احدى مطالبه الاولى ، لدى وصوله الى بومباي ، وجوب زيادة القوة التي تحشدت للعملية . والاقتراح

---

(١) Kelly, op. cit., p. 114.

(٢) Ibid.

(٣) Quoted in: Ibid.

(٤) Miles, op. cit., pp. 314-15.

الوحيد الذي قدمه فيما يختص بالخليج ، هو وجوب عودة ستون[١] الى مسقط لتسلم المقيمية[٢] •

وصل ستون الى مسقط في اوائـل كانون الثاني ١٨٠٩ ، ليجـد بأن القواسم قد اصبحوا قوة خطيرة في خطوط الملاحة البحرية • فقد قدرت التقارير البريطانية قوة الاسطول القاسمي في هذه الفترة بـ : ثلاث وستين سفينة كبيرة وثمانمائة وعشـر سفن اصغر حجما ، يحمل على متنه ثمانية عشر الف وسبعمائة رجل[٣] • وقد كان الامر الخطير الذي اقلق السلطات البريطانية ، مطالبة زعيم القواسم ، حسين بن علي ، حكومة بومباي بدفـع اتاوة من اجـل السماح للسفن البريطانية بالمـرور بالخليج بحريـة[٤] • ويعلق هاولي على هذه النقطة بقوله[٥] :

« ان طلب القواسم من السفن البريطانية المارة بالخليج بدفع الرسوم ،

(١) جرى سحب ستون في مايس ١٨٠٨ ، بعد وصوله باسابيع قليلة الى مسقط ، ليذهب بمهمة الى السند فظلت المقيمية البريطانية هناك شاغرة •
(Kelly, op. cit., p. 110; Miles, op. cit., p. 315).

(٢) Kelly, op. cit., p. 114.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 5, 20th Jan., 1819.

وترد أرقام متقاربة في عدد من المصادر الاخرى ، انظر :

Low, 1, p. 324; Miles, op. cit., p. 312, Morier, op. cit., pp. 372-3; Curzon, op. cit., Vol. II, p. 449; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 643; Kelly, op. cit., p. 115; Coupland, op. cit., p.143.

(٤) Low, op. cit. Vol. 1, p. 323; Curzon, op. cit., II, p. 449; Kelly, op. cit., p. 115; Villiers, Monsoon Seas p. 212; Morier, op. cit., p. 373.

(٥) Hawley, op. cit., p. 117.

تظهر بانهم كانوا مدركين لقوة موقعهم • وهذا الطلب يوضح بان القواسم كانوا اكثر اهتماما في الحصول على جانب من الثروة والتجارة المتزايدة مع الهند ، مما كانوا بالقرصنة ••• » •

اخذ ستون منذ وصوله مسقط في اوائل ١٨٠٩ يلح بضرورة التدخل البريطاني في الخليج • وكانت رسائلـه الرسمية الموجهـة الى الجنرال مالكولم ، الذي اصبح لديه الآن وقت يوفره لقضايا الخليج بعد ان صرف النظر عن عملية خارج ، تستحثه على التدخل السـريع من اجل اسـناد حكومة مسقط في مقاومة القواسم وتأمين حرية الملاحة في هذه المياه[١] • ايد مالكولم وجهة نظر ستون في خطورة الحالة ، وفي اوائل مارت ١٨٠٩ ، عرض مالكولم على الحاكم العام ، ضرورة القيام بحملـة عسكريـة لكبح القواسم ، طالبا موافقته على ذلك[٢] • وقد مر بنا في الفصل الثالث ، ان الحاكم العـام وافق على توصية مالكولم تلـك ، وفي أوائل نيسان ، أصدر اوامره الى دنكان ، حاكم بومباي بالاعداد لحملة عسكرية تغلب عليها الصفة البحرية للقيام بعمليات ضد القواسم •

كانت تعليمات الحاكم العام يشوبها الحذر الى درجة كبيرة ، اذ اكد على اقتصار العمليات الحربية على البحر ، وان لا تنقل الى البر « الا اذا وجد ان الضرورة الملحة ، في سبيل تدمير السفن القرصنية او استعادة بعض موانىء (امام) مسـقط والتي هي بيد القواسم ، تتطلب ذلك ••• »[٣] • وأكد على وجوب « عدم استخدام الجنود وبحارة السفن في عمليات حربية على الساحل ، ضد أية قوات برية وهابية »[٤] • ان موقف الحاكم العام

---

(١) [I.O] Precis of Nejd, p. 6; Kelly, op. cit., p. 115.

(٢) Ibid; Ibid.

(٣) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 46.

(٤) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 115.

هذا ، يدل على عدم رغبته في استثارة الامير الوهابي ، الذي كان آنذاك يسيطر على معظم الجزيرة العربية • وقد أدى هذا الموقف المتردد ، وتقييد حرية قادة الحملة البريطانية في التصرف ، الى ان تكون عمليات الحملة غير حاسمة[١] •

الحملة البريطانية على موانيء القواسم في ١٨٠٩ :

قوات الحملة وتعليمات حكومة بومباي لقائديها :

انتهت اجراءات تنظيم قوات الحملة في حزيران ، ولكن تقرر التريث حتى حلول فصل الخريف موعدا لاقلاعها ، لحين انتهـاء الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، التي توشك على الهبوب فوق القسم الغربي من المحيط الهندي ، والتي كانت ستؤخر سرعة الابحار لمدة حوالي الشهر على الاقل• كما تقرر بذل الجهود للحصول على معلومات أوفى عن قواعـد القواسم وقوتهم البحرية والعسكرية ، وان يحـافظ على سريـة وجهة الحملـة للاحتفاظ بعنصر المباغتة[٢] • ومن الاجراءات التي اتخذتها سلطات بومباي في هذا الوقت ، منع تصدير الخشب من ساحل مالبار الى الخليج[٣] ، لمنع القواسم من بناء المزيد من السفن[٤] •

استعدت الحملة للابحار في الاسبوع الاول من ايلول • وقد تألفت

(١) [I.O.] Precis of Nejd, p. 7.

(٢) Kelly, op. cit., p. 116.

(٣) كانت ألواح الهياكل للسفن العربية تصنع من خشب الساج او النارجيل (الجوز الهندي) ، ويستورد هذان النوعان منـذ العصور القديمة من سواحل الهند وجزرها ، « ويكاد كل الخشب يأتي من هذين المصدرين» (Hourani, op. cit., pp. 89-90).

(٤) Kelly, op. cit., p. 116.

قوتها البحرية من : فرقاطات البحرية الملكية (H.M.S.) (لاشيفون Lachiffone ذات ٣٦ مدفعا)[١] و (كارولين Caroline ذات ٣٦ مدفعا) ، ومن طرادات الشركة : (مورنكتون Mornington – ٢٢) ، (تايكنماوث Teignmouth – ١٦) ، (ترنيت Ternate – ١٦) ، (نوتيلوس Nautilus – ١٤) ، (اوروا Aurora – ١٤) ، فستال Vitsal – ١٠) ، (أريال Ariel – ١٠) ، (فيوري Fury – ١٠) ، (ميركري Murcury – ١٤) و (برنس اوف ويلز Prince of Walse – ١٤) ، ومن حاملة المعدات الحربية من قذائف وقنابل (سترومبولي Stromboli)[٢] وعهد بقيادة تلك القوة البحرية للكابتن جون وينرايت Capt. J. Wainwright قبطان (لاشيفون) •

اما قوات الحملة العسكرية ، والتي كانت بقيادة الكولونيل ليونيل سمث ، من الكتيبة الخامسة والستين ، فانها تشكلت من كتائب من الفرق الملكية السابعة والاربعين والخامسة والستين ، ومن مدفعية بومباي ومن الكتيبة الثانية ومشاة بومباي ، ومن كتيبة بومباي البحرية • وبلغ عدد افرادها اربعة وخمسين ضابطا وألفاً وثلثمائة واربعة جنود ، اكثر من نصفهم من الاوربين[٣] • وحملت القوات العسكرية هذه على متن اربع سفن نقل

---

(١) فرقاطة فرنسية بالاصل اسرتها الفرقاطة الانكليزية (سبيل Sybille) في سنة ١٨٠٠ حينما كانت راسية بالقرب من ميناء (ماهي Mahe)

(Moyse-Bartlett, op. cit., p. 46).

(٢) Low, op. cit., Vol. I, 325; Kelly, op. cit., p. 116
Moyse-Bartlett, op. cit., p. 46.

(٣) Kelly, op. cit., p. 116.

كبيرة ، هي : (منيرفا Minerva)[١] ، (فريندشب Friendship) ،

(دنكان Duncan) و (ماري Mary)[٢] • ولعل من المفيد ان نذكر

هنا ، ان الدكتور العقاد يقول بأن هذه الحملة كانت تتألف من ثلاث سفن

حربية وثلاث اخرى لنقل المعدات[٣] ! •

اصدرت حكومة بومباي تعليماتها لقائدي الحملة وينرايت وسمث في

٧ أيلول ١٨٠٩)[٤] • وقد اعتبرت هذه التعليمات ميناء رأس الخيمة نقطة

(١) هي غير السفينة التجارية التي تحمل نفس الاسم والتي أسرها القواسم في ١٨٠٨ •

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 48.

(٣) الاستعمار في الخليج ، ص٧٦ •

(٤) يرجع تأخر دنكان ، حاكم بومباي في صياغة هذه التعليمات وتحديد امتداد عمليات الحملة الى افتقار السلطات الهندية الى معلومات دقيقة عن ساحل القواسم ، بل الى كل الساحل الغربي من الخليج • حيث لم تكن هناك خارطة وافية للخليج حتى نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر • وقد جرت محاولة لمسح الساحل الشمالي الشرقي من الخليج في سنة ١٨٧٥ من قبل الملازم ماكلور Mccluer ، من بحرية بومباي• ولكن نشاط القرصنة ، جعل القيام بمسح دقيق غير وارد • ولذلك وجه ماكلور همه الى الساحل الشمالي ، وبذل كل جهده لتحديد الاجزاء البارزة والجزر الواقعة على طول طريق الملاحة الرئيس • وفي خلال ثلاث سنوات تم مسح ٥٠٠ ميل من الساحل الشرقي ومنطقة شط العرب حتى البصرة (Graham, op. cit., pp. 226-7) . أما بالنسبة الى الساحل الغربي ، فقد تم مسح جزء من ساحل عمان ، الممتد من مسقط الى رأس الحد في سنة ١٧٧٢ • أما بقية هذا الساحل ، فلم يكن البحارة الاوربيون يعرفون عنه شيئا • وكان خط الملاحة الرئيس في الخليج يسير بمحاذاة الساحل الشرقي (Kelly, op. cit., p. 60) ولم يتم مسح هذه المناطق الا بعد حملة ١٨١٩ •

البؤرة في الهجوم ؛ فكان على القادة التوجه رأسا اليها للقيام « بحرق وتدمير كل السفن والزوارق التي يعثر عليها في ذلك الميناء ... وان لا تستخدم القوات العسكرية على الساحل الا بالقدر الذي يحقق ذلك الهدف »[1] . كما يجب « ان يتم تدمير القوارب ، فيما اذا سنحت الفرصة ، في الموانىء الاخرى المجاورة لرأس الخيمة ، من رامس الى أبو ظبي »[2] . وبالاضافة الى تلك الموانىء الواقعة على الجانب الغربي ، فان التعليمات لم تهمل الموانىء التي يسيطر عليها القواسم في الجانب الشرقي من الخليج، وهي لنجة ولافت في جزيرة قشم . وبالنسبة للميناء الاخير ، فان التعليمات صدرت الى بروس ، الذي كان مقيما في مسقط من أجل « تأمين مساعدة (امام) مسقط لتدمير كافة المعدات البحرية للقواسم في ذلك الميناء » . وكان على قائدي الحملة في مهاجمتهم للنجة او اي منطقة اخرى على الساحل الشرقي من الخليج محاولة التوصل الى تنسيق مع الحكومة الفارسية . ولكن :

« وفي أية حال ، لا ترددوا في الشروع بتدمير المعدات البحرية للقراصنة، اذا تأكدتم من وجودها، مع الاحتراس بأن يتم ذلك دون المساس باحترام حق جلالة ملك ايران حليفنا الحالي ، وان يتم شرح المبررات التي دفعتنا الى ذلك لموظفيه ، اذا ما قادت الاحداث الى اتصالكم بهم ؛ ان هدف الحكومة البريطانية لا يتعدى القضاء على هجمات القواسم ... وان الحكومة البريطانية ليس لها ادنى نية في احتلال أي جزء من هذه المناطق ، ولا التحرش او ازعاج أي من رعايا جلالته .. وستزودون برسالة من الحاكم الى أمير شيراز ، ويترك لكم أمر ايصالها او التصرف بها وفق ما تتطلبه الظروف »[3] .

---

(١) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 46

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, pp. 46-7.

ونبهت التعليمات قادة الحملة الى اجراء مثل ذلك الاتصال مع السلطات العثمانية لتأمين التعاون معها « ومن المرغوب فيه كليا ، عرض نوايانا الطيبة نحو الحكومة التركية في خلال سير عملياتكم الحربية »[1] • وحذرت التعليمات من استفزاز الامير الوهابي « ان عليكم في كافة الأحوال ان تتنصلوا من اية نية عدائية تجاه القوة الوهابية » • ولم تقتصر التعليمات على توجيه العمليات الحربية ، بل خططت للاجراءات التي تعقبها • فبعد اتمام « التدمير الكلي لسفنهم [القواسم] » ، فان من المرغوب فيه :

« ان يتم التوصل الى عقد معاهدة رسمية معهم ، يتعهدون فيها بتصرفهم انسلمي وتخليهم عن القرصنة ••• وان عليكم ان تتصرفوا تجاههم وتتعاملوا معهم على أساس انهم دولة مستقلة ، كما كان الحال في مناسبة توقيع المعاهدة التي عقدها ستون • فمع انهم كانوا آنذاك خاضعين لسلطة الامير الوهابي ، لكنه لم يجد من الضروري اقحام نفسه ظاهريا في تلك الاجراءات »[2] •

وعلى القائدين القيام بمسح دقيق للمنطقة التي يستوطنها القواسم و « تمشيط ورسم خرائط للسواحل والخلجان والمناطق التي بحوزتهم » • وان يتم اعلام حكومة بومباي عن : « افضل جزيرة مجاورة للموانىء القاسمية يكون من الافضل لنا الاستيلاء عليها ، لاتخاذها محطة بحرية تكون مفضلة على مسقط ، من وجهة التحكم الفعال في مدخل الخليج ، والوقوف بوجه الاعتداءات التي يمكن ان تقع في المستقبل من جانب القراصنة ، مع تقديراتكم عن القوة التي ستكون ضرورية للوقوف لا ضد القوى المحلية في الخليج فحسب ، ولكن تجاه مثل تلك القوى الاوربية

---

(١) [I.O] Precis of Correspondence, p. 47.

(٢) Ibid.

التي تزور ذلك القطاع بالمناسبات ايضا »[1] .

وفي نفس اليوم الـذي صدرت فيه تعليمات حكومة بومباي لقائدي الحملة ، ارسل حاكم بومباي تعليماته الى المستر بونس W.C. Bunce المقيم المعين الجديد في مسقط . وتضمنت هذه التعليمات ان يسـعى المقيم لدى سعيد من اجل تنسيق العمل بينه وبين قوات الحملة . وان يسعى الى اقناعه بـ « قيام قوات مسقط بالهجوم على الموانيء القرصنية الواقعـة في الجهة الشرقية م ن مسندم ، في الوقت الذي تكون فيه قواتنا مشتبكة بالغرب . اذ ان مثل هذه الحركة حتى في حالة فشلها او عدم تواصلها بنشاط ، فانها على الاقل ستؤدي الى تحول كبير لصالحنا »[2] .

وان يحاول المقيم تأمين الحصول على مرافق للحملة ، خبير بالمنطقة يمثل سعيداً من اجل ان « يقدم معلوماته فيما يتعلق بالموانيء والامكنة التي تعود للامام » وان لا يغادر المقيم مسقط ، لتلبية « اية مطالب قد يتقدم بهـا قادة الحملة ... وان يقدم تقاريره عن أية تغيرات قد تحصل بين القوى المحلية على جانبي الخليج »[3] . وفي رسالة دنكان الى السيد سعيد بهذه المناسبة ، حاول أن يظهر بأن غرض الحملة هي لمساعدة حكومة مسقط في صراعها مع القواسم، حيث قال[4]: « انني اعتمد بكل ثقة على سموكم بتقديم كل المساعدات الممكنة لرجال الحملة ، التي هي في الحقيقة قامت اساسا بناءً على طلب سموكم » .

ان ابرز ما يمكن ملاحظته من هذه التعليمات ، ان نية البريطانيين كانت

---

(١) [I.O.] Precis of Correspondence, pp. 47-8.

(٢) Ibid, p. 48.

(٣) Ibid, pp. 48-9.

(٤) Quoted in: Coupland, op. cit., p. 143.

مبيتة لتدمير القوة البحرية للقواسم ، وهي عنصر قوتهم الاساسي ، ذلك ان من ابرز جوانب التعليمات ، ان يحاول القائدان التوصل الى عقد معاهدة مع القواسم بعد ان يتم تدمير كافة اجهزتهم البحرية في موانئهم والموانىء الحليفة معهم ، وبذلك فانها ستكون معاهدة فرض شروط استسلام لا معاهدة بين طرفين متكافئين • كما ان فيها خطة صريحة لعزل القواسم عن الوهابيين لكي يسهل ضربهم من ناحية ومحاولة عدم ايصال العلاقات البريطانية ـ الوهابية الى مستوى العداء السافر ، وما سيتركه ذلك على المصالح البريطانية في المنطقة من خطر كبير • ولكن الناحية الاخيرة هذه ، اي محاولة تحطيم القواسم، وفي الوقت نفسه الابتعاد عن استثارة الامير الوهابي، كان لها دور كبير في عدم تمكن الحملة من تحقيق الاهداف التي رسمتها حكومة بومباي ، او التوصل الى نتائج حاسمة ضد القوة القاسمية •

سير الحملة وحوادثها :

ابحرت الحملة من بومباي في ١٤ أيلول ١٨٠٩ ، وقد واجهت بعض المصاعب منذ البداية • فقبل مغادرتها بشهر ، وصل خبر موت الكابتن ستون[١] ، بسبب مناخ مسقط القاسي ، وبذلك فقد القادة خبراته الواسعة ومعلوماته في سياسات الخليج[٢] • ولم تمض أربع وعشرين ساعة على ابحارها حتى غرقت حاملة الذخيرة والمدفعية (سترومبولي) ، اذ سقط قاعها وغطست مغرقة معها ضابطين وأربعة عشر بحارا وجزءا كبيرا من الذخيرة[٣] • وقد كان لخسارتها اثر محسوس في عملية الهجوم على رأس

---

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 645.

(٢) Kelly, op. cit., p. 117.

(٣) Lbid; Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 234-5; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 645-6.

ان ارسال هذه السفينة بحمولتها الثقيلة في هذه المهمة ، يدل =

الخيمة ، نظرا الى ان غطسها القليل كان سيساعدها على التقدم في المياه الضحلة اكثر من بقية السفن ، ولتهيأ للبريطانيين قصف رأس الخيمة من البحر بصورة اكثر فاعلية •

أرسل وينرايت ، في ٣ تشرين الاول ، ثلاث طرادات الى شاطىء مكران وثنتين الى مسقط ، مع تعليمات الى قبطان الفرقاطة (كارولين) بوجوب ملاقاة الاسطول على مقربة من رأس مسندام[١] • بحيث يشن الهجوم على رأس الخيمة بدون انذار[٢] • وبعد ذلك باسبوعين ، كان الاسطول لا يزال على بعد ١٥٠ ميلا شرقي مسقط ، ولم تكن (كارولين) قد وصلت بعد من أعلى الخليج • دفع ذلك ، بالاضافة الى حاجة الاسطول الى الماء بوينرايت الى ان يقرر التوجه الى مسقط اولا ، حتى لو أدى ذلك الى اضعاف سرية الحملة[٣] •

وصل الاسطول مسقط في ٢٣ تشرين الاول ، وعقد على الاثر اجتماع بين قائدي الحملة وسيد سعيد • وقد وجد القائدان البريطانيان حاكم مسقط غير متحمس للحملة ومتشائما من امكانات نجاحها وعبر عن

= على ان حكومة بومباي أرادت تحشيد كل ما تحت يدها من امكانيات لضرب القواسم • ذلك انه « مرت فترة طويلة كانت فيها (سترومبولي) تعتبر غير صالحة للخدمة ، ولمدة ثلاث سنوات ظلت راسية كبطرية عائمة »
(Low, op. cit., Vol. I, p. 326)

(١) كانت (كارولين) وأربع من طرادات الشركة مع مفرزة من ثمانين جنديا في الخليج فعلا عند مغادرة الحملة لبومباي • وذلك كاجراء احتياطي من اجل مساعدة حكومة مسقط عند الضرورة . (Kelly, op. cit., p. 116)

(٢) Ibid, p. 117.

(٣) Ibid, pp. 117-18; Moyse-Bartlett, op. cit., pp. 48-9.

رأيه بالقول : « ان مشروع الهجوم على رأس الخيمة بمثل هـذه القوة ، عمل غير حكيم »[١] واضاف ان الامر يتطلب قوة من عشرة آلاف جندي على الأقل لدحر عاصمة القواسم[٢] • كما ان مدافع الفرقاطات لن تكون مجدية في تدمير تحصيناتها ، بسبب ضحالة الماء عندها وعدم تمكن السفن من الاقتراب الى مدى قريب منها[٣] • ولذلك فانه لم يبد في هذه المرحلة ، عرضا للتعاون مع الحملة ، ولكنه قدم بحارة مرشـدين وزوارق صغـيرة للانزال[٤] •

معركة رأس الخيمة :

غادر الاسطول مسقط في بداية تشرين الثاني ، وفي خـلال هـذا الوقت ، وصلت (كارولين) من أعلى الخليج ، كما التحقت بها الطرادات ، التي غادرت في وقت مبكر ، على مقربة من رأس مسندم[٥] •

وبعد ظهر يوم الحادي عشـر من تشرين الثاني ، كانت كل قـوات الحملة على مقربة من رأس الخيمة • و « المقاومة الضارية التي واجهتها القـوات البريطانية ، لم تخيب **شـهرة القواسم بالشجاعة والدهاء »**[٦] • وقد وجد القائدان بأن سعيداً كان على حق في قوله بعدم تمكن الفرقاطات من الاقتراب الى اكثر من مسافة أربعة اميـال من المدينة ، وان الطـرادات

(١) Quoted in: Low, op. cit., Vol. 1, p. 326.

(٢) Kelly, op. cit., p. 118; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 49.

(٣) Kelly, op. cit., p. 118.

(٤) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 646.

(٥) Kelly, op. cit., p. 118.

(٦) Low, op. cit., Vol. I, p. 326.



"The Troops landing at Ras al Khaima." Sunrise, November 13, 1809.
From *Sixteen Views of Places in the Persian Gulf*, by R. Temple, W. Haines, 1813.

انزال القوات البريطانية عند رأس الخيمة ٠ فجر يوم ١٣
تشرين الاول ١٨٠٩ ٠

وسفن النقل لن تستطيع الاقتراب اكثر من ميلين[١] .

بدأت القوات البريطانية العمليات الحربية في فجر اليوم التالي ، ١٢ تشرين الثاني . وكانت اول هذه العمليات ، محاولة استعادة السفينة الأسيرة (منيرفا) . فقد شوهدت هذه السفينة تحاول الدخول الى المينـاء مبتعدة عن سفن الحملة ، ولكن الجزر حال دون تمكنها من المرور ، فرست بالقرب من حصن صغير يبعد حوالي الميل جنوب المدينة . فهاجمتها السفن البريطانية الصغيرة وقوارب المدفعية ، مما اجبر بحارتها من القواسم على الانسحاب منها الى الشاطيء ، فتمكن المهاجمون من الاستيلاء عليها . ولكن النيران الكثيفة التي انطلقت من الساحل ، اجبرت المهاجمين على التخلي عنها ، فتركوها بعد ان اشعلوا فيها النيران . وفي هذه العملية خسر الانكليز قتيلين وعدداً من الجرحى[٢] . يعلق شاهد عيان على تلك العملية قائلا[٣] :

« ان المقاومة العنيفة التي واجهتنا من الساحل ، والنيران المتواصلة والمصوبة بدقة ، التي حالت دون الاستيلاء على (منيرفا) ، اظهرت لنا بأننا نواجه عدوا لم نعطه قيمته الكافية . يضاف الى ذلك اننا اكتشفنا في هذا الوقت عدم تمكن الفرقاطات من الاقتراب ، وفقداننا سفينة القنابل الوحيدة [سترومبولي] ، مما جعل المشهد يبدو لنا كئيباً تماما » .

في خلال ذلك ، اخذ الاسطول بقصف المدينة ، ويقول الكابتن وينرايت[٤] :

« على الرغم من القصف المتواصل والكثيف لمدة ثلاث ساعات فان

---

(١) Ibid, p. 327; Kelly, op. cit., p. 118.

(٢) Low, op. cit., I, pp. 326-7, Lorimer, 1A, p. 646.

(٣) Quoted in: Low, op. cit., p. 327.

(٤) Quoted in: Ibid.

السكان ، من مواقع بطرياتهم ومتاريسهم المبثة امام المدينة ، واصلوا اطلاق النار ببرود ودقة جيدة ، مما أحدث لنا خسائر كبيرة » •

أمر القادة زوارق الانزال بالاستعداد لنقل الجنود ، في الساعة الثانية من فجر اليوم التالي ، كما أصدروا أوامرهم الى زورقي مدفعية بالتوجه نحو مدخل الخليج الصغير ، الذي يفصل شبه الجزيرة عن البر الذي تقوم عليه رأس الخيمة[١] ، للقيام بمناورة تمويه على القواسم • ومع بواكير الفجر ، أخذ الزورقان باطلاق مدافعهما بكثافة على النهاية الشمالية من المدينة ، مما أوهم القواسم بأن العدو يحاول الهجوم من هذه الناحية • فتحول انتباههم الى تلك الجهة ، وردوا بنيران كثيفة[٢]• بعد نصف ساعة من هذه التظاهرة العسكرية ، تم انزال القوة الرئيسة ، المؤلفة من جنود الفرق الملكية السابعة والاربعين والخامسة والستين وكتيبة مشاة بحرية ، في النهاية الأخرى من المدينة • وتقدمت القوات من قاعدة شبه الجزيرة ، عبر الارض الرملية نحو تحصينات القواسم • فنجحت في السيطرة على جانب من السور الخارجي وابراجه وعلى عدد قليل من الابنية المجاورة[٣] • انتبه القواسم ، ولكن بعد فوات الاوان ، على تقدم العدو ، فحولوا نيرانهم نحوه « ولما ظهر بأن ذلك لم يوقف تقدم المهاجمين ، اندفعوا بجرأة الى الساحل والسيوف مشـرعة بأيديهم لمقـاومة الانزال »[٤] • ولكن اندفاعهم أوقف بفعل النـيران التي أطلقتها زوارق المدفعية[٥] • استحكم البريطانيون في مواقعهم ، في نفس الوقت الذي تم فيه انزال مدافع الميدان والذخيرة من الاسطول • أخذت

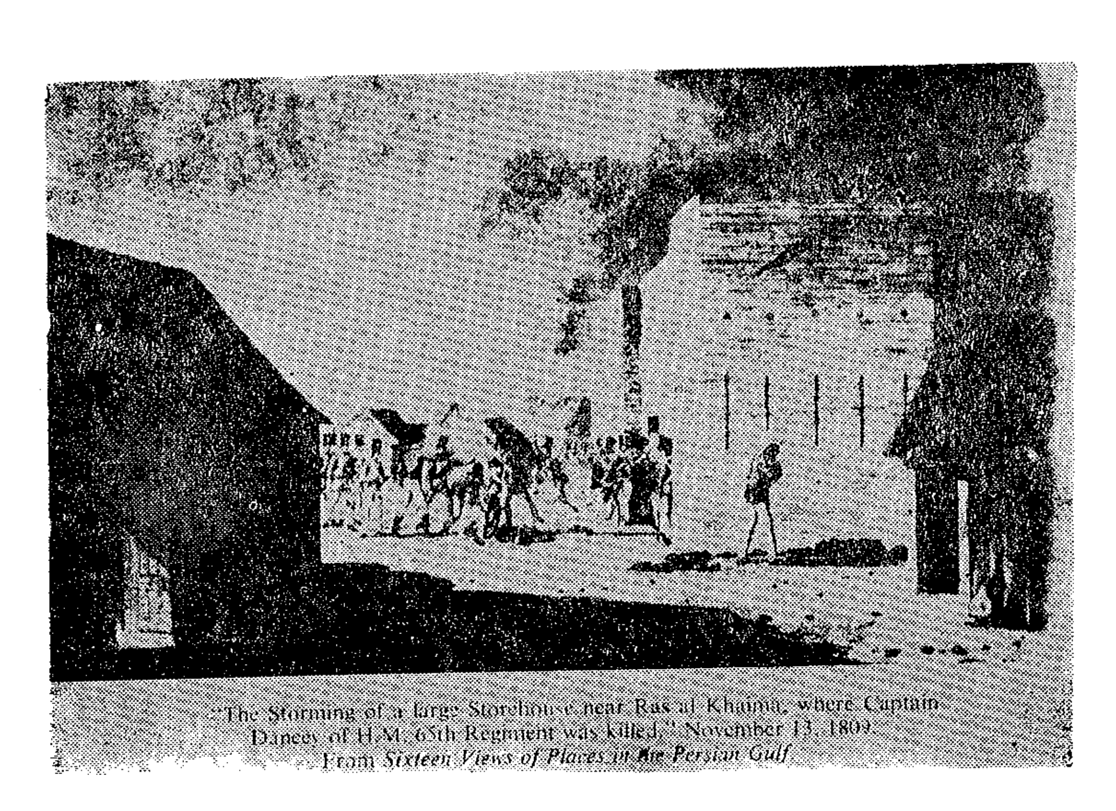
(١) أنظر وصف المدينة في أعلاه ص ٨١ـ٨٣ •

(٢) Low, op. cit., Vol. I, p. 328; Kelly, op. cit., p. 118.

(٣) Low, op. cit., Vol. I, p. 328; Kelly, op. cit., p. 118.

(٤) Low, op. cit., p. 328.

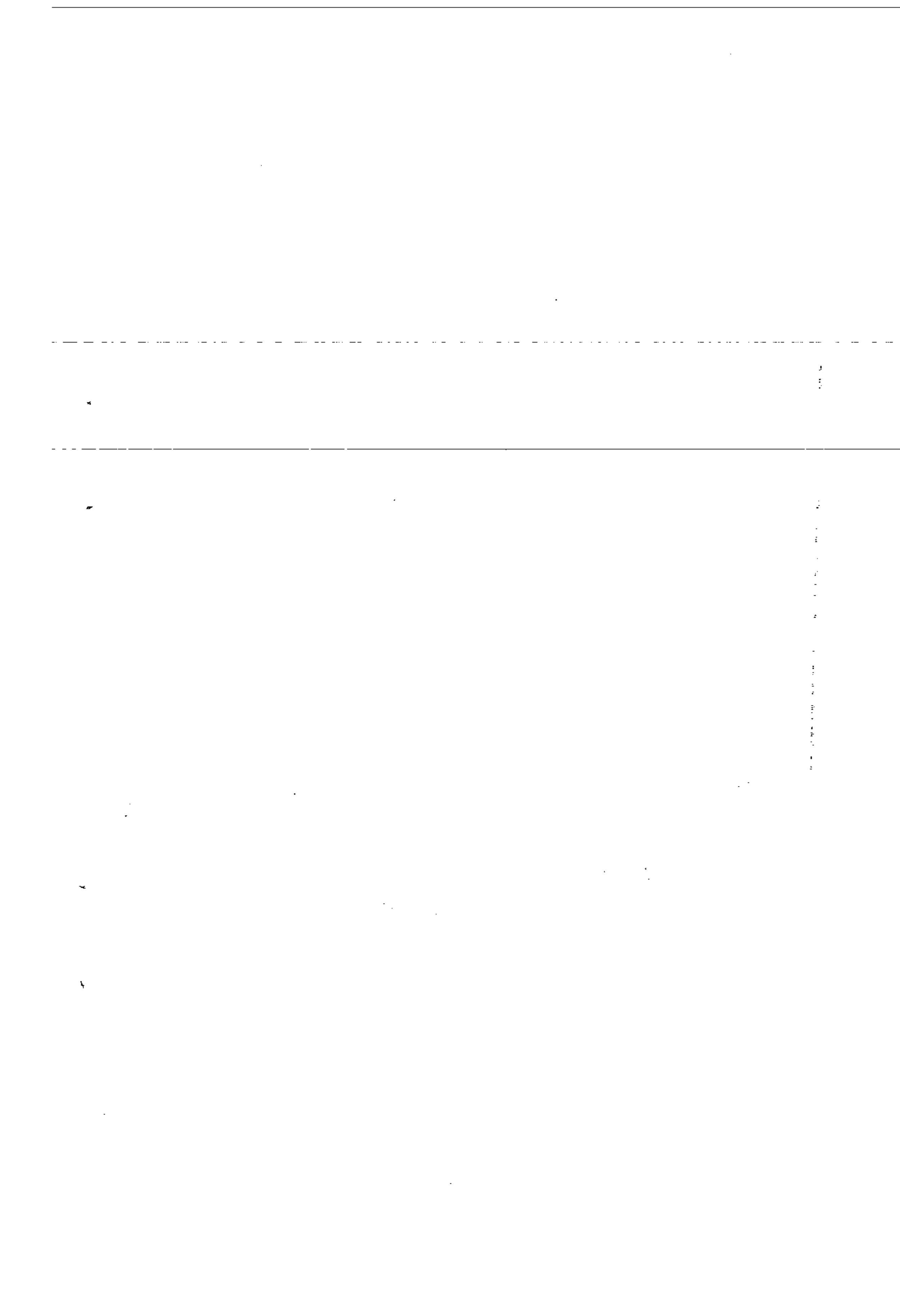
(٥) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 646.



"The Storming of a large Storehouse near Ras al Khaima, where Captain
Dancey of H.M. 65th Regiment was killed," November 13, 1809.
From *Sixteen Views of Places in the Persian Gulf*

الهجوم على مستودع كبير بالقرب من رأس الخيمة

١٣ تشرين الاول ١٨٠٩



مدافع المهاجمين بالقصف من نقاط قريبة من المدينة ، تعززها نيران المدافع التي واصلت الطرادات اطلاقها • وجد القائدان بعد دراسة الموقف ، ان المقاومة الضارية التي تواجههم ، تجعل تحقيق نتيجة حاسمة بهـذه الطريقة يستغرق وقتا طويلا ، بخاصة وان القواسم قد حولوا كل بيت الى متراس[١] • لذا قرر القادة احراق الأكواخ الواقعة بين تلك البيوت التي « كانت عبارة عن حصون متفرقة » • وقد ساعد هبوب الرياح من الجهة التي كان فيها الانزال ناجحـا ، في تأجيج النـيران حتى « اصبحت البيوت مغلفة بألسنة اللهب »[٢] • وبالتدريج أجبرت النيران والدخان الكثيف القواسـم على التخلي عن مواقعهـم والانسحاب من مركز المدينة الى نهايتهـا الشمالية • وكانت الساعة تشير الى الثانية بعد الظهر ، قبل ان ينجح البريطانيون في شق طريقهم الى قلب المدينة ، حيث يقوم قصر الشيخ الخالي ، في حين واصل القواسم مقاومتهم في النهاية الشمالية ، بينما انسحب غير المقاتلين من السكان عبر الميناء بواسطة القوارب الى البر الرئيس[٣] •

(١) في الواقع ان البريطانيين واجهوا « أشد انواع المقاومة عنادا وشجاعة من رجال بعض هذه البيوت • وعلى سبيل المثال ، ظل رجال احد البيوت الكبيرة يدافعون عنه ، حتى بعد ان دمر المهاجمون سقفه ورموا بداخله عدة قنابل يدوية ، من ثقوب بجدرانه أحدثوها بحرابهم ، وأخيرا اندفع القواسم منه الى الخارج بمحاولة باسلة ولكنها مستميتة لشق طريقهم وسط الجنود المحيطين به » Low, op. cit., Vol. 1, p. 329.

(٢) Ibid ويقول ابن بشر وفلبي عن عملية الحرق هـذه ان الانكليز استخدموا مرايا لعكس اشعة الشمس على الاكواخ مما ادى الى اشعال النار فيها • انظر : ابن بشر ، المصدر السابق، جـ١ ، ص١٤١ Philby, Saudi Arabia, p. 114

(٣) Low, op. cit., Vol. I, p. 329; Lorimer, op. cit. Vol. 1A, p. 647; Moyse-Bartlett, op. cit. p. 51

أما كيلي فيقول ان القوات البريطانية نجحت في السيطرة على المدينة في الساعة العاشرة ق • ظ (Kelly, op. cit., p. 188)

تختلف المصادر حول ما اذا قامت القوات البريطانية بعملية نهب عامة في المدينة المقهورة او لا ؟ فهناك طائفة تؤكد على وقوع ذلك الأمر • يقول بكنغهام « صدر الامر باحراق عام للمدينة وسمح للجنود بالنهب العام »[١] ، ويؤكد ملبورن رأي بكنغهام فيقول[٢] « اوقع [الانكليز] كل انواع الأذى بالابنية ••• وقامت عملية نهب كبيرة في المدينة ، وقيل ان احد الجنود غنم ١٫٤٠٠ مهر ذهبي »[٣] • ويؤيد ذلك ابن بشر وصاحب لمع الشهاب ، فيقول الاول : « فدخلوا البلد واستباحوها ونهبوا ما فيها »[٤] ، ويثبت الثاني « ونهبوا كل ما تناولوه من النقود او غيرها »[٥] • ومصادر اخرى تنفي صدور أمر رسمي بالنهب ولكنها لا تنفي وقوع بعض حوادث النهب من قبل الجنود • ومن هذه الطائفة لوريمر حيث يقول[٦] : « لم يسمح رسميا بالنهب العام ، ولكن بعض الغنائم تم الحصول عليها من قبل بعض الافراد • وأحد جنود الكتائب وضع بعد وقت قصير مبلغ ٣٠٠ باون في يدي أحد الضباط لارساله الى اصدقائه » ويتفق بارتليت مع لوريمر ، فيقول[٧] : « ظلت في أيدي الجنود كمية قليلة من الجواهر والنقود ، وفق عادة ذلك الوقت » • وهناك اشارة عابرة في سالدانا عن وقوع حوادث نهب في المدينة[٨] • اما لو فمع انه ينفي صدور امر رسمي من القادة بالنهب لكونهم

(١) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 236, 237.

(٢) Milburn, op. cit., (London, 1813), Vol. I, p. 119.

(٣) المهر الذهبي يعادل ٩ دولارات (Ibid, p. 121) .

(٤) ابن بشر ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٤١ •

(٥) لمع الشهاب ، ص١٤٠ •

(٦) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 647, See also the Footnote on the same page.

(٧) Moyse-Bartlett, op. cit., p. 51.

(٨) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 49.

حسب رأيه « تصرفوا على مبدأ ان القوات البريطانية قد حاربت للانتقام لا للحصول على مكاسب » ! الا انه يعود ليشير الى انه نقل الى السفن البريطانية « كنز صغير وقليل من الجواهر التي عثر عليها في بعض الابنية التي اقتحمتها قواتنا »[1] • اما كيلي فلا يشير الى هذه الناحية اطلاقا • يبدو لنا من ذلك ان القوات البريطانية قامت فعلا بنهب المدينة ، ومحاولة ابعاد الصفة الرسمية عن تلك العمليات كما ورد في لو ولوريمر وبارتليت ، ما هو الا محاولة لابعاد تهمة السلب عن القادة الانكليز •

انتقمت القوات الغازية من المدينة بمنتهى القسوة ؛ فقامت باحراق كافة السفن الراسية هناك من جميع الاحجام ، وبلغ عددها خمسين ، منها ثلاثون سفينة (داو) حربية ضخمة ، بعضها كان معبأ بالذخيرة • وكذلك اشعلت النار في كافة مرافق وبيوت المدينة ، وبعض هذه البيوت كانت مستودعات للبارود « احدثت انفجاراتها مع الحرائق الهائلة في المدينة والميناء ، صورة لمدينة مدمرة كليا »[2] • وقد دفع هذا المشهد بالكولونيل سمث الى ان يثبت ذلك في تقريره اليومي قائلا « آمل ان يكون القراصنة في هذا الميناء قد تلقوا العقاب الصارم »[3] •

(١) Low, op. cit., Vol. 1, p. 330.

(٢) Ibid, p. 329.

(٣) Quoted in: Brydges, op. cit., Vol. II, p. 38.

بعد كل ذلك ، فان من الطريف ان نقرأ ما يقوله العقاد حول حملة ١٨٠٩ : « بدأت [الحملة] تطوف اهم مراكز القرصنة ومن بينها رأس الخيمة • وقد تجنب تماما انزال أي جندي بريطاني على شاطىء بلاد العرب ، خوفا من ان يجر ذلك الى اشتباك مع القبائل العربية وخاصة الوهابيين » (الاستعمار في الخليج ، ص٧٧) • ولا ندري من اين اتى بتأكيده هذا ؟ علما بان انزال القوات البريطانية واشتباكها مع القبائل العربية لم يقتصر على رأس الخيمة فقط ، حيث خاضت تلك القوات اشتباكا مريرا في شناص أيضا • أنظر أدناه ص ٢٥٢ـ٢٦١ •

كانت خسائر البريطانيين بسيطة مقارنة بالمقاومة التي واجهتهم ، ويعود ذلك الى اعتمادهم الاساسي على الأسلحة النارية ، كما « ساعدت اغلفة الدخان على تقليل خسائرهم »[1] • وبلغ مجموع الخسائر مقتل ضابط واحد وثلاثة بحارة ، وجرح ضابطين وثمانية جنود وتسعة بحارة[2] • اما الخسائر في الجانب القاسمي فلم يمكن تحديدها بدقة ، وقدر عدد القتلى ما بين ٧٠ أو ٨٠ سقطوا في الاشتباك[3] ، وعدد آخر من المؤكد انهم قتلوا نتيجة قصف المدفعية[4] • ويجمل بارتليت خسائر القواسم بثلثمائة قتيل[5] •

اصدر الكولونيل سمث ، في صبيحة ١٤ تشرين الثاني ، أمرا الى الجنود بالإنسحاب بأقصى سرعة الى السفن ، بعد ان تسلم تقريرا يفيد بأن قوة عربية كبيرة من العرب تقترب نحو المدينة من الداخل[6] • ويعلق لو على هذا الانسحاب السريع بقوله[7] « هذا الرحيل السريع ، الذي كان ضعفاً غير معروف لمثل هذا الشعب العنيف ، أعاد الطمأنينة للقواسم ، الذين كانوا أقوى من ان يسمحوا للوهن بالتطرق الى قلوبهم ففتحوا النار من جديد على الجنود » • تم سحب القوات في الصباح ، وبينما كان الاسطول لا يزال راسيا حتى الظهر « اخذت مجموعات من القواسم تتحشد على

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 647.

(٢) Kelly, op. cit., p. 118.

(٣) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 49; Brydges, op. cit., Vol. II, p. 38; Lorimer, 1A, p. 647.

(٤) Kelly, op. cit., p. 118.

(٥) Moyse-Bartlett, op. cit., p. 51.

(٦) Ibid, pp. 51-2; Buckingham, op. cit., p. 236; Low op. cit., p. 330; Lorimer, 1A, p. 184.

(٧) Low, op. cit., Vol. I, p. 330.

الساحل ، ناشرين راياتهم وملوحين بسيوفهم ورماحهم ، في الوقت الذي كانت فيه اطلاقات البنادق تنبعث من كل مكان ، وهكذا كان قهر رأس الخيمة أبعد مما يرغب فيه منتصر ، طالما لم تظهر أية علامة تدل على الاستسلام »(١) .

الاستيلاء على لنجة والهجوم على لافت :

تحرك الاسطول بعد منتصف النهار بقليل من يوم ١٤ تشرين الثاني ، نحو الشمال قاصداً لنجة • وهي ميناء قاسمي مزدهر على الجانب الشرقي من الخليج العربي • ولكن الحملة لم تلق مقاومة في هذا المكان ، اذ انسحب سكانها نحو الجبال حاملين معهم امتعتهم • فتم الاستيلاء على المدينة الخالية في ١٧ تشرين الثاني ، وقام الغزاة باحراقها تماما ، كما دمروا السفن الراسية في الميناء والبالغ عددها عشرين سفينة ، تسع منها داو حربية كبيرة(٢) • ومن لنجة أرسلت (كارولين) وسفن النقل الثقيلة الى ساحل الباطنة ، حيث جرى الاتفاق على الالتقاء بسيد سعيد في ٦ كانون الاول ، لتنظيم هجوم مشترك على شناص وخور كالبا وخور فكان(٣) • اما وينرايت ومعه بقية الاسطول ، فأبحر نحو النهاية الشرقية لجزيرة قشم لمهاجمة لافت التي يسيطر عليها القواسم وحلفاؤهم (بني معين)(٤) .

---

(١) Buckingham, op cit., Vol. II, p. 237.

والملاحظ ان لو يسجل نفس كلمات بكنغهام ولكنه لا يشير الى المصدر (p. 330) .

(٢) S.R.B.G. XX1V, p. 306, 'Warden, Joasmees' Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 238; Low, op. cit., Vol. I, pp. 330-1; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 647.

(٣) Kelly, op. cit., p. 119.

(٤) Ibid.

وصل الاسطول الى لافت عند ظهيرة يوم ٢٦ تشرين الثاني ، فوجد قادة الحملة ان سكانها قد تحصنوا في قلعة حجرية كبيرة ، تقوم على قمة مرتفع شديد الانحدار ، يبلغ سمك جدارها أربعة عشر قدما ، وفيها فتحات لاطلاق البنادق ، ومدخلها الوحيد بوابة صغيرة مغلقة باحكام ، وترسو قربها احدى عشرة سفينة داو[١] . امضى القادة بقية اليوم في مفاوضات غير مثمرة مع الزعيم ملا حسين ، شيخ بني معين ، من اجل اقناعه بالاستسلام . ولما لم يتحقق ما أراده البريطانيون ، بوشر بانزال الجنود بقيادة سمث فتم ذلك في حوالي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٢٧ تشرين الثاني[٢] .

تقدم الجنود نحو القلعة ، وبينما كانوا يحيطون بها باحثين عن موضع يهاجمونها منها ، بوغتوا بنيران كثيفة انطلقت عليهم من داخلها . فتراجعوا بدون نظام تاركين مدفع (الهاوزر) قبل ان تطلق منه قذيفة واحدة ، وانبطحوا على الارض خلف اكوام من التراب والروابي القريبة من أسفل القلعة . وظلوا بهذا الوضع لا يجرؤون على اخراج رؤوسهم حتى حلول الظلام ، الذي ساعدهم على الانسحاب الى الساحل ، حيث اعيدوا الى السفن بعد شروق الشمس[٣] . يقول وينرايت في رسالة مؤرخة في ٢٧ كانون الاول موجهة الى القائد العام في بومباي[٤] « في خلال ذلك اقتربت زوارق المدفعية و (فيوري) لكونها ذات غطس قليل ، مسافة طلقة بندقية من القلعة ، وواصلت قصفا مركزا ، أدى الى احداث تدمير كبير في جدرانها مع

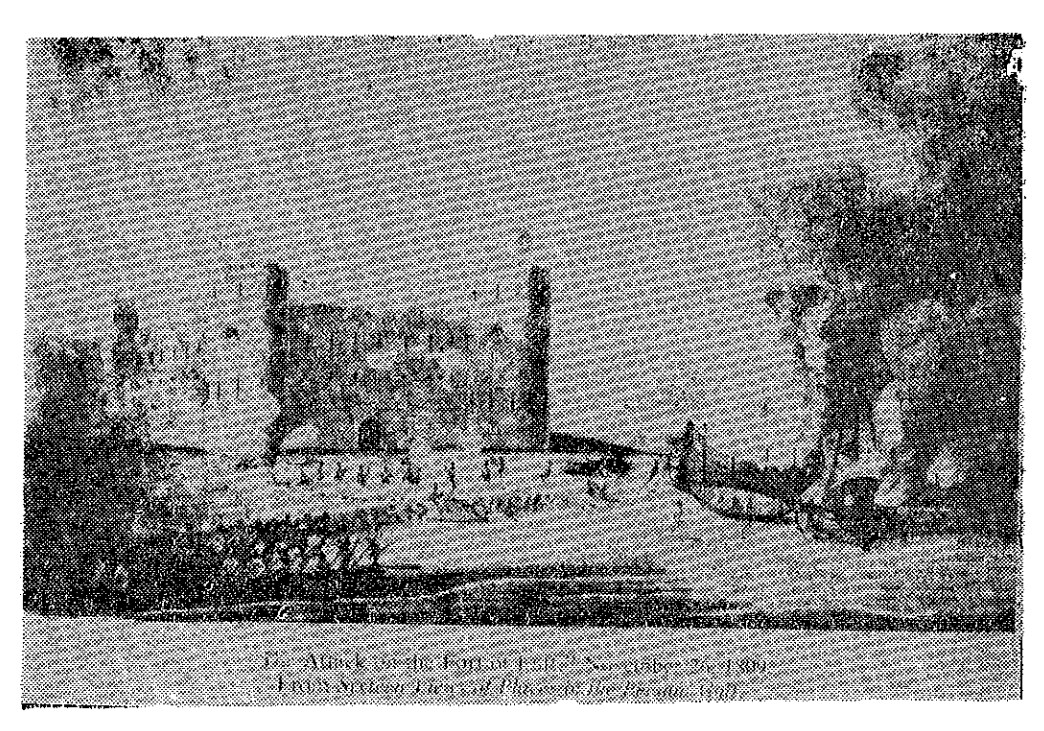
---

(١) Low, op. cit., Vol. I, p. 331; Kelly, op. cit., p. 119.

(٢) Low, op. cit., p. 331.

(٣) Buckingram, op. cit., Vol. II, pp. 239-41
ويرد نفس الكلام نصا في لو (Low, op. cit., pp. 331-2)
وانظر ايضا : Moyse-Bartlett, op. cit., p. 53.

(٤) Quoted in: Low, op. cit., p. 332.



مهاجمة حصن لافت (٢٦ تشرين الاول ١٨٠٩)

غروب الشمس » . وقد وجه القائد البريطاني في هذا الوقت ، انذارا الى رجال الحامية بانه ما لم يتم التسليم فانـه لن يظهر اية رحمة في معاملته لهـم ، محـددا الساعة الثانية من فجـر اليـوم التالي كآخر موعـد[١] .

وقد اعلن ملا حسين عند غروب الشمس موافقته على التسليم ، وفي ٢٨ من الشهر تم تسليم القلعة والمدينة الى وينرايت الذي عهد بهما الى احـد شيوخ بني معين موالٍ لسيد سعيد[٢] ، هو الشيخ درويش ، حيث اعتبرت المدينة والأموال التي عثر عليها والبالغة قيمتها ٢٠٫٠٠٠ دولار من ممتلكات حاكم مسقط[٣] .

كانت خسائر البريطانيين في عملية لافت كبـيرة نسبيا : سبعة قتلى وواحداً وثلاثين جريحا بين الجنود ، ومصرع اثنين من مشاة البحرية واثنين من معاوني قبطان ، وجرح ثلاثة وعشرين بحارا ، فيكون المجموع احد عشر قتيلا وأربعـة وخمسين جريحـا[٤] . اما خسائر القواسم وحلفائهم فقدرت ما بين ٨٠ الى ٩٠ بين قتيل وجريح[٥] .

تحول الاسطول بعد ذلك نحو برقة ، حيث التحقت به بقية القوة

---

(١) Low, op. cit., p. 332.

(٢) Kelly, op. cit., p. 119. ، أما واردن فيقول ان هـذا الشيخ هو رئيس قبيلة (نعيم) . ولكن الظاهر ان الصواب قد جانبه في ذلك اذ ان القسم الاكبر من نعيم يقيم في البريمي .
(S.R.B.G., No. XX1V, p. 306, 'Warden, Joasmees').

(٣) Low, op. cit., Vol. I, p. 332.

(٤) Kelly, op. cit., p. 119; Lorimer, op. cit., 1A, p. 184,
ولكن الاخير يحدد عدد جرحى الانكليز ب ٥٥ جريحا . ويجانب الصواب هاولي اذ يقول ان خسائر البريطانيين كانت ثلاثة قتلى واربعة عشر جريحا . انظر : Hawley, op. cit., p. 122.

(٥) Kelly. op. cit., p. 119.

وبضمنها (كارولين) ، وتوجهت نحو مسقط لدراسة الموقف مع سيد سعيد ، واتخاذ اجراءات جديدة مشتركة معه •

التعاون العسكري البريطاني ـ العماني ضد القواسم :

معركة شناص[1] :

وصلت القوة الى مسقط في كانون الاول ١٨٠٩ ، واجتمع قادتها بسيد سعيد الذي بدا عليه الانشراح من النتائج الموفقة للحملة • وقد مر بنا في الفصل السابق ، توصل الطرفين الى اتفاق على القيام بحملة مشتركة لمهاجمة شناص وخور كالبا وخو فكان ، وانتزاعها من القواسم • وبعد ان أمر وينرايت واحدة من سفن النقل وطرادتين مع كتيبة مشاة بومباي ، بالعودة الى بومباي ، لاعتقاده ان الموقف لم يعد يتطلب وجودها ، أبحر من مسقط في يوم ٢٥ كانون الاول ، في حين سلك سيد سعيد على رأس قواته ، الطريق الشمالي بمحاذاة ساحل الباطنة[2] •

تعرضت القوات العمانية ، وبخاصة بين (ضعرة Sa'ara) وشناص ، الى غارات وكمائن قام بها الفرسان القواسم ، كلفتها بعض الخسائر[3] • واخيرا وصلت القوات العمانية والبريطانية شناص في ٣١

---

(١) شناص هذه ، تقع على ساحل الباطنة في عمان ، وهي غير شناص الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج • فالاولى هي احدى اقسام ولاية صحار ، وتبعد ثلاثين ميلا شمال غرب مدينة صحار •
(Lorimer, op. cit., Vol. IIB, pp. 1810-12)

اما الثانية فتقع على ساحل كرمان • وسكانها ليسوا من القواسم « ولكنهم وضعوا انفسهم تحت حماية حكومة رأس الخيمة ضمانا لسلامتهم » •

[I.O] Precis of Correspondence, p. 50.

(٢) Kelly, op. cit., p. 119.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن غارات القواسم هذه ، انظر :

Shaik Mansur, op. cit., pp. 59-60.

كانون الاول ، لتواجه « مهمة مرعبة »[1] ، اذ « كان الدفاع عن هذا الموقع بطوليا خارقا »[2] ، « أبدى فيه المدافعون أقصى درجات البطولة والتضحية »[3] .

أرسل وينرايت ، في اليوم الاول من كانون الثاني ١٨١٠ ، عرضا للحامية المتمركزة في القلعة الضخمة المتحكمة بالخليج الذي تقوم عليه شناص ، يدعوها الى الاستسلام . ولكن عرضه « رفض باستهزاء »[4] ، ولكن مريزي ، الذي رافق قوات سيد سعيد ، يقول ان الحامية قدمت عروضا للتفاوض هدفها كسب الوقت ، لحين وصول النجدة الوهابية التي ارسلها الامير سعود من الدرعية ، ولكن الطلب رفض[5] . وعند ذلك ، بدأت السفن وزوارق المدفعية بالقصف ، ولكن بدون ان يحدث ذلك أثرا كبيرا ، نظرا لبعد القلعة عن مدى المدافع[6] .

تم انزال جميع القوات البريطانية في صباح اليوم التالي ، حيث اقيم معسكر على الساحل ، مع بطرية ظلت تقصف الحصن طوال ليلة ٢ كانون الثاني « القيت في خلاله حوالي اربع آلاف قنبلة وقذيفة على الحصن »[7] . ولما لم يحدث كل ذلك الاثر المطلوب في اجبار الحامية على التسليم ، أمر

---

(١) Kelly, op. cit., p. 119.

(٢) Morier, op. cit., p. 373.

(٣) S.R.B.G., No. XX1V, p. 306, 'Warden, Joasmees'.

(٤) Kelly, op. cit., p. 119.

(٥) Shaik Mansur, op. cit., p. 61.

(٦) Low, op. cit., Vol. I, pp. 333-4.

(٧) Ibid, p. 334; Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 243; W. Phillips, Unknown Oman, (London, 1966), p. 100.

القائد البريطاني بانزال مدفعين كبيرين من عيار ٢٤ باوند ومدفعين من عيار ١٢ باوند ، من الفرقاطات • وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم الثالث ، بدأت المدافع الثقيلة هذه باطلاق قنابلها على القلعة[1] • وبعد قصف استمر حوالي ثماني ساعات ، تم احداث ثغرة في السور • وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ، انهار أحد أبراج القلعة « وكانت صرخات الكارثة الممتزجة بصيحات الله أكبر ، قد انطلقت في نفس اللحظة من داخل المدينة »[2] • ومع ذلك ، ظلت ابراج القلعة الاخرى صامدة ، واصبح جليا للقادة ، انه لا يمكن الاستيلاء على القلعة الا بهجوم شامل • وعلى هذا ، صدر الامر لقوات مسقط والقوات البريطانية بالهجوم من الثغرة • وقد تلقت القوات المسقطية المتقدمة ، الصدمة الاولى[3] ، والقتال الذي تلا ذلك « كان قتال رجل لرجل بالبنادق والغدارات ، بالرماح والحراب ، بالسيوف والخناجر ، فكان أشرس قتال مرت به قوات الحملة »[4] • نجحت القوات البريطانية في الساعة الخامسة مساء ، في السيطرة على القسم الرئيس من الحصن ، ولكن الصراع لم يكن قد انتهى بعد ، ومراحله الاخيرة وصفت بدقة بكلمات الكولونيل سمث[5] :

« من الصعب تصور مقاومة اكثر اصرارا من تلك التي أبداها (العدو) في هذا الموقع • كانت تحصيناته قد تحولت الى حطام تقريبا ، والقسم الاكبر من رجال حاميته ملقى على الارض بأكوام مشوهة • ومع ذلك ،

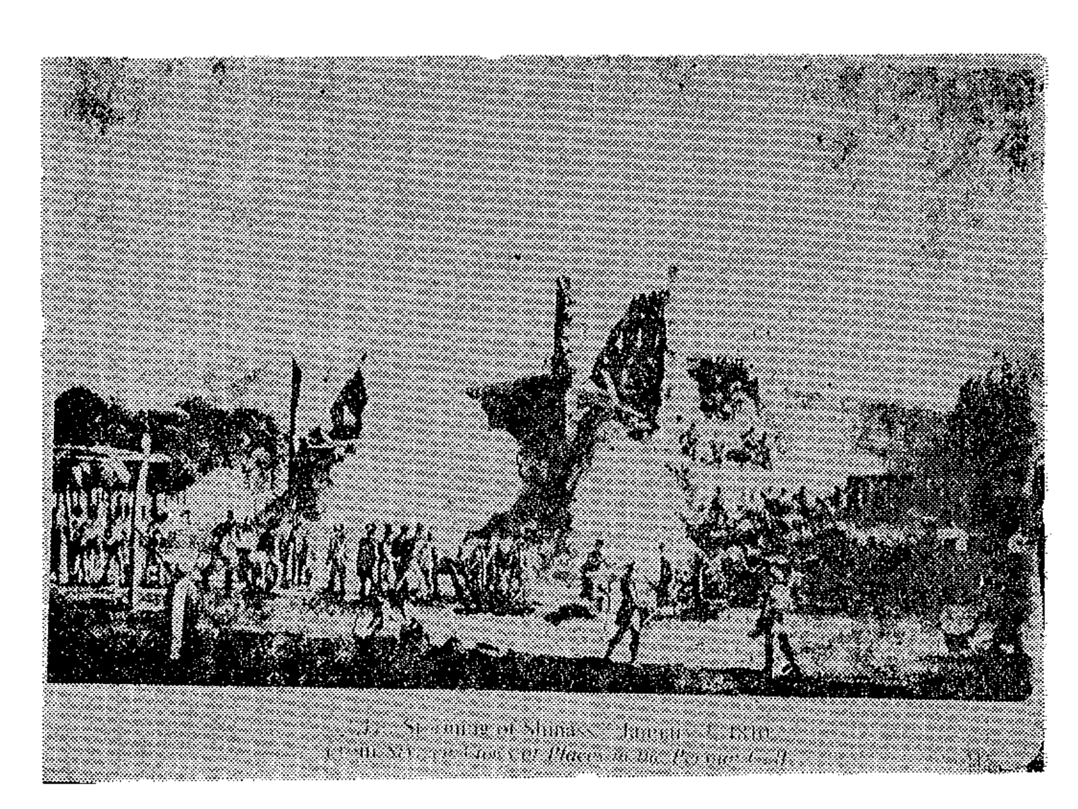
(١) Kelly, op. cit., p. 119.

(٢) Shaik Mansur, op. cit., p. 61.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 443.

(٤) Kelly, op. cit., p. 120.

(٥) Quoted in: Ibid; See also, Morier, op. cit., pp. 373-4; Heude, op. cit., pp. 38-9.



الهجوم على شناص

وفي هذه الحالة الميؤوس منها ، وبعد ان سيطر البريطانيون والعمانيون على الجزء الرئيس من الحصن ، ظل صامداً ، مواصلاً أطلاق النار علينا من برجين لم تكن قد دمرت الى درجة يمكننا فيها ازاحته . كانت محاولتنا في التسلق بدون جدوى . فكل مدخل الى هذه الابنية كان متراساً قوياً ، تحميه رماح طويلة يصاحبها مطر من الاحجار الكبيرة المتساقطة من أعلاها . وكان الظلام يقترب بسرعة . وقد دعت الانسانية أو أي اعتبار آخر ، الى انهاء مشهد المجزرة الفظيع هذا . ولذلك دعي القليلون الباقون على قيد الحياة، الى الاستسلام لينقذوا أرواحهم، غير انهم أجابوا بانهم يفضلون الموت على الخضوع . جلبت الأن من البطرية مدفعين من عيار ١٢ باوند وثلاث قطع ميدان ، وفتحت نارا كثيفة على دفعتين قريبا من الابراج ، من اجل تدميرها كليا . ولكن (العدو) واصل أطلاق النار ، وبدا انه مصمم على ان يدفن تحت انقاضه الأخيرة . لجأنا الى القنابل اليدوية وكرات النار ، فكان يردها علينا قبل ان تنفجر بأعلى درجات الاصرار ، بينما كانت الابراج تنهار بسرعة مهلكة معها بالتأكيد كل حي بداخلها في خلال وقت قصير . للمرة الثانية أوقفت اطلاق النار ، وقمت بمحاولة اخرى لانقاذ حياتهم . وأخيرا تقدم احد الرجال ... وبعد تأكيدات عديدة بالحماية من الجنود العمانيين ، تمكنا بواسطته من انقاذ ٢١٠ رجال ، هم أسرانا الآن ، ولكن كان من الصعب ان تمنع ابادتهم من قبل حلفائنا »[1] .

كم كانت خسائر القواسم في معركة شناص ؟ في الواقع هناك تقديرات مختلفة ، فلوريمر يقدرها بحوالي اربعمائة قتيل[2] ، ومريزي يقدرها بما

---

(١) لعل من المفيد ان نسجل بهذه المناسبة قول العقاد عن انتهاء الحملة وعودتها الى بومباي : « رغم بقاء بعض حصون القواسم في سلطنة عمان نفسها مثل حصن شناص الذي حماه موقعه الطبيعي من المدفعية البريطانية » ! (الاستعمار في الخليج ، ص٧٧) .

(٢) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 443.

يزيد على ٧٠٠ رجل[١] ، وكل من بكنغهام ولو يقدران خسارتهم بما يزيد على ألف اصابة[٢] • والتقدير الاخير هو في رأينا اقرب الى الدقة ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ما جاء بتقرير سمث الذي ذكرناه سابقاً • اما في الجانب البريطاني ، فبسبب اعتمادهم على الاسلحة النارية من جهة ودفع العمانيين للاشتباك المباشر ، من جهة اخرى ، فقد كانت خسائرهم خفيفة بشكل مدهش : مقتل جندي واحد وجرح احد عشر رجلا من بينهم اثنان من الضباط[٣] • اما خسائر العمانيين فيقول كيلي عنها انها «كانت جسيمة»[٤] ويقدرها مريزي بـ ٥٠ قتيلا[٥] ، اما لوريمر فيقول انها تتراوح ما بين ٣٠ أو ٤٠ رجلا[٦] •

سلمت القلعة الى القوات العمانية محطمة الى درجة « بحيث لم يجد سموه [سيد سعيد] من الحكمة ان يحتفظ بها »[٧] أو يضع فيها حامية من قواته[٨] • درس وينرايت وسمث الموقف بعد عملية شناص ، لتقرير ما اذا سيواصلون خطتهم الاولى بمهاجمة خور كالبا وخور فكان ، فتقرر صرف النظر عن ذلك بخاصة ان سيد سعيد أعلن رفضه المشاركة في مثل هذا

---

(١) Shaik Mansur, op. cit., pp. 62-3.

(٢) Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 243; Low, op. cit., Vol. I, p. 334.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 443; Kelly, op. cit., p. 120.

(٤) Ibid, p. 120.

(٥) Shaik Mansur, op. cit., p. 63.

(٦) Lorimer, 1A, p. 443.

(٧) S.R.B.G., No. XX1V, p. 306, 'Warden, Joasmees'.

(٨) Lorimer, 1A, p. 443.

الهجوم محتجا بانهم سيواجهون نفس المقاومة المستمية التي واجهتهم في شناص[1] • وفي هذا الوقت وصلت النجدة الوهابية بقيادة مطلق المطيري • وكانت هذه النجدة قد تحركت من الدرعية ، بأمر من سعود ، لاسعاف رأس الخيمة • وتألفت من ٢٠٠٠ مقاتل ، نقلوا على ألف بعير لتسهيل عبورها بأقصى سرعة[2] • ولكنها وصلت بعد فوات الاوان ، حيث ان القوات البريطانية كانت قد دمرتها وانسحبت منها • فعجل مطلق ، حينما علم بالخطر الذي يهدد شناص ، بالتحرك لانقاذها • فاخترق الباطنة بأقصى سرعة وانضمت اليه قوات من قاعدة البريمي • ولكنه وصل بعد ان حلت الكارثة ، ووجد ان البريطانيين والعمانيين مستعدون لمواجهة هجومه • ولكن هذا القائد البارع لم يغامر بالهجوم ، وانما ربض بقواته في بستان نخيل قريب في مواجهة قوات العدو التي كانت معسكره قرب الساحل[3] • ظل الطرفان في مواجهة بعضهما ثلاثة ايام كاملة ، قرر سمث في نهايتها سحب قواته الى السفن ، ناصحا سيد سعيد بالانسحاب عن طريق البحر ايضا[4] •

صعدت القوات البريطانية الى السفن في فجر يوم ٤ كانون الثاني

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 306; Low, op. cit., p. 344; Kelly, op. cit., p. 120.

(٢) Shaik Mansur, op. cit., pp. 61-63.

(٣) Ibid, pp. 63-5.

(٤) Ibid, p. 65.

يتبين من ذلك ان مذكرة الحكومة السعودية قد وقعت في التباس بقولها ان مطلق المطيري وصل شناص بعد ان ابحر البريطانيون منها مباشرة ويقع في نفس ذلك لالتباس بارتليت ايضا

Memorial of the Government of Saudi Arabia, Vol. I, p. 130; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 55.

١٨١٠ ، وحذا سيد سعيد حذوها فصعد هو وبعض رجاله هو الآخر ، الى الاسطول ، بينما كانت بقية قواته ، البالغ عددها ٤٠٠٠ رجل بقيادة سيد عزان معسكرة قرب البحر بانتظار سحبها ايضا • وما ان ادرك مطلق الموقف حتى انقض على هذه القوات • والمعركة التي تلت ذلك لم تستغرق اكثر من ساعتين ، خسر فيها العمانيون الفي قتيل، في حين لاذ الباقون بالفرار[١] • يشير مريزي الى ان سمث عقد معاهدة مع مطلق المطيري ، بعد هذه المعركة ، نصت على تعهد القائد الوهابي بمنع الهجمات عن السفن البريطانية ، وتعهد سمث هو الآخر بعدم التدخل في النزاعات بين مسقط والوهابيين ، ويعتبر المؤلف نجاح سمث في عقد هذه المعاهدة « ضربة سياسية تستحق المديح ، لأنها أمنت حرية السفن البريطانية في الابحار في الخليج وبدون تحرش »[٢] • ولكن كيلي يثبت بأن القوة البريطانية كانت قد أبحرت بالفعل قبل قيام مطلق بهجومه على القوات العمانية ويؤكد بانه « لا يوجد اي دليل لمثل هذه الاتفاقية في سجلات حكومة بومباي ، ولا أية اشارة لها في رسائل سمث الرسمية ، الى كونه عقدها أصلا او حتى تفاوض بشأنها ، وان مثل هذة الاتفاقية هي بعيدة عن طبيعة تعليمات سمث »[٣] •

توجه الاسطول البريطاني بعد مغادرته شناص الى الخليج العربي في ١٥ كانون الثاني ١٨١٠ ، من أجل تمشيط السواحل من جديد ، وتمكن

---

(١) Shaik Mansur, op. cit., pp. 65-6, 118.

كان المؤلف في زورق مدفعية راسيا على مقربة من الساحل ، ويصف امتلاء البحر بالغرقى الذين كانوا يحاولون الفرار أمام الوهابيين ، وكثير من هؤلاء حاولوا تسلق قاربه ، ولكنه اجبرهم على العودة الى الماء خشية غرق الزورق • (Ibid, p. 66).

(٢) Ibid, pp. 67-8.

(٣) Kelly, op. cit., 121, and footnote on the same page.

من تدمير عشر سفن كبيرة في رامس ، وثمان في جزيرة الحمرا ، اما أساطيل عجمان والشارقة فقد نجحت في التملص ، فيما عدا أربع سفن تابعة للميناء الاخير عثر عليها في مغو حيث تم احراقها(١) .

كان عقد معاهدة مع القواسم، في مثل هذه الظروف ، امرا غير وارد . فقد كان من الواضح تماما انهم في هذا الوقت كانوا تحت نفوذ الامير سعود ، بحيث كان يجب الحصول على موافقته للتوصل الى اية اتفاقية(٢) . وهذا الامر هو بالضبط ما « كان دنكان يريد تحاشيه »(٣) . أما ديكسون فانه يخطىء بقوله انه جرى التوصل بعد الحملة ، الى عقد معاهدة تجبر القواسم على احترام علم وممتلكات البريطانيين ومساعدة السفن التي تلجأ الى سواحلهم(٤) . عاد جزء من الاسطول البريطاني الى الهند في شباط ، وترك الباقي الخليج في نيسان ١٨١٠(٥) .

تقييم حملة ١٨٠٩ ـ ١٨١٠ :

بالرغم مما حققته الحملة الانكليزية من انتصارات عسكرية على القواسم ، وتدمير بضع عشرات من السفن ، وتخريب ميناء رأس الخيمة تخريبا تاما ، الا انها لم تنجح في تحقيق الاهداف التي رسمت لها(٦) . فقد تمكن معظم الاسطول القاسمي من النجاة من التدمير ؛ فعند اقتراب

---

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 184, 648-9.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, pp. 306-7, 'Warden, Joasmees'; Low, op. cit., Vol. I, p. 335.

(٣) Kelly, op. cit., p. 121.

(٤) Dickson, op. cit., p. 116.

(٥) Lorimer, op. cit., 1A, pp. 184-5, 649.

(٦) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 243-4.

الحملة ، اخفى القواسم الكثير من سفنهم في الخلجان العميقة في الجانب الغربي من شبه جزيرة مسندم التي كان وجودها غير معروف لقادة الحملة[1] ، كما ان سفنا قاسمية اخرى كانت بعيدة في رحلات تجارية او مطاردات قرصنية ، في البحر الاحمر وافريقيا الشرقية[2] • ومع ذلك فقد اعتقد كل من قادة الحملة وحكومة الهند آنذاك ، بأن الضربة القاسية التي وجهت للقواسم ، جعلتهم غير قادرين على مواصلة الهجمات في البحر[3] • ولكن الايام اثبتت ان هذا الرأي كان خاطئا تماما ، « والصحيح انها أعاقت نشاطهم لفترة قصيرة فحسب »[4] •

حاولت حكومة الهند التقرب من الوهابيين آملة في عزلهم عن القواسم من جهة ، ولامتصاص ردود الفعل لدى الامير سعود من الحملة الاخيرة • فدخل المقيم في بوشهر ، هانكي سمث ، في مراسلات مع الامير الوهابي ، محاولا اقناعه بكف اتباعه عن القرصنة[5] • وقد أبدى الامير سعود ، في رسالته الى المقيم البريطاني التي حولت الى بومباي ، ازدراءه لمجمل الحملة بقوله « لا يزدهيكم حرق عدد من السفن لانها عديمة القيمة في نظري وفي نظر اصحابها » ، وأشار الى ان الحكومة البريطانية قد غرر بها حاكم مسقط ، فدفعها الى التدخل بأمور لا تعنيها ، ولكنه مستعد للصفح : « بما انكم طلبتم السلام ، فانني استنتج من ذلك بأن ما حدث من جانبكم كان نتيجة لعدم التبصر • لقد أصبحتم مهزلة بسبب شخص لا يملك سيطرة

(١) Kelly, op. cit., p. 123; Graham, op. cit., p. 243.

(٢) Kelly, op. cit., p. 123.

(٣) S.R.B.G., No. XX1V, p. 307; Low, op. cit., p. 336; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 649; Graham, op. cit., p. 243.

(٤) Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 244.

(٥) [I.O.] Precis of Nejd, p. 7.

على نفسه [سعيد] ، ولم تكونوا قادرين على ادراك النتائج • وتحت هذه الظروف ، أرى من الضروري ان اعلمكم بأنني لن أدنو من سواحلكم ، كما وانني منعت اتباع العقيدة الحقة وسفنهم من التحرش بسفنكم » •
وأشار الى انه واتباعه سيرحبون بالتجار البريطانيين في موانئه ، ويتوقع منهم بالمقابل الترحيب برعاياه في الموانيء البريطانية الهندية و « يأمل ان تمتنع الحكومة البريطانية عن الاعمال العدائية على سواحله ، ومن التدخل في نزاعاته مع جيرانه » • وختم رسالته بموعظة عن عدم جدوى الحرب « ان الحرب مرة ولا يخوضها الا احمق كما يقول الشعراء »(١) •
« وهذا شعور غريب من رجل كان يلجأ بكل حرية الى السيف لتحقيق أغراضه »(٢) •

اجاب دنكان ، حاكم بومباي ، على هذه الرسالة في آب ١٨١٠ ، وقد اعرب فيه عن ارتياحه لتحريم الامير سعود على اتباعه التحرش بالسفن البريطانية ، واعلمه بأن الحكومة البريطانية ليست معنية بنزاعاته مع المسلمين الآخرين ، ولكنها معنية بما ترتكبه القبائل البحرية من اعمال قرصنية ، وختمها معبرا عن أمله في استمرار الاتصال بينهما « وأرجو ان تتيح لي الفرص السعيدة سماع استمرار ازدهاركم ونجاحكم »(٣) • هذا وقررت حكومة الهند عدم الانجرار الى التورط في مسقط ، ولذلك لم تستأنف المثلية عملها هناك(٤) ومن اهم الاجراءات التي طبقتها حكومة بومباي ضد

---

(١) Low, op. cit., Footnote, p. 335; Morier, op. cit., pp. 374-5; Kelly, op. cit., p. 123; Memorial of the Govrt. of Saudi Arabia, Vol. I, pp. 131-2.

(٢) Kelly, op. cit., p. 123.

(٣) [I.O.] Precis of Nejd, p. 7, Letter from Duncan, 9th Aug., 1810.

(٤) Kelly, op. cit., p. 125.

القواسم ، والتي يمكن اعتبارها مقدمة لعمل جـذري للقضـاء على قوتهـم البحرية ، انها وضعت الحظر على تصدير الاخشاب الى الخليج العربي من ساحل مالبار • وقد جاء هذا القرار تطبيقا لتوصية مسيتي ، المقيم البريطاني في البصرة التي أيدهـا مالكولم ، للحيلولـة دون قيام القواسم ببناء السفن واعادة قوتهم البحرية[١] • اما لو فانه يقع بالتباس بقوله ان هذا الاجراء لم ينفذ[٢] • على ان هذا المنع لم يستمر طويلا ، ذلك ان التجربة قد ابتت بأن العرب لم يجدوا صعوبة في الحصول على الخشب بطرق غير مباشرة وبخاصة من ترافنكور Travancore[٣] •

تجدد النشاطات القاسمية ومواقف حكومة بومباي :

توقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية خلال الفترة ١٨١٠ ـ ١٨١١ ؛ ويعود ذلك الى الضربة القاسية التي وجهتها حملة ١٨٠٩ ـ ١٨١٠ لقوتهم البحريـة من جهة ؛ والى تأكدهم من ان طـرادات الشركة تقـوم بعمليات المراقبة والدورية ، من جهة اخرى • ويبدو ان حكومة بومباي قد شعرت بالاطمئنان نتيجة لهذا التوقف ، وهذا يفسر عودة الطرادين (بنارس Benares) و (برنس اوف ويلز Prince of Wales) من مركزهما في الخليج الى بومباي في شهر تشرين الثاني ١٨١١[٤] • ولكن السنة التالية شهدت ، منذ بدايتهـا تجـدد النشـاط القاسمي البحري لدرجة كبيرة • فقد تمكن القواسم من تعويض خسائرهم في السفن التي دمرها البريطانيون

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 307; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 649.

(٢) Low, op. cit., Vol. I, p. 336.

(٣) Lorimer, op. cit., 1A, Footnote on p. 649.

(٤) Low, op. cit., Vol. 1, p. 337.

في الجملة الاخيرة ، ببناء سفن جديدة ، حصلوا على اخشابها من ترافنكور واماكن اخري خارج السيطرة البريطانية • ومنذ مطلع سنة ١٨١٢ نجحوا في تدمير وأسر سفن عديدة تعود لموانيء البصرة وكنكون ، ولم تنج حتى السفن المبحرة تحت العلم البريطاني من تجرشاتهم[١] • وشهدت الشهور الاخيرة من تلك السنة ، تنامي قوتهم حتى أصبحوا من جديد « أقوي قـوة علي طول خطوط الملاحة في الخليج العربي »[٢] • وقد دفع هذا الخطر بحكومة بومباي الى ارسال فرقاطة البحريـة الملـكية (هسبر Hesper) الى الخليج في محاولة للوقوف بوجهه • ولكن هذه الفرقاطة على الرغم من انها أمضت الفترة من تشرين الثاني ١٨١٢ وحتي شباط ١٨١٣ في عمليات المراقبة والتفتيش عن سفن القواسم ، الا إنها لم توفق في العثور علي أيـة سفينة قاسمية[٣] •

ظهرت سفن القواسم فجأة ، في خريف سنة ١٨١٣ ، علي مقربة من سواحل الهند الشمالية الغربية ، وقامت في اوائل سنة ١٨١٤ بأسر بضعة مراكب على مقربة من سواحل كاثياوار Kathiawar [٤] • لهذا بادرت حكومة بومباي الى إتخاذ إجراءات احترازية في ربيع نفس السنة ، فأصدرت اوامرها الى سفينة البحرية الملكية (اكرون Acron) وطرادي الشركة (سلف) و (ميركري) ، بالقيام باعمال الدورية قرب السواحل الغربية لشبه القارة الهندية ، من ديو وحتي مدخـل الخـليج العربي للبحث عن

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 307, 'Warden, Joasmees'.

(٢) Kelly, op. cit., p. 129.

(٣) Ibid, pp. 129-130.

(٤) Ibid, p. 130 • وكاثياوار هي شبه الجزيرة الواقعة في غرب الهند الى الجنوب من كوج ، وأهم موانئها ديو •

السفن القاسمية وابعادها عن المنطقة[1] • كما قام المقيم البريطاني في بوشهر ، المستر بروس ، بناء على توجيهات حكومة بومباي ، بارسال احتجاج الى كل من الامير الوهابي والزعيم القاسمي ، في مايس ١٨١٤ ، على قيام القواسم بهجماتهم على السفن التجارية في المياه الهندية[2] • وطلب من حسن بن رحمة ، الذي حل مؤخرا محل حسين بن علي ، في زعامة القواسم[3] ، ابعاد بحريته عن سواحل الهند[4] • وقد اجاب حسن ابن رحمة ، بأن القواسم لم يأسروا أية سفينة تحمل ترخيصا بريطانيا ، وانه في حالة وقوع مثل ذلك ، فانهم على استعداد لاعادة البضائع ، وانه قد أصدر تعليماته الى رجال قبيلته ، بعدم التحرش او الاقتراب من أية سفينة تبحر تحت العلم البريطاني ، كما انه لا يرغب في اعتراض التجارة البريطانية في أي مكان[5] • وبناء على توصية من بروس ، أمرت حكومة بومباي بكتابة الرخص التي تحملها السفن التجارية باللغة العربية ، لمنع القواسم من التذرع بالجهل بمحتوى الرخص التي تقدمها هذه السفن[6] • لقد جاء هذا الموقف السياسي من جانب الزعيم القاسمي ، بضغط من الامير

---

(١) Graham, op. cit., p. 244.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 308, 'Warden, Joasmees'.

(٣) أعيد حسين بن علي لمركزه السابق كشيخ لميناء رامس ، بعد انتهاء مهمته كنائب الوصي الوهابي على المشيخة العليا للاتحاد القاسمي ، بأمر من سعود بن عبدالعزيز ، في أوائل سنة ١٨١٤ •

(٤) Kelly, op. cit., p. 131.

(٥) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. of 25th May, 1814; S.R.B.G., No. XX1V, pp. 308-9.

(٦) S.R.B.G., No. XX1V, p. 309, 'Warden Joasmees'.

الوهابي الجديد ، عبدالله بن سعود ، الذي خلف اباه في نيسان ١٨١٤ ، اذ كان عليه ان يواجه الخطر المصري من الغرب ، فلم ير من الحكمة ان يستثير عداوة البريطانيين في ذلك الظرف •

اتفاقية بوشهر ١٨١٤ :

حاولت حكومة القواسم ، في سنة ١٨١٤ ، التوصل الى تفاهم مع المقيم البريطاني في بوشهر ، المستر بروس • وفعلا دارت المفاوضات بين الجانبين ، في ٢ تشرين الاول ، حول الموضوع • وقد مثل الجانب القاسمي حسين بن محمد بن غيث ، الذي حمل رسالتين من كل من الزعيم القاسمي حسن بن رحمة والامير الوهابي عبدالله بن سعود ، الى المستر بروس[١] • يعربان فيها عن الرغبة في التوصل الى التفاهم الايجابي معه • وقال المندوب القاسمي بأن الزعيم حسن بن رحمة قد خوله بالدخول في اتفاقية معه ، مشيرا الى ان القواسم يرغبون في قيام علاقات ودية مع الحكومة البريطانية ، على انهم « يأملون بأن لا نصر على منعهم من الطواف ضد الدول المعادية لهم ••• فاذا ضمنت الحكومة البريطانية حريتهم في هذا المجال ، فانهم لن يتعرضوا لهم او لسفنهم »[٢] •

رأى بروس ان الحكمة تقتضي الدخول في اتفاقية اولية مع حسن بن غيث ، متنازلا عن كل مطالبه السابقة و « مسدلا الستار على الماضي »[٣] • وبذلك تم التوصل الى (قولنامة) بينه وبين المندوب القاسمي في تشرين

---

(١) S.R.B.G., No. XXIV, p. 309.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. of 1st Feb., 1815.

(٣) S.R.B.G., No. XX1V, pp. 309-10, 'Warden, Joasmees'.

الإول ١٨١٤[٣] • نصت مقدمتها على رغبة الطرفين في استمرار علاقات الصداقة بينهما ودفن الماضي • وتضمنت ثماني مواد نصت على : احترام القواسم للعلم البريطاني بعدم التصدى لاية سفينة تحمل ذلـك العـلم • (مادة ١) ، ان تكون الموانيء القاسمية مفتوحة للرعايا البريطانيين • ويسمح لهم بزيارتها وممارسة التجارة فيها اسوة بالموانيء الأخرى في الخـليج (مادة ٢) ، يقدم القواسم المساعدة للسفن البريطانية التي قد تتحطم بالقرب من موانئهم (مادة ٣) ، يوافق القواسم ، منعا من وقوع التباس بين سفنهم وغيرها من السفن العربية ، على رفع علم احمر مكتوب عليه (لا اله الا الله محمد رسول الله) في الوسط ، وسيعتبر هذا العلم رمزا لدولتهم (مادة ٤)، يجب اعادة الممتلكات البريطانية ، اذا ما وجدت في سفن معادية للقواسم يقومون باسرها (مادة ٥) ، يتعهد حسن بن غيث باعادة ما وجد من بضائع بريطانية في رأس الخيمة ، في وقت عقد المعاهدة (مادة ٦) ، لا يجوز الغاء الاتفاقية من قبل أي من الطرفين ، الا بعد تقديم اشعار بذلك للطرف الآخر (مادة ٧) ، واخيرا يقوم حسن بن رحمة بارسال مندوب يمثله الى بومباي من اجل التوصل الى عقد معاهدة دائمية معالحكومة البريطانية (مادة ٨)[٢] • وبعد التوقيع عليها قدم بروس الى المندوب القاسمي هدية للشيخ حسن بن رحمة ، بلغت قيمتها ١٢٠٠ روبية[٣] •

حظي موقف بروس بتأييد حكومة بومباي • على ان هذه المعاهدة لم يقدر لها ان تعمر فترة طويلة ؛ حيث جوبهت بمعارضة من قبل قسم كبير من القواسم • ويشير بكنغهام الى المعاملة السيئة التي لقيها المندوب حسن بن غيث من جمهور رأس الخيمة بعد عودته اليها واجتماعه بحسن بن رحمة

---

(١) انظر الملحق رقم (٤) •

(٢) [I.O] Precis of Correspondence, pp. 56-7.

(٣) Ibid, p. 55.

وكبار القادة الآخرين[١] • ولكن يجب التأكيد بأن الزعيم القاسمي وكبار قادته لم يعلنوا رفضها رسميا ، وبالتالي فانها اعتبرت نافذة المفعول •

لقد تعرضت الاتفاقية الاخيرة الى اساءة التفسير حينما حاول الجانبان المتعاقدان تطبيقها ، وهذا ما يفسر الحوادث التي وقعت في الفترة ١٨١٤ — ١٨١٩ • اذ واصلت السفن القاسمية في خلال ذلك ، الطواف على مقربة من سواحل الهند ، ابتغاء التصدي للسفن التجارية التي لا يشملها الاتفاق السابق ، وقد عرض ذلك التجارة الهندية الى الخطر • وادى ذلك بأمراء السند الى تقديم التماس الى حاكم بومباي طالبين منه العمل من اجل تأمين الحماية البحرية ضد القواسم • ولكن حكومة بومباي رفضت الاستجابة ، على أساس ان الهجمات القاسمية على السفن غير البريطانية ليست من شؤون الشركة[٢] • وفي نفس الوقت عبر المستر ايفان نيبين Ivan Nepean حاكم بومباي ، الى المركيز هاستنكز ، الحاكم العام للهند ، عن مخاوفه من الخطر الذي يهدد تجارة بومباي من عمليات السفن القاسمية بالقرب من السواحل الهندية ، وانه يرى ضرورة اتخاذ الاجراءات الضرورية لكبحهم من تهديد تلك السواحل ، التي عانى منها الرعايا الهنود كثيراً[٣] • وقد اتفق الحاكم العام مع حاكم بومباي في وجهة نظره تلك الا أنه أدرك بأن الاخير قد قيد نفسه بقبوله تعهد حسن بن رحمة ، فكتب اليه في ١٥ نيسان ١٨١٥ قائلا[٤] :

« ان الممارسة القانونية والمنظمة للقرصنة [من قبل القواسم] ، تجعل

---

(١) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 245-6.

(٢) Kelly, op. cit., p. 131.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. of 1st Feb., 1815.

(٤) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 131.

من حق كل دولة متحضرة ومنظمة مهاجمتهم والقضاء عليهم ، استنادا الى المبادىء المعترف بها في الدفاع عن النفس ... ولكن الحكومة البريطانية قد سلبت نفسها من حق التصرف وفق ذلك . فلكونها قد أخذت تعهدات من القواسم باحترام تجارتها ، فانها تكون قد اعترفت بهم كقوة قادرة على المحافظة على العلاقات الدولية الاعتيادية مع الدول الاخرى » .

ظل القواسم ملتزمين بتعهدهم في عدم التعرض للسفن المبحرة تحت العلم البريطاني حتى آب ١٨١٥ . ويدل على ذلك انهم في بداية نيسان من ذلك العام ، أسروا سفينة من نوع (بغلة) متوجهة الى بومباي تحمل بضائع للتجار الهنود ، على مقربة من مغو ، وقد اعلم القائد القاسمي احد التجار الهنود الاسرى ، بأن القواسم لا يزالون في سلم مع البريطانيين ، وانهم لم يخرقوا اتفاقيتهم مع بروس لكونهم لا يعتبرون الهنود رعايا بريطانيين ، وقام القواسم باطلاق سراح الاسرى وعددهم ثلاثة وثلاثون شخصا وزودوهم بزورق صغير ، توجه بهم الى صحار ، وقدرت قيمة البضائع التي استولى عليها القواسم بـ ٣٫٠٠٠ روبية[١] . ولكنهم في آب ١٨١٥ مدوا مجال عملياتهم ضد السفن المبحرة تحت العلم البريطاني . فقد أسروا في ذلك الشهر ، بعض السفن الاهلية ، من ذلك النوع ، بالقرب من بوربندر Porebunder[٢] .

احتج بروس على العملية الاخيرة ، فأرسل زورقا الى رأس الخيمة يحمل رسالة احتجاج الى حسن بن رحمة لخرقه الاتفاقية المعقودة بينه وبين السلطات البريطانية . ولكن رسول بروس لم يتمكن من مقابلة الزعيم

---

(١) [I.O.] P.G.T.B., Book 18, From F. Warden to W. Bruce, 14th April, 1815.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 310; Low, op. cit., Vol. I, p. 338.

القاسمي ، حيث اجبر على العودة لدى وصوله قرب رأس الخيمة[١] • ويعلق واردن ، السكرتير العام لمجلس بومباي ، على تلك الحادثة بأنها « اثبتت عدم جدوى الاتفاقية ، وتصميم القواسم على مهاجمة كل السفن مهما كانت هويتها »[٢] •

اتخذت حكومة بومباي اثر تلك الحادثة ، اجراءات وقائية لحماية التجارة الهندية ، فأصدرت اوامرها الى الطرادات : (سلف) و (بواني Bowanny) و (برنس اوف ويلز) بالقيام باعمال الدورية، لحراسة السواحل الغربية الى الشمال من بومباي • وكانت التعليمات الموجهة الى قبطان (برنس اوف ويلز) ، وقائد هذه العمارة ، بأن يسعى الى دفع القواسم عن هذه السواحل ، وحذرته من الاشتباك بأية قوة بحرية متفوقة للقواسم ، وبنفس الوقت ان يبذل جهده لتدمير اية قوة قاسمية يتأكد من قدرته عليها[٣] • وقد اقر الحاكم العام للهند ، خطوة حكومة بومباي هذه مؤكدا « ان الوضع الحالي ، الناشيء عن اعتداءات القواسم على تجارة ميناء بومباي ، بالرغم من اتفاقيتهم الاخيرة ، فيبدو انه لا يوجد للطرادات الانكليزية عمل أفضل من قيامها بتدمير سفن القواسم او تأسيرها »[٤] •

شهدت سنة ١٨١٦ ، تزايدا كبيرا في نشاط القواسم البحري ، وامتد

---

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 310.

(٢) Ibid.

(٣) [I.O.] P.G.T.B., Book 18, From F. Warden to H. Moriton Superintendent of the Marine, Bombay Castle, 3rd Mar. 1815.

(٤) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, From the Court of Directors to Gov.-in-Council of Bombay, 19th May, 1815.

مجال هجماتهم ليشمل مناطق واسعة تمتد من سواحل الهند وحتى البحر الاخضر اضافة الى الخليج العربي • وتعرضت حتى طرادات الشركة المسلحة لهجماتهم • وفي رسالة من حكومة بومباي الى الحاكم العام ، أشارت فيه الى تزايد نشاط القواسم « لدرجة خطيرة قد تؤدي بهم الى السيطرة المطلقة على الخليج العربي ، الأمر الذي سيعرض التجارة البريطانية الى خطر كبير ، فيما اذا قرروا اتباع سياسة عدائية تجاهنا »[1] • هذا وقد تمكنت تشكيلة بحرية قاسمية ، في كانون الثاني ١٨١٦ ، مؤلفة من احدى عشرة سفينة ، من أسر اثنتي عشرة سفينة هندية قرب ساحل كوج[2] • واشتبكوا عند مدخل الخليج بالطراد (اورورا ذو ١٤ مدفعا) ، في معركة ضارية ، حاولوا في خلالها وبشكل متواصل اقتحام الطراد ، الا انهم أُجبروا على الانسحاب • وكان هذا الطراد يحرس (بغلة) فارسية كبيرة تحمل كنزا لحاكم مسقط[3] • وهاجموا سفينتي الشركة (سنترا Cintra) و (ماكولي Macculay)[4] •

ولم تقتصر هجمات القواسم على السفن البريطانية فحسب، بل شملت سفنا لدول اخرى أيضاً • وعلى سبيل المثال طاردوا السفينة الأمريكية (برشيا Persia) واطلقوا عليها النار ، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها • كما هاجموا سفينة فرنسية من موريشوس ونجحوا في اقتحامها

---

(١) Ibid, From the Bombay Gov. to the Court of Directors, 22nd Aug., 1815.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 310, 'Warden, Joasmees'.

(٣) Low, op. cit., Vol. I, p. 341; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 653-4.

(٤) Low, op. cit., 341; Grant, op. cit. Vol. I, p. 554.

وسلب بضائعها[١] • لقد حقق القواسم نجاحا كبيرا في عملياتهم ، بحيث ان أمير البحرين ، عبدالله بن احمد ، صرح علنا عن نيته بالتوجه (للقرصنة) ، « باعتبارها أضمن وسيلة للثروة والقوة »[٢] •

كانت اقوى ضربة موفقة للقواسم ، نجاحهم في اسر ثلاث سفن تجارية قادمة من سورات ، وهي تحمل رخص مرور بريطانية وترفع العلم البريطاني، قرب مخاء عند مدخل البحر الاحمر • هذه السفن هي (احمدي (Ahmedi) و (فتح مبارك Futteh Mubarak) و (سفر سلامات Sufer Salamut) كانت قد تركت سورات متجهة الى اليمن ، حينما اطبقت تشكيلة قاسمية مؤلفة من أربع بغلات وداوين على (احمدي) التي كانت تسبق الاخريات ، في ١٩ مارت ١٨١٦ • وبعد أربعة ايام ظهرت السفينتان الاخريان فاسرتا أيضا[٣] • وقد قتل ٥٦ رجلا من بحارة السفينة الاولى ، وقدرت قيمة البضائع المسلوبة بـ ١٠٠٠٠ روبية • وقد أفاد الوكيل البريطاني في مخا ، بأن العمارة القاسمية التي قامت بهذه العملية يقودها الامير ابراهيم بن رحمة ، أخو الشيخ القاسمي ، وان هذا القائد قام باطلاق سراح بقية الاسرى ، والسفن الثلاث بعد ان افرغها من حمولتها[٤] •

---

(١) Kelly, op. cit., p. 132.

(٢) S.R.B.G., No. XX1V, p. 311; Low, op. cit., Vol. I, p. 338; Lorimer, op. cit., 1A, p. 654; Villiers, The Indian Ocean, 180; Wilson, op. cit., p. 206.

(٣) Moyse-Bartlett, op. cit., pp. 69-70.

(٤) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, From the Bombay Govrt. to the Court of Directors, 18th Dec. 1816;[I.O] B.P.L., Vol. 5, Govrt.-in-Council to the Court, Bombay Castle 18th Dec. 1816; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 654.

ان ماجاء في بعض المصادر من ان عدد هذهالسفن هو اربع غير=

وزاد من خطورة الموقف بالنسبة لحكومة الهند ، قيام القواسم بأسر زورق مدفعية يدعى (تورارو Turrarow) تابع لبحرية بومباي « مما أثبت بشكل قاطع عدم التزامهم باحترام العلم البريطاني »(١) •

حركت خطورة عملية أسر سفن سورات الثلاث التي اشرنا اليها سابقا ، حكومة بومباي الى العمل السريع • فأصدرت اوامرها ، في ٨ أيلول ١٨١٦ ، الى الكابتن بردجز P.H. Bridges قبطان سفينة البحرية الملكية (چالنجر Challenger ذات الـ ١٨ مدفعا) بالتوجه الى الخليج لمساعدة بروس في استعادة البضائع المنهوبة من سفن سورات ومعاقبة المسؤولين عنها • ووضع تحت امرته كلا من طرادي الشركة (ميركري ـ ١٢ مدفعا) و (فستال ـ ١٢ مدفعا) • وقد أشارت التعليمات التي وجهت اليه ، في حالة رفض حسن بن رحمة الاستجابة لمطالب حكومة بومباي ان يشعره « بأن عليه أن يتوقع غضب الحكومة البريطانية الذي سوف ينصب عليه »(٢) • كما جاء في تلك التعليمات الموجهة الى بردجز أيضا ، ان يكون حذرا في مهمته في رأس الخيمة حيث نصت على :

« آخذين بنظر الاعتبار قوتنا البحرية في الخليج التي هي غير وافية لمجابهة سفنهم ، وليس امامها اية فرصة للنجاح ، فان من الحكمة ان لا تقوم بأي عمل هجومي ، الا اذا أجبرت على ذلك ولحين وصول

= دقيق •• ومن هذه المصادر :

Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 247-8; Low, op. cit., Vol. I, p. 341; Miles, op. cit., p. 321.

(١) S.R.B.G., No. XX1V, p. 311. 'Warden, Joasmees'.

(٢) Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 248-250; Low, op. cit., Vol. I, p. 344; Kelly, op. cit., p. 132.

الامدادات العسكرية لك »[١] .

وقد أيد مجلس المديرين في الحكومة العليا في الهند خطوة حكومة بومباي حسب الرسالة التي وجهها ذلك المجلس اليها ، والتي نصت[٢] :

« اننا نؤيدكم كليا في ارسالكم چالنجر وفستال وميركري الى الخليج ... من اجل تمكين المقيم لا باسترجاع الاموال المنهوبة ، التي تزيد قيمتها على عشرة آلاف روبية فقط ، ولكن لانزال العقاب الصارم بالضابط الذي وقعت تلك العملية والاعدامات تحت مسؤوليته [الامير ابراهيم] » .

هذا مع العلم بأن بروس كان قد ارسل احتجاجا الى حسن بن رحمة في شهر آب من نفس السنة ، اي قبل اقدام حكومة بومباي بهذا الاجراء ، وحمل الطراد (أريال) ذلك الاحتجاج الى رأس الخيمة . وقد جاء جواب الزعيم القاسمي منكرا قيام رجاله بأسر أية سفينة بريطانية . ومعلنا ان اتفاقية بوشهر ، لا تشمل الهنود ولكن « الانكليز من دين المسيح الذين يحملون رخصة مرور ويرفعون العلم البريطاني »[٣] .

مهمة بردجز – بروس في رأس الخيمة ١٨١٦ :

وصل اسطول بردجز بوشهر في تشرين الثاني ١٨١٦ ، حيث انضم اليه الطراد (أريال) ، ومنها ابحر قاصدا رأس الخيمة يرافقه بروس في ١٨ منه ، فوصلها مساء يوم السادس والعشرين . وفي صباح اليوم التالي ، أرسل المستر تايلر ، مساعد بروس ، برفقة مترجم في زورق ، حاملا

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, From Bombay Govrt. to the Court, 18th Dec., 1816.

(٢) Ibid, From the Court of Directors to the Bombay Govrt., 26th Feb., 1817.

(٣) Ibid, Cons. No. 54, 31st Dec., 1816; also Buckingham, op. cit., II, p. 342; Kelley, op. cit., p. 133.

رسالة من المقيم الى حسن بن رحمة ، ضمنها مطالب حكومة بومباي وهي : اعادة حمولة سفن سورات الثلاث ، وتسليم امير البحر ابراهيم بن رحمة ، المسؤول عن العملية ، مع اثنين من اولاد الزعيم القاسمي ، للاحتفاظ بهم في بومباي كرهائن من اجل ضمان سلوك القواسم السلمي في المستقبل[1] .
وحددت الرسالة ظهر نفس اليوم ، موعدا لتسلم الجواب الذي « في ضوئه سيتصرف الاسطول »، ولكن المستر تايلر ما لبث ان عاد بعد وقت قصير معلنا ان القواسم رفضوا السماح له بدخول المدينة لمقابلة الزعيم[2] . ولذلك فقد توجه بردجز بنفسه الى الساحل ، يرافقه الرحالة والكاتب الشهير بكنغهام ، كمساعد ومترجم . وقد لاحظ القائد عند اقترابه من المدينة ان :

« تحصيناتها قوية جدا . وكانت أربع داوات كبيرة راسية في الميناء تحمل رجالها وهي مستعدة للاقلاع ، وما بين اربعين او خمسين سفينة صغيرة مهيأة للطوارىء . وعدد الرجال المسلحين يبدو كبيرا . وقد قويت دفاعات المدينة منذ الحملة الاخيرة ، وانهم في حالة دفاعية أفضل من اي وقت سابق . تبدو عليهم الثقة بقدرتهم على تحطيم اية محاولة هجوم يتعرضون لها ، كما بدا لنا ذلك حين رؤيتهم لطراداتنا ... ولذلك فان القوة التي سيعهد اليها بالعمل ضدهم يجب ان تكون كبيرة جدا »[3] .

رافق وفد قاسمي الكابتن بردجز وبنكغهام لدى وصولهم الى الساحل ، وقادهم الى قلب المدينة للقاء حسن بن رحمة . ونترك وصف هذا اللقاء لبكنغهام حيث يقول[4] :

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 31, 15th Jan., 1817; Buckingham, op. cit., II, pp. 345-6.

(٢) Low, op. cit., Vol. I, p. 343.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 31, 15th Jan., 1817.

(٤) Buckingham, op. ci.t, Vol. II, pp. 249-51.

« التقينا بالزعيم الذي كانت تحيط به حاشية مؤلفة من خمسين رجلا ، معظمهم وبضمنهم قائدهم يتقلدون سيوفا كبيرة على الطراز النورماندي القديم ، مع سكاكين طويلة مستقيمة وعريضة ، وبعضهم يحملون رماحا قصيرة ودروع مزخرفة بقطع معدنية ... اما الزعيم فانه رجل ضئيل الجسم يبدو في حوالي الاربعين من العمر ، يرتدي الملابس العربية الاعتيادية ، ولكنه دون البقية يعتمر عمامة من الكشمير ... نظراته تعبر عن المكر ، تشوبها سخرية واضحة في ابتسامته ، احدى عينيه كانت مصابة بجروح ، ولكن تقاطيعه الاخرى وسيمة ، اسنانه بيضاء ومنتظمة بشكل جميل ، بشرته داكنة ولحيته الخفيفة مركزة عند حنكه » .

طرح بردجز على الزعيم المطالب البريطانية ، وطلب منه الاجابة . فكان جواب الشيخ بانه سيقدم جوابه عند الظهر .

قدم مبعوث يمثل حسن بن رحمة ، في الوقت المحدد ، الى (چالنجر) لمقابلة بروس . وعند اجتماعه بالمقيم البريطاني ، أبدى المبعوث دهشته من الطلبات المقدمة ، منكرا قيام القواسم بخرق الاتفاقية ، حيث انهم لم يهاجموا اية سفينة انكليزية ولم يستولوا الا على « ممتلكات تعود للهندوس ووثنيين آخرين من الهند »، وانهم لايعتبرون اي قسم من غرب الهند تابعاً لبريطانيا، فيما عدا بومباي ومنكالور Mangalore وبعكس ذلك ، فانه قد يأتي وقت يمتلك فيه البريطانيون كل الهند « تاركينهم لا يجدون شيئا لسلبه ، فماذا عليهم ان يفعلوا حينذاك ؟ » . وختم المبعوث اللقاء بتأكيده ان القواسم يحترمون الممتلكات البريطانية دون غيرها ، فطلب منه بروس ان يخبر الزعيم استياء الحكومة البريطانية لعدم الاستجابة للمطالب[1] .

ولقد وصل رسول آخر من قبل حسن بن رحمة الى بروس فبيل

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 31, 15th Jan., 1817.

مغادرة الاسطول البريطاني مرساه ، أخبر بروس انهم فعلا قاموا بأسر سفن سورات ، ولكن الغنيمة قد وزعت في اللحظة التي وصلت فيها السفن الى رأس الخيمة . وانه قد مضت فترة طويلة على ذلك ، وحاليا فانهم لا يمكنهم التعويض عنها لكونها اكثر مما يمتلكوه في الوقت الحاضر . وعرض على بروس ان يقبل شخصا آخر غير أمير البحر ابراهيم ، كما قدم اليه عرض الشيخ بارسال ممثلين عنه الى بومباي لمعالجة القضية . وحينما رفض بروس هذه العروض مصرا على طلباته السابقة ، طلب منه الرسول امهالهم حتى ظهيرة اليوم التالي لدراسة الامر بصورة تفصيلية بين الزعماء[1] .

ولدى عودة الرسول ، هب نسيم قوي من الشمال الغربي ، فاضطر الاسطول الى التوجه نحو البحر ، وعند فجر ٢٨ تشرين الثاني ، كان قد اقترب من جزيرة قشم ، ورسا بالقرب من جزيرة أنجار Anjar ولم يتمكن من العودة الى رأس الخيمة حتى يوم ٣٠ منه . وقد اوضح بروس للزعيم القاسمي سبب اقلاع الاسطول وطالبا اجابته الاخيرة على المطالب البريطانية ، ولكن الزعيم كرر رفضه الاستجابة لها[2] .

اتفق بروس وبردجز على قيام الاسطول ، قبل مغادرته ، بعملية محدودة ضد رأس الخيمة ، ليظهرا للقواسم استياء بريطانيا من موقفهم ، متجاهلين بذلك تحذير حكومة بومباي بتجنب القيام بعمل عدائي الذي سبق ان أشرنا اليه في تعليمات بردجز . أصدر قائد الاسطول اوامره للقطع الاربع بالتقدم الى اقرب مايمكن من الساحل وفتح النار على سفن الداو الاربع الراسية في الميناء والمليئة بالرجال المسلحين ، الذين قدر عددهم بحوالي ستمائة رجل . ولكن القنابل قصرت في الوصول الى اهدافها « وأخذ رجال

(١) Ibid, Same Cons; Buckingham. op. cit., Vol. II, pp. 358-9, 372.

(٢) Buckingham, op. cit., 360, 372; Low, op. cit., Vol. I, pp. 344-5; Kelly, op. cit., pp. 133-4.

تلك السفن يلوحون بأسلحتهم في الهواء بحركة تحد وثقة » ، فجازفت السفن البريطانية بالاقتراب اكثر « حتى لم يبق بين قعرها وقاع البحر سوى أقل من قدم » وأعادت اطلاق قذائفها بغزارة ، بحيث زاد عدد ما اطلق على ثلثمائة قنبلة ، ولكن بدون ان تحدث اي تأثير • ردت سفن الداو على النار بالمثل ، ولكن قنابلهـا هي الاخرى لم تصل الهـدف • وعنـد ذاك اطلقت القلعتان القائمتان على الساحل ، نيران مدافعها « مصوبة بدقة ومقدرة فاقت التهديف الانكليزي » فأطـارت احـدى قنابلها الصاري الامامي لفستال • وقد زاد هـذا في حماس القواسم ، فرفعوا اعلامهـم على كل القـلاع « وتحشد جمهور غفـير من الـرجال على الشاطىء يحملون رايات كبيرة ترتفع على أعمدة طويلة ، واخذوا يهزجون حولهـا بتحـد واستخفـاف ومطلقين بنادقهم في الهواء »[١] • قرر بردجز ، بدراسة سريعة للموقف ، قطع العملية ، فأصدر أمـره للطرادات بايقاف اطـلاق النار والانسحاب ؛ وكانت الساعة تشير الى الرابعة عصرا من يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٨١٦[٢] •

كانت هذه المظاهرة البحرية البريطانية لعرض القـوة عنـد رأس الخيمة ، وبكل المقاييس والحسابات ، فاشلة بشكل شنيع[٣] • وما هو اخطر من ذلك « انها زادت في ازدراء القواسم بقوة بريطانيا »[٤] • فقد اصبحوا بعدها غاية في الجرأة ، ونشاطهم البحري ضد السفن البريطانية ، فعـال للغاية[٥] • ويعلق بكنغهام على تلك العملية الفاشلة قائلا[٦] :

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر :
Buckingham, op. cit., Vol. II, pp. 373-6.

(٢) Low, op. cit., Vol. I, p. 345.

(٣) Graham, op. cit., p. 247.

(٤) Kelly, op. cit., p. 134.

(٥) Belgrave, op. cit., p. 37.

(٦) Buckingham, op. cit., Vol. II, p. 377.

« لو تم التقيد بتعليمات حكومة بومباي ، لظل القواسم في حالة من انشك بنتائج اسرهم السفن الانكليزية التي أثارت هذا التهيج ، ولظلوا بين الامل والخوف ؛ مما كان سيتيح لحكومة بومباي الوقت الكافي للتحضير لحملة كبرى ضدهم ، بدون ان تتعرض سفنها الى خطر الأسر خلال فترة الأعداد لتلك الحملة . ولكن هذا التصرف من الحرب المكشوفة ... وفشلنا في محاولتنا هذه ، قد وضع نهاية للسلام » .

وعم الاستخفاف بقوة بريطانيا كل الموانيء القاسمية والحليفة للقواسم ، مثل لنجة وخارج ، على الساحل الشرقي ، الى جانب لافت في قشم ، واصبحت « جميع هذه الموانيء متساوية في ازدرائها بقوة بريطانيا ، كما اكتشف بروس ذلك حينما حاول استعادة جزء من حمولة سفن سورات ، كانت قد وجدت طريقها عبر الخليج منهم ، وكل ما حصل عليه من زعماء هذه الموانيء هو الانكار الهازيء بجهلهم مصدر تلك البضائع »[1]. بل ان شيخ خارج أرفق انكاره هذا بالقول « انه على أية حال لن يقوم باعادة تلك البضائع في حالة وجودها ، وانه يأسف على انه قام بمثل ذلك في الماضي ، وانه لا يخشى الانكليز »[2]. كما علم بروس بأن الشيخ سلطان ابن صقر ، شيخ القواسم السابق وحاكم الشارقة في هذا الوقت ، قد أعلن تضامنه مع حسن بن رحمة ، وتعهد بدعمه فيما اذا تعرضت رأس الخيمة الى اي هجوم[3] .

ضاعف من خطورة الوضع بالنسبة الى حكومة الهند ، القوة البحرية الكبيرة التي كان يمتلكها لقواسم في تلك الفترة . اذ قدرت حكومة بومباي

---

(١) Kelly, op. cit., p. 134.

(٢) Quoted in: Moyse-Bartlett, op. cit., p. 75.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 3 15th Jan., 1817.

قوة القواسم ، بحسب التقارير التي وردتها من وكلائها بـ : تسع وثمانين سفينة كبيرة ، واحدى وستين سفينة صغيرة ، وعـدد رجالهـا المسلحـين بـ ١٠٫٣٠٠ رجل[1] • وقدر كل من بكنغهام ولو هـذه القوة بمائة سفينة كبيرة وحوالي ٨٫٠٠٠ مقاتل ، اضافة الى ٤٠٠ مدفع[2] • ولكن بكنغهام يعقب على ذلك بقوله[3] : « ولكن من الصعب ان تجمع تلك القـوة مرة واحدة، الا انه في حالة تعرض رأس الخيمة لهجوم، فانه بالامكان حصولهم على النجدات من الداخل ، في خلال فترة خمسة عشر يوما » • وكان من بين النتائج الاخرى لعملية بردجز ـ بروس ، انهـا كادت ان تؤدي الى التورط مع الوهابين ايضا • فقد غضب الامير عبدالله بن سـعود بشـدة ، من محاولة قصف رأس الخيمة ، وعبر عن غضبه في رسالة موجهة الى بروس في شباط ١٨١٧ ، وبعد ان اعاد تأكيداتـه بعـدم التعرض للسفن الاوربية التي تحمل العلم البريطاني ، واصل منذراً بروس بأن الحملـة القرصنية ستستمر بنشاط قائلا[4] :

« وعلى كل حال ، وفيما يتعلق بالذي لا يعود للبريطانيين ، فانني حر من كافة التزاماتي • كيف يمكنك الافتراض بأن علينا اعـادة الغنيمة التي اخذناها من أعدائنا ؟ ••• انني اعلن نفسي مسؤولا عن سلوك كل المؤمنين تجاه الرعايا البريطانيين • ولـكنني اعلن بأن سكان كل من مصر وجـدة واليمن وصحار والمكلا ومسقط والبصرة والعراق والرعايا الفرس لسعيد

(١) Ibid, Extract Pol. Letter from Bombay Govrt. to the Court of Directors, 9th Aug. Sec. Cons. No. 5, 20th Jan., 1819.

(٢) Buckingham, op. cit., II, p. 353; Low, op. cit., Vol. I, pp. 343-4.

(٣) Buckingham, op. cit., p. 353.

(٤) Quoted in: Kelly, op. cit., p. 135.

ابن سلطان ، هم جميعا أعداؤنا ، وبمعونة العلي القدير ، فانني أؤكد باننا سنقتل رجالهم ونصادر أموالهم أنى وجدناهم ، متابعة لاوامر الله العظيم » .

وفي سبيل مواجهة تزايد الخطر القاسمي على اثر عملية الهجوم على رأس الخيمة الفاشلة ، امرت حكومة بومباي بقاء الفرقاطة (چالنجر) مع ثلاث طرادات في الخليج في موسم ١٨١٦-١٨١٧ ، حيث تقرر وضع نظام مواكبة للسفن التجارية ، وقد تقدم بردجز بطلب المزيد من السفن الحربية لتنفيذ هذا الأمر[١] .

تزايد النشاط البحري للقواسم ١٨١٧ - ١٨١٩ :

لقد تصاعد النشاط البحري القاسمي بشكل خاص على أثر فشل عملية بردجز - بروس ضد رأس الخيمة . وبادرت حكومة بومباي ، بما كانت تمتلكه من امكانات ، الى اتخاذ الوسائل للحد من ذلك النشاط ، لحين تمكنها من تصفية الحساب بشكل حاسم مع القواسم . وقد شهدت الفترة ١٨١٧-١٨١٩ ، صراعا عنيفا بين القطع البحرية للطرفين ، امتد ميدانها من سواحل الهند الغربية حتى الخليج العربي .

رافق النجاح الواسع عمليات القواسم قرب السواحل الهندية منذ بداية سنة ١٨١٧ . وقد اشار تقرير حكومة بومباي الى ذلك النجاح مضيفا « على الرغم من كل الاجراءات التي اتخذناها بواسطة طراداتنا لحماية التجارة في ذلك القطاع »[٢] . وامتدت الهجمات القاسمية فشملت السفن الحربية البريطانية . ففي شهر شباط ١٨١٧ ، باغتت سفينتان قاسميتان من نوع (بغلة) زورق المدفعية التابع لبحرية بومباي المسمى (دريا دولوت

(١) Moyse-Bartlett, op. cit., p. 75.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 3, 15th Jan., 1817.

(Deriah Dowlut بالقرب من بورباندر Porbander ونجحتا في الاستيلاء عليه • وقد خسرت السفينة البريطانية ، من مجموع بحارتها الثلاثة والثلاثين ، سبعة عشر قتيلا ، وأخذ ثمانية منهم أسرى الى رأس الخيمة ، اما الجرحى فقد انزلهم القواسم على ساحل مكران ، حيث التقطهم الطراد (سلف) فيما بعد[1] • وبعد وقت قصير من وقوع ذلك الحادث ، نجحت عمارة قاسمية ، مؤلفة من احدى عشرة سفينة ، في أسر سفينتين هنديتين • وفي طرق ماندفي Mandavie [2] وقعت في اسرهم تسع سفن هندية اخرى[3] •

تحت ضغط المخاوف من التعرض لمزيد من الكوارث ، استجاب القائد العام للبحرية في المياه الهندية ، لطلب حكومة بومباي ، فأصدر اوامره الى الكابتن هل Hill قبطان سفينة البحرية الملكية الحربية (توفي Tovey) بأن يقوم على رأس تشكيل بحري ضم فرقاطة البحرية الملكية (باخوس Bachus) وطرادات الشركة (برنس اوف ويلز) و (سلف) وزورقي مدفعية ، بالطواف على طول السواحل الشمالية للهند ، قبل ان يتوجه الى الخليج لحماية السفن التجارية[4] • ولكن الكابتن (هل) لم

---

(١) Ibid, Cons. of 5th Mar., 1817.

أما لوريمر فانه يحدد تاريخ الهجوم على (دريا دولوت) بشهر كانون الثاني سنة ١٨١٦

(Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 653)

ولكن بمقارنة ذلك بسجلات رئاسة بومباي يظهر ان الصواب قد جانبه في ذلك •

(٢) ماندفي ميناء يقع عند مدخل خليج كوج الى الشمال من ديو •

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 10, 5th Mar., 1917.

(٤) Ibid.

يحقق أي نجاح في اعتراض اية سفينة قاسمية[١] ٠

أصبح ميناء مسقط محور نظام المواكبة للسفن المبحرة في الخليج وصدرت الاوامر من حكومة بومباي، الى كل سفن البحرية الملكية وطرادات الشركة، بتدمير اية سفينة قاسمية يلتقون بها في البحر الاحمر والخليج العربي والمياه الهندية، وترك حاكم بومباي « للقائد العام للبحرية حرية اتخاذ اي اجراء يراه مناسبا من اجل تدمير اساطيلهم »[٢] ٠

ضاعفت السفن الحربية البريطانية نشاطها في تعقيب ومحاولة تدمير أي سفينة يشك في أمرها ٠ وعهد بمهمة الطواف الدائمي في الخليج الى تشكيلة بحرية مؤلفة من الطرادات (ثيتس) و (بسيج) و (انتلوب) و (كونوي Conway) : (بنارس Benares) و (ميركري) ، ثم عززت هذه العمارة بفرقاطة البحرية الملكية (ايدن Eden) في خريف السنة التالية ١٨١٨ ٠ وقد بذلت هذه الطرادات جهدها لاعتراض السفن القاسمية، ولكن تقرير حكومة بومباي لاحظ بأسى انه « على الرغم من أقصى الجهود التي بذلها قادة طراداتنا، الا انهم فشلوا في اعتراض اي من سفنهم »[٣] ٠ وفي الواقع ان القواسم لم يكلفوا انفسهم كثيراً عناء الفرار امام الطرادات البريطانية، وكل ماكانوا يفعلونه هو المحافظة على مدى طلقة مدفع عنها ٠ ويعلق تقرير حكومة بومباي على ذلك بالقول[٤] :

« على الرغم من ان طراداتنا التقت بعدة تشكيلات قاسمية، الا انهم كانوا دائما ينجحون في التملص ٠ ويعود ذلك الى تفوق سفنهم في سرعة الابحار على طراداتنا الحربية ٠ ان ثقتهم العالية بهذه الميزة تجعلهم يكتفون

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, Cons. No. 44, 5th Nov., 1817

(٤) Ibid, Cons. No. 44, 5th Nov., 1817

بالبقاء بعيدا عن مدى المدفعية ، حتى حلول الليل ليس غير • ثم يتسللون عائدين الى الساحل ••• لذا فقد اصبح ضروريا وبشكل ملح ، بناء سفن بحريتنا على اسس جديدة ، لتحسين قدرتها الملاحية بقدر الامكان » •

ان فشل اجراءات حكومة بومباي في تحقيق نتائج ايجابية ، دفع نيبين ، حاكم بومباي ، الى رفع تقرير الى الماركيز هاستنكز ، الحاكم العام للهند ، أشار فيه الى أنه « بالرغم من كل جهودنا ، فاننا عجزنا في تحقيق تحطيم قوة القواسم ، ولم يبق امامنا الا اعداد حملة عسكرية قوية لتحطيم اساس قوتهم »(١) •

اتفق الحاكم العام مع وجهة نظر حاكم بومباي ، فأصدر اليه تعليماته بأن يقوم بتحقيقاته وبأسرع ما يمكن عن حجم وتكوين القوة المتطلبة لهذه المهمة ، ولكنه اضاف الى ذلك قوله ، ان اعداد حملة الى الخليج في هذه الفترة هو أمر خارج عن الصدد ، اذ ان مثل هذه الحملة هي فوق ما تتحمله امكانات حكومة بومباي ، كما ليس بالامكان توفير قوات عسكرية من الهند الى حين انتهاء الحرب مع الماهراتا والبنداري Mahratta(٢) and Pindaris .

---

(١) Ibid, Cons. No. 12, 14th Mar., 1817.

(٢) Ibid, Cons. No. 29, 21st July, 1819.
اندلعت تلك الحروب في الفترة ١٨١٧ ــ ١٨١٨ ، وقد تطلبت خطورة الحالة الى اشراك معظم فرق الجيش الهندي والفرق الاوربية وقوات البحرية • انظر :

(Patrick Cadell, History of the Bombay Army, (London, 1938), Chap. VIII, pp. 134-59, and App. I)

في سنة ١٨١٦ ، أخذت قوات البنداري ، وهي قوات غير نظامية جرى تسريحها ، فتحولت الى عصابات منظمة ، تقلق المناطق الوسطى والغربية من الهند .وقد قرر المركيز هاستنكز ، بالرغم =

استبشرت حكومة بومباي بتحولات الاحداث في غربي الجزيرة العربية ، حيث جدد محمد علي باشا حملته ضد الوهابيين في خريف ١٨١٦ • وفي شباط ١٨١٨ تقدمت قوات ابراهيم نحو الدرعية وفرضت عليها الحصار في نيسان ، ذلك الحصار الذي استمر قرابة خمسة شهور • وانتهى باستسلام الامير عبدالله بن سعود لابراهيم باشا في ٤ أيلول من نفس ذلك العام ، بعد مقاومة ضارية كلفت الطرفين خسائر باهضة فتم تخريب العاصمة الوهابية تماما ، وارسل الامير عبدالله أسيرا الى القاهرة ومنها الى الاستانة ، حيث قطع رأسه في نهاية السنة في ساحة سانتا صوفيا[1] • وهكذا زالت احدى العقبات امام الحملة البريطانية المزمعة ، حيث أنها أمنت بريطانيا عدم احتمال توريط نفسها في حرب طويلة في الجزيرة العربية •

لم يكن لسقوط الدرعية وانهيار الدولة الوهابية الاولى في الجزيرة العربية ، ولخيبة أمل حكومة بومباي ، الا صدى ضعيف على ساحل الخليج ؛ فقد تزايدت جرأة القواسم ، ونادرا ما لاحظوا زوال ذلك الظهير

= من معارضة مجلس المديرين ، القضاء عليهم ، فحشد جيشين بلغ عدد قواتهما ١٢٠,٠٠٠ جندي • هذا العدد الضخم ادى الى اثارة قلق وشكوك الماهراتا ، اذ لا يعقل بان مثل هذه القوات هي للقضاء على البنداري فقط • وكانوا على حق في شكوكهم • وفي الالتحامات التي تلت ذلك ، نجح الانكليز في الاستيلاء على ديكان Decan وضمها الى رئاسة بومباي ، وفتح ناكبور Nagpur واستسلم الزعيم الماهراتي هولكر Holker في كانون الثاني ١٨١٨ ، كما تم في نفس الوقت تحطيم البنداري ايضا • (وردت تفاصيل هذه الحرب في مذكرة المركيز هاستنكز الخاصة ، والمثبتة في : (Muire, op. cit. pp. 261-70) وعن الماهراتا ونشأتهم وعلاقاتهم بالانكليز والتي وردت بايجاز واضح ، انظر :

(Michael Edwards, Asia in the European Age 1498-1955, (London, 1961), pp. 58-9).

(١) Kelly, op. cit., pp. 137-8.

القوي من الجانب البري[1] . اذ ان اعتمادهم في الاساس على البحر . وشهد الموسم التجاري ١٨١٨-١٨١٩ نشاطا كبيرا للقواسم ذكرت عنه رسالة حكومة بومباي الى مجلس المديرين بانه « يفوق الوصف في الجرأة في جهات سواحل الهند الغربية والشمالية » واضافت تلك الرسالة « لقد استخدمنا ما لا يقل عن سبع طرادات حربية في ذلك القطاع فقط ، ومع ذلك نجحوا في القيام بعمليات أسر كثيرة ، ولم ننجح في أسر أية سفينة قاسمية »[2] .

حاولت عمارة بريطانية مؤلفة من الفرقاطة (ايدن) والطرادين (ثيتس) و (بسيج) ، في كانون الاول ١٨١٨ ، اعتراض تشكيل بحري قاسمي مؤلف من أربع عشرة (داو) ، قادمة من ساحل كوج ، بالقرب من ساحل بلوجستان ، ولكن القواسم نجحوا بالافلات[3] . وفي نفس الشهر اشتبكت سفينة الشركة الحربية (انتلوب ذات ١٤ مدفعا) بمعركة عنيفة مع تشكيل بحري قاسمي كان يخوض معركة ضارية ضد سفينتين مسقطيتين[4] . وفي صباح ٢٥ كانون الاول ١٨١٨ ، التقت (ايدن) و (بسيج) بترانكيين قاسميين ، ولكن سرعة ابحار الاخيرين ، أفشلت محاولة اعتراضهما[5] . وفي نفس اليوم ، واصلت (ثيتس) مطاردة سبع سفن قاسمية من نوع

---

(١) Kelly, op. cit., p. 137.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, From Bambay Govrt. to the Court of Directors, 9th Oct., 1819.

(٣) Low, op. cit., p. 347.

(٤) أنظر أعلاه ص ١٩٣ .

(٥) Low, op. cit., Vol. I, p. 348.

(بغلة) و (ترانكي) ولكن المطاردة لم تسفر عن نتيجة[١] • وفي صباح ٢٦ منه ، طاردت نفس السفينة ، اربع سفن قاسمية اخرى ، ولكن سرعة ابحار الاخيرة جعلت المطاردة « غير ذات جدوى »[٢] • وفي نفس اليوم ، ٢٦ كانون الاول ١٨١٨ ، التقى الكابتن لوك Lock قبطان (ايدن) ، بثماني داوات قاسمية على مقربة من رأس مسندم ، ونجح هذه المرة في اغراق ثلاث منها ، ونجحت الباقيات بالانسحاب[٣] • ولم يتورع الكابتن لوك قبطان (ايدن) وقائد العمارة البريطانية في الخليج المؤلفة من (كونوى وبنارس ومير كرى وانتلوب) ، من مهاجمة أية سفينة عربية بمجرد الشبهة • فعندما كان في البحرين في شباط ١٨١٩ ، للتحقيق في تقرير عن قيام القواسم بأسر بعض العوائل الاوربية ، وثبت ان التقرير لا اساس له من الصحة ، قام قبل ان يغادر الميناء بمهاجمة سفن عربية راسية في ميناء الجزيرة واقتاد اثنتين منها بحجة انها قاسمية • هذا على الرغم من تأكيد شيخ البحرين له بأنها تابعة لبني ياس • وقد قدم الشيخ احتجاجا الى حكومة بومباي لخرق حياده ، كما طالب شيخ ابو ظبي بالتعويض[٤] •

حكومة بومباي ترفض مهادنة القواسم :

اضطر الشيخ القاسمي ، حسن بن رحمة ، على اثر تزايد مخاوفه من الخطر المصري ، الذي اصبح يهدد منطقة الخليج بعد سقوط الدرعية ،

---

(١) Low, op. cit., pp. 348-9.

(٢) Ibid, p. 349.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Cons. No. 52, 5th Nov., 1819.

(٤) Ibid.

وخشيته من حدوث اتفاق ، موجه ضد القواسم ، بين حاكم مسقط وابراهيم باشا الى ان يحاول تسوية المشاكل البحرية مع الانكليز سلما وذلك في آذار ١٨١٩[1] • فانتهز الشيخ الفرصة التي سنحت له عندما وردت اليه رسالة بعث بها قائد العمارة البريطانية في الخليج ، الكابتن لوك من البحرين ، بشأن تبادل الاسرى بين الطرفين ، وحاول ان يستأنف مع سلطات بومباي المفاوضات ، التي كانت قد توقفت على اثر عملية بردجز - بروس ، ضد رأس الخيمة في ٣٠ تشرين الثاني ١٨١٦ • لقد حمل رسالة لوك المشار اليها ، الكابتن كونيرس Conyers الذي وصل رأس الخيمة على ظهر الطراد (ميركري) • وبنتيجة الاتصالات بين كونيرس والشيخ حسن بن رحمة ، توصل الاثنان الى اتفاق حول تبادل الاسرى[2] • وانتهز الشيخ القاسمي هذه المناسبة فحمل الكابتن كونيرس رسالة الى حاكم بومباي ، طالبا من الحاكم ان يرسل رده عليها مع الاسرى العائدين من بومباي ،

---

(١) لنفس تلك الاسباب حاول القواسم البحث عن قاعدة بحرية قوية ، تكون كخط رجعة لهم في حالة تعرضهم الى هجوم مصري من الغرب • ووقع اختيارهم على ميناء باسيدو ، الواقع في النهاية الغربية بجزيرة قشم لبناء مثل هذه القاعدة • ولكن حين وصلت انباء هذه الحركة من جانبهم الى حكومة بومباي اصدرت أوامرها الى قائد الاسطول في الخليج ، الكابتن لوك ، بان يبذل كل ما بوسعه للحيلولة دون تنفيذ ذلك
(S.R.B.G., No. XX1V, p. 313, 'S. Hannell, Continuation of the Foregoing Sketch to the Year 1831'; Low, op. cit., Vol. I, p. 346)
ويقول لوريمر ان لعملية (انتلوب) التي اشرنا اليها سابقا ، ضد الاسطول القاسمي الذي كان مشتبكا مع (الرحماني) ، دور كبير في اضعاف القوة القاسمية ، التي كان عليها تنفيذ هذا المشروع • (Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 658)

(٢) [I.O] F.R.P.P.G, Vol. 32, Cons. No. 57, 9th Oct., 1819.

مؤكدا بانه حتى ذلك الوقت سيوقف كل العمليات المعادية ضد السفن البريطانية • وقد أرفق كونيرس رسالة الزعيم القاسمي مع تقريره عن محادثاته في رأس الخيمة • جاء في رسالة حسن بن رحمة ، بانه لا يزال يعتبر معاهدة ١٨١٤ مع بريطانيا قائمة ، وانه لم يرتكب اعتداءات تجاه البريطانيين ، مضيفا بأن الكابتن كونيرس قد اتصل به من أجل « التوصل الى السلام بوضع حد للعداوات بيننا ، وان لا يقوم اي طرف بالتعرض للطرف الآخر • وفي الحقيقة فان كل رعاياي يخضعون لاوامري في السلام والحرب ، ومن الآن فصاعدا ، اذا ما وقع اي من رعاياكم او ممتلكاتهم في أيدينا ، فاننا سنقدم لهم كل الرعاية ونعيدهم بسلام ، وان عليكم ان تسلكوا نفس هذه السياسة فيما يتعلق بأفراد قومي وممتلكاتهم التي تقع في ايديكم ••• لقد أوضح الكابتن كونيرس ان تحقيق نتيجة ايجابية من مفاوضاته تعتمد على حاكم بومباي ، ولهذا فاريد ان اعلم تقييمكم لهذه المفاوضات برسالة مختومة بتوقيعكم تؤكد رسمية المفاوضات • فمن اجل اعادة العلاقات الودية بيننا ، كما أمر العلي القدير بتقديم السلام لاولئك الذين يرغبون في السلام ••• عليكم ان تكتبوا جوابكم بسرعة ، وآمل ان يعود مع رجالي الاسرى ، الذين تعهد الكابتن كونيرس باطلاق سراحهم ، في خلال ثلاثة اشهر من تاريخ هذه الرسالة ، بحسب الاتفاق الذي عقد بيننا »[1] •

لم يقر الكابتن لوك تصرف كونيرس ومحادثاته في رأس الخيمة ، فأرسل الى حسن بن رحمة رسالة يعلن فيها ان الكابتن كونيرس لا يملك السلطة للدخول بأي نوع من الاتفاقيات ولا التفاوض بشأنها ، وان مثل تلك الشروط ، في حالة التوصل اليها ، لن تكون ملزمة • وان على الزعيم القاسمي « ان يعرض شروطه اليه فقط وسيقوم بدوره بتحويلها الى بومباي،

(١) Ibid, Cons. No. 53, 9th Oct., 1819.

اذا كانت جديرة بالقبول »[1] • وقد أيد حاكم بومباي الكابتن لوك على موقفه هذا ، على أساس ان الطريقة التي سلكها الكابتن كونيرس ، ضمانا لاطلاق الاسرى ، ستقدم للزعيم القاسمي الثقة والتشجيع • ومع ذلك فقد كتب حاكم بومباي جوابا على رسالة حسن بن رحمة ، ارسله مع الاسرى القواسم المغادرين الى الخليج ، أشار فيه الى انه يجد صعوبة في دراسة طلبه دون ان يحس بشعور الخيبة حينما يتذكر انه لم يكن قد مضى وقت طويل على عقد معاهدة ١٨١٤ التي نظمت العلاقات بين القواسم وبريطانيا ، حتى قامت السفن القاسمية بمهاجمة وأسر السفن العائدة للشركة ، وكيف ان بروس فشل في مهمته حينما قدم الى عاصمته لاستعادتها • وختم جوابه بالقول : « ان حكومة بومباي لا يمكنها القبول بعروض للمفاوضات على اساس الشروط التي تضمنتها رسالته • اما فيما يتعلق بالهدنة مع الكابتن كونيرس والتي قام بها قبل الرجوع الينا ، فانها قد درست في حينها من قبل الكابتن لوك ، وان حكومتنا متفقة معه كليا في ذلك »[2] •

ليس من الصعب تفسير موقف حكومة بومباي في هذه المناسبة • ففي الوقت الذي كتب فيه حاكم بومباي رسالته تلك ، كانت حكومة الهند ماضية في تكملة استعداداتها لحملة كبرى ضد القواسم • فعلى اثر عودة السلام الى اوربا ، بالقضاء على نابليون ، وتمتع بريطانيا بتفوق حاسم في البحار الهندية ، وانتهائها من حروبها مع الماهراتا التي اسفر عنها فرض الهيمنة المباشرة على معظم الهند ؛ وجدت ان المجال قد اصبح مفتوحا لها لجعل الخليج منطقة نفوذ بريطانية بشكل مطلق • ولن يتم تحقيق الهدف الاخير بدون اخضاع القوى المحلية القوية لسلطان بريطانيا المباشر • وعلى رأس تلك القوى ، كما هو معروف ، القواسم •

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

زادت حكومة بومباي في خلال الفترة التي أعقبت رفض عرض الزعيم القاسمي ، من دورياتها المسلحة في الخليج • وفي ١١ مايس ١٨١٩ ، قام الكابتن لوك باعتراض تشكيل بحري قاسمي، وعلى الرغم من « انهم كانوا يرفعون علم الهدنة » كما جاء في تقرير لوك ، فان الطرادات البريطانية هاجمته بعنف • ولكن بعد معركة قصيرة ، تمكنت السفن القاسمية من الانسحاب[١] •

شهد الشهر الاخير من سنة ١٨١٩ ، وبداية سنة ١٨٢٠ ، وقوع المرحلة الحاسمة في الصراع القاسمي ــ البريطاني ، والتي انهت فعاليات القواسم الواسعة في الخليج والبحار الهندية ، ووضعت الاساس القوي للتسلط البريطاني في تلك الارجاء •

---

(١) Ibid.

الفصل الخامس

الحملة البريطانية الكبرى وانهيار

الاتحـاد القاسمي

١٨١٩ ـ ١٨٢٠

الحملة البريطانية الكبرى
وانهيار الاتحاد القاسمي ١٨١٩ ـ ١٨٢٠

ازاء فشل الدوريات البحرية المسلحة ، والاجراءات الاخرى التي بذلتها حكومة بومباي، من اجل كبح نشاط القواسم البحري في المياه الهندية والخليج العربي ، كما مر بنا في الفصل السابق ؛ قررت حكومة الهند تصفية الحساب عسكريا مع القواسم بصورة نهائية • وقد بوشر بالاستعدادات اللازمة لهذا الأمر منذ شباط ١٨١٧ ، حينما أصدر الحاكم العام للهند ، المركيز هاستنكز ، تعليماته الى نيبين Nepean حاكم بومباي ، بأن يقوم بتحقيقاته بأسرع ما يمكن عن « حجم وطبيعة القوة المتطلبة لهذه المهمة »[1] •

أصدرت حكومة بومباي ، بناء على تعليمات الحاكم العام ، ولغرض التوصل الى معلومات دقيقة عن القواسم وقواعدهم الرئيسة ، اوامرها الى الكابتن روبرت تايلر ، مساعد الوكيل السياسي في العراق الذي سبق له ان مضى فترة طويلة في منصب مساعد المقيم في بوشهر ، بأن يعد تقريرا وافياً عن مواقع موانيء القواسم والموانيء المتحالفة معهم ، وقوتهم البحرية وقدراتهم القتالية • وقد أنجز تايلر تقريره في صيف سنة ١٨١٨ ، ورفعه الى حكومة بومباي ، حيث سجل فيه بشكل مفصل موانيء القواسم ومواقعها وشكل السواحل ، وبعدها عن بعضها وشكل المرسى وعدد السكان والقوة البحرية والنشاط الاقتصادي[2] •

---

(١) Kelly, op. cit., pp. 134-5.

(٢) انظر نص هذا التقرير في : S.R.B.G., No. XX1V, pp. 3-40; 'Capt. R. Taylor, Extracts from brief Notes Containing Historical and other Information Connected with the Province of Oman, Muscat and Adjoining Country, the Islands of Bahrein Ormus, Kishm, and Karrack; and other places in the Persian Gulf'.

وبحسب تقديرات تايلر ، كانت المواني‌ء القرصنية الرئيسة على الساحل العربي ، هي : رأس الخيمة ورامس وجزيرة الحمرا وام القيوين وعجمان والشارقة • ومع انه وضع مواني‌ء بني ياس ؟ ودبي وأبو ظبي ضمن المواني‌ء القرصنية ، الا أنه أضاف بأن الاخيرين لم يرتكبوا اعمالا قرصنية في البحار العالية ، « ولكنهم ينتهزون اقتراب الزوارق الصغيرة من سواحلهم فيقومون بأسرها »[1] • كما صنف مواني‌ء اخرى الى الشمال هي : خور حسن والعقير والقطيف ، ضمن المواني‌ء القرصنية ، ولو انها خارج نفوذ القواسم • اما على الساحل الشرقي ، فان المواني‌ء القرصنية بحسب تقديره هي : نخيلو وخارج ومغو وشناص ولنجة وكونك ، ومن بين هذه المواني‌ء فان « خارج أشدها عداوة لنا ، اما الباقي فانها بالمقارنة أقل أذى »[2] ومعظم هذه المواني حسب رأيه ، موالية للقواسم[3] •

توصلت حكومة بومباي ، عن طريق تقارير ضباط البحرية والوكلاء ، الى ان القوة التي تحت يد القواسم تقدر بتسع وثمانين سفينة كبيرة ، ومائة واحدى وستين سفينة أصغر حجما ، وعدد رجالهم المسلحين يبلغ ١٠ر٣٠٠ رجل[4] • وقد قام السير ايفان نيبين ، برفع تقرير الى الحاكم العام في شهر يلول ١٨١٨ مسجلا فيه نتائج تحرياته ، وارفقه بتقرير من الجنرال ليونيل سمث ، احد قادة حملة ١٨٠٩ الذي كان قد وضعه حول حجم القوة المطلوبة لتحقيق نجاح الحملة في تحطيم القواعد القاسمية بشكل حاسم • وفي رأي سمث، ان هذه القوة يجب ان تتألف من ثلاثة آلاف رجل تسندهم مدفعية قوية ، كما أرفق نيبين مع تقريره أيضا ، رسالة رسمية من

---

(١) Ibid, p. 17.

(٢) Ibid, p. 18.

(٣) Ibid, pp. 18-19.

(٤) أنظر ص ٢٨١ من الفصل السابق •

المقيم في بوشهر ، الكابتن بروس ، ذكر فيها : « ان شيوخ بعض القبائل العربية اجتمعوا في رأس الخيمة واتفقوا على التعاون في مقاومة اي هجوم قد تتعرض له تلك المدينة »[1] • وقد ألح نيبين في تقريره هذا ، على ضرورة الاسراع بتشكيل الحملة ، كما وضع امام الحاكم العام عددا من الاستفسارات ترتبط بهدفي الحملة العسكري والسياسي ، طالبا رأيه فيها • وقد جاء في تلك الاستفسارات : ـ هل يقتصر الأمر على تدمير سفن (القراصنة) وجهات تموينها وتدمير استحكاماتهم في موانئهم ؟ وهل يعتزم الحاكم العام توطيد السلطة البريطانية في الخليج عن طريق تأسيس قاعدة ثابتة فيه ، للحيلولة دون انبعاث القرصنة في المستقبل ؟ وهل من الحكمة السياسية وضع ساحل (القرصنة) وجزيرة البحرين تحت ادارة سلطان مسقط ؟ وأخيرا ، الى اي مدى سنقبل خدمات رحمة بن جابر[2] الزعيم

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 5, 28th Jan., 1819.

(٢) رحمة بن جابر هو شيخ الجلاهمة ، احدى فروع قبيلة العتوب • ساهم الجلاهمة مع ابناء عمهم آل خليفة في فتح البحرين سنة ١٧٨٢ ، ولكن على أثر الخلاف الذي شب بين هذين الفرعين ، استقر الجلاهمة في خور حسن شمال الزبارة • قاد الشيخ رحمة حملة قرصنية واسعة ضد تجارة آل خليفة وآل الصباح ، حتى استحق لقب « اعظم قرصان عرفه الخليج في العصور الحديثة » ، وظل مواصلا حربه ضدهم طيلة اربعين سنة ، حتى يوم موته في أوائل سنة ١٨٢٧ • التحق واتباعه بالحركة الوهابية سنة ١٨٠٩ ، ولكنه سرعان ما انفصل عنها واصبح بالتالي عدوا للقواسم ، على أثر اتفاق آل خليفة مع الامير سعود في أواخر ١٨١١ • ترك قاعدته في خور حسن الى الدمام في سنة ١٨١٦ ، ولكن الوهابيين دمروا قلعته الاخيرة ، فلجأ الى بوشهر واتخذها قاعدة لقيادته • عرض على البريطانيين التعاون ضد القواسم في سنة ١٨١٦ ، واستجابت له حكومة بومباي • وقد عبر رحمة عن غبطته بصداقة البريطانيين ، واعلم سلطات بومباي بانه قام=

السابق لخور حسن ، والمقيم حاليا في بوشهر ، والذي هو في عـداء مـع القواسم[1] •

أجاب الماركيز هاستنكز على استفسارات نيبين في ٧ تشرين الثاني ١٨١٨ • أشار فيها الى ان الحكومة العليا مقتنعة بما توصلت اليه من دراستها للمعلومات التي عرضهـا نيبين ، بأن القضاء النهـائي على القواسم يتطلب بالضرورة ، ان تكون قوة الحملة العسكرية قويـة جدا ؛ ذلك « ان أيـة محاولة لا تسفر عن نسف القاعدة الاساسية لقوتهـم الحربية ، سـتكون نتائجها مؤقتة وغير مجدية • اذ سوف يتطلب الامر تجديد الهجوم عليهم في وقت يكونون فيه اكثر استعدادا للدفاع » • واضاف قائلا انه من التقرير الذي وصله عن الاستعدادات التي يقوم بها القواسم لمواجهة هجوم متوقع ،

= فعلا بأسر بعض السفن القاسمية •

(F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 54, 31st Dec., 1816, and Cons. No. 12, 14th Mar., 1817)

وعلى اثر اندحار الوهابيين امام ابراهيم باشا ، عاد الى الدمام ، حيث أعاد بناء حصنه مجددا غاراته على آل خليفة • بدل ولائه عدة مرات بحسب موقف القوى المختلفة ، من آل خليفة • كانت نهايته مناسبة تماما لحياته المفعمة بالمغامرة ، اذ قام ، بعد ان حمل بيديه ولده الطفل ، بنسف سفينته بعد ان الصقها بالبغلة التي كان يقودها احمد بن سليمان ، ابن اخ شيخ البحرين ، عندما أحس بقرب تفوق الاخيرة عليه ، فتطايرت شظايا سفينته محرقة معها البغلة المعادية • للمزيد من التفاصيل عن حياة رحمة بن جابر انظر :

S.R.B.G., No. XX1V, 'F. Warden and S. Hannell, Sketch of Proceedings of Rahmah bin Jaubir, Chief of Khor Hassan'; Wellested, Travels to the city of Caliphs, Vol. I, pp. 193-7.

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 5, 20th Jan., 1819.

وما بمقدورهم حشده من قوة « لن يسمح باستخدام قوة تقل عن خمسة آلاف رجل ، ولما كان هـذا العدد غير متوفر الآن[1] ، فانه يرى تأجيل الحملة سنة اخرى » بخاصة وان التقارير الاخيرة قد أشارت الى انتصارات ابراهيم باشا على الوهابيين وان هناك أملاً في خلال فترة الانتظار هذه ، أن يعرض الجيش المصري القواسم الى مصاعب كبيرة ، ويمنع تدخل الوهابيين لمساعدتهم بالفرسان . ولهذا « فاننا نرى الاسراع باتخاذ خطوات من اجل دعوة ابراهيم باشا الى حملة مشتركة ضد رأس الخيمة ، حيث تقوم قواتنا بمحاصرتها ، بينما يقوم الجيش المصري بضرب الحصار عليها من البر ، على ان يقدم لابراهيم باشا تعهد بتسليم المدينة الى قواته حال استسلامها »[2].

هذا وقد أرسل حاكم بومباي في الوقت ذاته ، رسالة الى سيد سعيد ، سلطان مسقط ، حملها اليه الكابتن تايلر ، يناشده فيها التعاون مع حكومة الهند ضد القواسم . وقد وجد المبعوث ، لدى اجتماعه بسعيد في اواخر ١٨١٨ ، ان السلطان العماني على استعداد للتعاون مع القوات البريطانية ، وتعهد بتقديم ما بامكانه في هذا المجال[3] .

وصلت انباء سقوط الدرعية الى الهند في اواخر سنة ١٨١٨ ، فبادر الحاكم العام ، في محاولة للاستفادة من التطور الجديد ، الى كتابة رسالة الى ابراهيم باشا في ٢ كانون الثاني ١٨١٩ ، يهنئه فيها على انتصاره ،

---

(١) بسبب اضطراب الاوضاع في داكان Dakkan أثر حروب الماهراتا التي سبقت لنا الاشارة اليها « لم يكن بالامكان توفير كتيبة واحدة » (Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 658)

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Gov.-Gen.-in-Council to Gov.-in-Council, 7th Nov., 1818, Sec. Cons. No. 5, 20th Jan., 1819.

(٣) Ibid, Capt. Taylor to Gov.-in-Council, Bombay, 29th Jan., 1819.

ويعرض عليه في نفس الوقت ، القيام بعملية مشتركة ضد رأس الخيمة ، وفق الشروط التي مر ذكرها آنفا • وأرفق الرسالة بسيف جميل ، هدية منه الى ابراهيم • وقد وقع الاختيار على الكابتن جورج فورستر سادلير Sadlier من الفرقة السابعة والاربعين ، بتوصية من الحاكم العام ، ليحمل الرسالة والهدية تلك الى القائد المصري[1] •

لم يكن نيبين متفقا مع وجهة نظر الحاكم العام في تمكين السلطة العثمانية من ساحل الخليج ، بالرغم من انه كان يرغب في الحصول على المساعدة من ابراهيم باشا • فقد كان من رأي نيبين ان يتمتع البريطانيون بسيطرة غير مباشرة في الخليج عن طريق جعل سيد سعيد مسؤولا عن كافة المناطق التي سيتم اخضاعها ، بين رأس الخيمة ورأس مسندم التي هي تحت سيطرة القواسم كما يجب ان يعهد لسلطان مسقط بجزيرة البحرين أيضا التي ستمكنه مواردها من تعزيز سلطته في الخليج « طالما ان شاه ايران قد وافق على التنازل عن كل ادعاءاته في هذه الجزيرة » • ضمّن نيبين مقترحاته تلك في مسودة تقرير موجه الى الحاكم العام ، وعرضه على مجلس رئاسة بومباي في ٢ نيسان ١٨١٩[2] •

جوبهت تلك المقترحات بمعارضة أعضاء المجلس عند اجتماعه في ٣ نيسان • وكان أشد المعارضين لها ، المستر فرانسيس واردن ، الذي قدم تقريرا وافيا بيّن فيه مساوىء خطة نيبين ، لانها حسب رأيه ستؤدي في حالة تطبيقها ، الى توريط البريطانيين في صراعات الخليج ، اذ « اننا بوضعنا هذه الاماكن تحت سلطة (امام) مسقط ، سنبذر بذور القرصنة من جديد في الخليج » • حيث ان ذلك في رأيه ، « سيدفع القواسم وآل خليفة بالتأكيد الى القتال لتحرير أنفسهم من السيطرة المسقطية ؟ ولكن ، من الناحية

(١) Ibid, Sec. Cons. No. 17, 14th Apr. 1819.

(٢) Ibid.

الاخرى ، اذا نجح ابراهيم باشا في اخضاع رأس الخيمة فسوف يقضي على القرصنة في تلك الجهات » • واعتقد واردن بضرورة اتخاذ جزيرة قشم قاعدة بريطانية ، وبذلك « نكون في موقف اكثر تمركزا وسيطرة في الخليج » على حد تعبيره • ويجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار انه مهما كانت الترتيبات التي ستتخذ « فان علينا ان نقوم بتأمين حرية طراداتنا في الدخول الى أي ميناء في الخليج ، وحقها في تفتيش كل السفن التي يجب ان يحدد عدد بحارتها واسلحتها الى أدنى الحدود التي تضمن أمنها في اثناء الابحار ، وحقنا في مصادرة السفن المخالفة »[1] • كذلك عارض آراء الحاكم ، أعضاء المجلس الآخرين • فحبذ المستر الكسندر بيل Alexander Bell مشروع اشتراك ابراهيم باشا ، اذ ان ذلك سيعني « ان قوة صغيرة من قبلنا ستكون كافية » كما عبر عن معارضته فكرة تسليم البحرين الى سلطان مسقط • وكان من رأي العضو الآخر ، المستر برندركاست Guy Brendergast ان الحكمة تقتضي « ان تتجنب كل ما من شأنه ان يؤدي الى التورط في سياسات الحكومات الصغيرة في الخليج ، وان يكون هدفنا الاساسي القضاء الفوري والحاسم على القرصنة » ، كما أكد على ضرورة امتلاك قاعدة بريطانية في الخليج[2] •

ازاء هذا الانقسام في الرأي ، أعلن نيبين للمجلس بأنه سيرجيء التوصل الى قرار بالنسبة للسياسة الواجب اتباعها ، الى حين معرفة خطط ابراهيم باشا ، وفي نفس الوقت ، وافق على تبني اقتراح واردن بأن يكون العرض المقدم لابراهيم باشا ، باحتلال قواته لرأس الخيمة عند سقوطها ، غير مكتوب ، وانما يسر له شفاها من قبل الكابتن سادلير[3] •

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(٣) Kelly, op. cit., 142-3.

تسلم الكابتن سادلير تعليماته من نيبين ، حاكم بومباي ، في ١٣ نيسان ١٨١٩ ؛ فكان عليه ان يتوقف في مسقط ، قبل ان يتوجه الى القطيف أو العقير في الاحساء ومنها للقاء ابراهيم باشا في الدرعية ، للاجتماع بسيد سعيد لتأمين تعاونه مع الحملة ومعرفة رأيه الاخير في التعاون مع القوات المصرية[1] . وكان على سادلير ، لدى اجتماعه بابراهيم باشا ووجده راغبا في التعاون مع الحكومة البريطانية ، كما هو متوقع ، ان يخبر الباشا شفاها بأنه « مخول رسميا بتطمينه بانه حالما ينتهي موسم الرياح الموسمية ، الذي يشكل عائقا امام ارسال الجنود من هنا [بومباي] ، فاننا سنرسل قوة بحرية وعسكرية الى الخليج من اجل التعاون معه في الاستيلاء على رأس الخيمة ، التي ستسلم اليه بعد سقوطها ليحتلها جنوده ، على ان يقوم سموه [ابراهيم باشا] بالمساهمة بقوة عسكرية مناسبة لتغطية الحصار »[2] .

بدأ سادلير المرحلة الاولى من مهمته الاستطلاعية بالتعرف على رأي سلطان مسقط في موضوع التعاون الثلاثي بين الانكليز والجيش المصري والعمانيين ضد القواسم . وقد لخص سادلير موقف السلطان العماني بتقرير أرسله الى حكومة بومباي ، بتاريخ ١٥ مايس ١٨١٩ ، جاء فيه انه لدى اجتماعه بالسيد سعيد في ٨ مايس وجده يعارض كليا التعاون مع القوات المصرية قائلا « ان قواته والقوات البريطانية قادرة كليا على مهاجمة القواسم ، دون حاجة الى تدخل ابراهيم باشا » ، وتعهد بمساعدة الحملة في أي وقت تصل فيه قواتها الخليج ، ومعلناً انه سيرافقها شخصيا ، وسيشارك بقوة من خمسة آلاف رجل للعمل مع البريطانيين . وان الحكومة البريطانية « اذا أصرت على اشتراك القوات المصرية ، فانه سيساهم في مساعدة

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 29, 21st July, 1819.

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 93.

البريطانيين ، على ان لا يطلب من قواته العمل مع قوات ابراهيم باشا على البر »(١) • ان موقف حاكم مسقط هذا ، يرجع الى انه كان يخشى في حالة استيلاء ابراهيم باشا على ساحل القواسم ان يتهدد استقلاله هو ، اضافة الى ما كان معروفاً آنذاك من أطماع العثمانيين في البحرين ، التي كان سيد سعيد يطمع في وضعها تحت سيطرته(٢) •

غادر سادلير مسقط في ١٨ مايس متوجها الى بوشهر من اجل الحصول على معلومات دقيقة تتعلق بالطريق عبر القطيف الى الدرعية ، حيث معسكر ابراهيم • وفي ٢١ حزيران وصل القطيف حيث بدأ المرحلة الثانية من مهمته والمتعلقة بالاتصال بابراهيم باشا • وقد علم هناك بأن القوات المصرية شرعت بالانسحاب نحو الغرب ، بعد ان وضع ابراهيم باشا الاحساء تحت حكم بني خالد • وبدا واضحا لسادلير ان القائد المصري قد صرف النظر عن التوسع في الفتوحات ، « وعليه فان مسألة التعاون معه لاخضاع موانيء القواسم أصبحت خارجة عن الصدد »(٣) •

وبالرغم من ذلك كان على سادلير مقابلة ابراهيم باشا الذي كان في هذه الاثناء ينسحب بقواته نحو المدينة • فاضطر الى اختراق الجزيرة العربية ، ووصل بعد مصاعب جمة الى المدينة حيث اجتمع بابراهيم باشا في

---

(١) Ibid,; F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 29, 21st July, 1819; See also, Belgrave, op. cit., pp. 193-4; Kelly, op. cit., p. 143; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 83.

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 93; Belgrave, op. cit., p. 104.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 29, 21st July, 1819, and Sec. Cons. No. 39, 20th Sep., 1819.

١٨ أيلول ، وقدم اليه هدية الحاكم العام وأبلغه رسالته • وقد أعرب ابراهيم عن أسفه لعدم اطلاعه على خطط الحكومة البريطانية في وقت مبكر ، واضاف بأنه سيحيل عرض الحاكم العام الى والده محمد علي باشا ، وطلب من سادلير التوجه الى جدة ، وانتظاره هناك • اجتمع سادلير مرة اخرى بابراهيم باشا في يوم ٢٩ تشرين الاول ، وفي هذا الاجتماع لم يقدم ابراهيم باشا جوابا محددا وواضحا على عرض الحاكم العام ، الا أنه أخبر سادلير بأنه سيقدم هدية للحاكم هي حصان وفرس • ومر اسبوعان دون ان يصله من ابراهيم جوابا ولا هدية • وفي ١٢ تشرين الثاني ، ولمزيد دهشة سادلير ، وجد أن الهدية التي وعده بها ابراهيم ، والتي جلبت اليه ، لم تزد على عدة زينة مهلهلة لحصان ، قيل له انها للحاكم العام • وقد رفض سادلير تسلمها باعتبارها لا تناسب مكانة الحاكم البريطاني • وقد غضب ابراهيم باشا من موقفه هذا ، وأمره بمغادرة معسكره ، قبل ان يبحر الى مصر • وقد ظل سادلير لمدة شهرين في جدة وهو في حالة تعيسة ، حتى ٢٣ كانون الثاني ١٨٢٠ ، حينما رسى الطراد (برنس اوف ويلز) في جدة ، حيث قام بنقله الى بومباي • وبذلك أصبح سادلير اول اوربي يخترق الجزيرة العربية من الشرق الى الغرب ، وكانت مفكرته (Diary of a Journey Across Arabia) تعويضا قيما لفشل مهمته ، اذ اصبحت من المصادر الاساسية للاحداث في تلك الفترة[١] •

لقد توصل نيبين حاكم بومباي حتى قبل ان تنقطع اخبار سادلير[٢] ،

(١) للمزيد من التفاصيل عن رحلة سادلير ، انظر :
[I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 20, 17th, May, 1820; Precis of Correspondence, p. 102; Kelly, op cit., pp. 150-1.

(٢) لم يرد من سادلير أي خبر منذ مغادرته للهفوف باتجاه الدرعية في ٢٢ تموز ١٨١٩ •

وبخاصة من التقارير التي وردته من بوشهر ، الى وجوب صرف النظر عن الحصول على تعاون مصري لاخضاع موانيء القواسم(١) • ولذلك فقد فكر بمشروع جديد لتحقيق القضاء على نشاط القواسم • ولم يكن مشروعه الجديد يختلف عن سابقه في التأكيد على وضع ساحل القواسم وجزيرة البحرين تحت سيطرة سيد سعيد ، حاكم مسقط • وقد طرح مشروعه الجديد هذا على مجلس رئاسة بومباي في العاشر من تموز ١٨١٩ • الا ان المجلس رفض الاخذ بمقترحاته ، وانصبت معارضة الاعضاء بشكل خاص على مسألة تسليم البحرين لحاكم مسقط • ومع ذلك فقد قرر المجلس في ٢١ آب ، ارسال تقرير الى الحاكم العام ومجلس المديرين لمعرفة رأيهم في الاسئلة التالية : في ضوء التطورات الاخيرة ، هل تجرى زيادة او تقليص عدد قوات الحملة التي جرى تحديدها بالاساس بـ ٣٫٠٠٠ رجل ؟ هل تبقى جزيرة البحرين تحت سلطة شيخها الحالي ، او يجرى وضعها تحت سلطة حاكم مسقط او اية قوة اخرى ؟ وهل تقام قاعدة بريطانية في جزيرة قشم ، وعلى أي اساس ؟ • وثبت نيبين ، عند هذا السؤال ، رأيه بأنه ما لم يجر وضع البحرين تحت سيطرة سيد سعيد ، فانه لن يكون بمقدور حكومة بومباي تحمل مصاريف تلك القاعدة • وتساءل ، في حالة معارضة التدبير الاخير ، هل سيكون من الحكمة تأسيس القاعدة في قشم على حساب الشركة ؟ • وأخيرا ، الى أي مدى ستكون لنا الصلاحية في تمليك حاكم مسقط ، أية اجزاء من ساحل (القرصنة) ، والذي كان سابقا من ممتلكات اسلافه ؟(٢) •

تسلمت حكومة بومباي في ٢٩ أيلول ، جواب الحاكم العام ، على

---

(١) Kelly, op. cit., p. 145.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 29, 21st July, 1819.

تقريرها آنف الذكر . جاء فيه ان مسألة عدد قوات الحملة تركت لحين حصول الحاكم العام على المعلومات الدقيقة عن الموقف . أما عن النقاط الاخرى ، وبخاصة ما يتعلق بالبحرين ، فانه ينتظر الحصول على المزيد من المعلومات . كما انه لا يرغب في وضع قوة عسكرية في الخليج ، مالم يؤمن الانفاق عليها من قبل سلطان مسقط أو كمارك الميناء ، أو مصادر مالية اخرى . اما بخصوص ساحل (القرصنة) ، فان الحاكم العام يرغب كليا بـ « تجنب أي تدخل في شؤون الدول العربية أكثر مما هو ضروري لتعزيز القضاء على القرصنة »[١] .

يبدو مما سبق ، ان السياسة البريطانية تجاه الخليج لم تكن قد تبلورت بعد ، وان كانت تسير باطراد نحو التكامل ؛ فالغاية الاساسية آنذاك تحطيم قوة القواسم ، التي كانت في نظر الحكومة البريطانية عائقا امام حرية وأمن مواصلاتها ، ولكن هذا الهدف ، سيؤدي بالضرورة ، الى بلورة المزيد من الاطماع البريطانية في المنطقة ، وتجلى هذا بوضوح في خلال العقود التالية من القرن التاسع عشر . وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الحملة تحتشد في بومباي ، في صيف ١٨١٩ ، لم تكن حكومة بومباي ، ولا الحكومة العليا ، قد توصلت بعد الى الترتيبات النهائية لمستقبل الخليج ، وبخاصة الاجراءات السياسية التي ستنفذ بعد انجاز الحملة لمهمتها في القضاء على القواسم . وهذا الامر ، هو نفسه الذي جعل نيبين يقرر اهمال الاجابة على الأسئلة التي تركها الحاكم العام بدون جواب محدد ، ويخبر قائد قوات الحملة ، الميجر جنرال وليم گرانت كير Sir William Grant Keir في بداية تشرين الأول ، بأنه سيزوده بالتعليمات عن الاهداف السياسية للحملة فيما بعد[٢] .

(١) Ibid, Sec. Cons. of 29th Sep., 1819.

(٢) Kelly, op. cit., p. 149.

صدرت التعليمات الاولية للجنرال كير في ٢٧ تشرين الأول ١٨١٩، حول الاهداف المباشرة للحملة ؛ فكان على القوات أن تتوجه الى رأس الخيمة ، حيث تقوم بتدمير اسطول القواسم تماما « مهما كانت نوعية السفن »، وتدمير كل ما يعثر عليه من مستودعات بحرية وعسكرية هناك . على ان ينتبه الجنرال الى « عدم استخدام الجنود الذين تحت امرته ضد قوات القواسم ، على اية مسافة عن الساحل ، أبعد مما تتطلبه ضرورة تدمير سفنهم في موانئهم » . وبعد انجاز هذه المهمة الأولى ، على القوات التوجه الى أم القيوين ورامس ومهرة وجزيرة الحمرا وعجمان والشارقة ، وكل ميناء آخر يشتبه بكونه تابعاً للقواسم ، ويتم تدمير كافة السفن في هذه الموانيء كما يجب التوجه نحو الساحل الشرقي من الخليج ، ومهاجمة مغو وخارج ولنجة . وأشارت التعليمات الى قيام الجنرال كير بالاستفادة من خدمات رحمة بن جابر ، شيخ خور حسن ، اذا ما عرض تعاونه[1] . وكذلك صدرت تعليمات منفصلة الى الجنرال كير تتعلق بمعاملة الاسرى من القواسم . فكان على القائد ارسالهم الى بومباي ، اذا لم يستطع الاحتفاظ بهم في الخليج لحين انتهاء مهمات الحملة[2] .

وفي نفس الوقت الذي تهيأت فيه الحملة للابحار ، قررت حكومة بومباي ارسال مبعوث الى حاكم مسقط للتأكد بصورة نهائية من طبيعة ومدى المساعدة التي سيقدمها السيد سعيد للحملة ، واتخاذ الترتيبات الضرورية لهذا الغرض . وقد غادر هذا المبعوث المستر جوكس Jukes

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 45, 27th Oct., 1819; Precis of Correspondence, pp. 94-5.

(٢) I.O. F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 46, 1st., Nov., 1819.

بومباي في بداية تشرين الثاني في طريقه الى مسقط[1] • كما كتبت رسالة الى أمير فارس في شيراز ، توضح اهداف الحملة ، وتلفت نظر الامير الفارسي الى « الفوائد التي ستنجم من مساهمة سموه في العمليات البرية ضد لنجة ، والاماكن الاخرى على الساحل الشرقي الخاضعة لنفوذ القواسم »[2] • وقد أعلم كير انه في حالة تردد الامير الفارسي ، فان ذلك « لن يمنع من قيامك بمهاجمة المخابىء القرصنية على الساحل الشرقي ، مع تقديم احترام لائق لحقوق السيادة الفارسية ••• وان حاكم بومباي يضع بيدك حرية التصرف في التحرك »[3] • كما قامت حكومة بومباي بارسال نسخ مشابهة لرسالة أمير فارس ، الى المقيم البريطاني في بغداد والى السفير البريطاني في طهران ، لشرح اهداف اجراءات الحكومة البريطانية في الخليج[4] •

في الاسبوع الاخير من تشرين الاول ، كانت قوات الحملة المتحشدة في بومباي ، مستعدة للرحيل • وقد مر بنا تسلم قائدها لتعليماته عن واجبات الحملة في يوم ٢٧ تشرين الاول ، « وتخويله الصلاحية السياسية اضافة الى العسكرية المطلقة في ادارة العمليات وترك الكثير لتوجيهه »[5] •

تألفت قوات الحملة العسكرية من ٣٫٥٤٧ جندي ، منهم ١٫٤٥٣ أوربي و ٢٫٠٩٤ من السيبوي[6] • أما الاسطول فقد كان يتألف من القطع

(١) Ibid, Sec. Cons. No. 41, 9th Oct., 1819.

(٢) Ibid.

(٣) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 95.

(٤) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 41, 9th Oct., 1819.

(٥) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 664.

(٦) القوات الاوربية : رجال مدفعية ٩٥ ، الفوج الملكي الرابع ٥٨٥ ، الفوج الملكي الخامس والستون ٧٧٣ • أما الهنود : فوج من =

التالية ، وبعضها كان فعلا في الخليج آنذاك : فرقاطات البحرية الملكية ، (ليفربول ـ ذات ٥٠ مدفعا) وقبطانها هو الكابتن فرانسيس اوغسطس كولير F. Augustus Collier الذي اوكلت اليه قيادة الجانب البحري من العمليات ، والفرقاطة (ايدن ـ ذات ٢٦ مدفعا) و (كرلو Curlew ـ ذات ١٨ مدفعا) ، ومن طرادات الشركة الحربية : (تايكنماوث ـ ١٦ مدفعا) ، (بنارس ـ ذات ١٦ مدفعا) ، (ارورا ـ ذات ١٤ مدفعا) ، (نوتيلوس ـ ذات ١٤ مدفعا) ، (اريال ـ ذات ١٠ مدافع) ، (فستال ـ ذات ١٠ مدافع) ، (ترنت ـ ذات ١٦ مدفعا) ، (ميركري ـ ذات ١٤ مدفعا) و (بسيج ـ ذات ١٠ مدافع) ، اما عدد سفن النقل التي حملت الجنود فبلغ عددها ثمان عشرة سفينة[1] • لقد « كانت هذه القوة اعظم

= الفرقة الثانية ٨٠٠ ، فوج من الفرقة الثالثة ٨٠٠ ، مفارز من الكتيبة الاولى والثالثة ٢٠٠ ، مشاة البحرية ٢٠٠ و٩٤ رجلا من الكشافة ، وقسم من هذه القوات ساهمت فعلا في حملة ١٨٠٩ـ ١٨١٠ •

[I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 41, 9th Oct., 1819; also, Patrick Cadell, History of Bombay Army, (London, 1938), pp. 16-78.

اما لوريمر وولسون فانهم يقدرون عدد القوات ب ٣٠٦٩ وهو غير دقيق بالمقارنة بالسجلات البريطانية • وكذلك تعوز الدقة كل من مايلز وكوبلاند في تقديرهما لعددها ب ٣٠٠٠ رجل ، انظر :

Low, op. cit., Vol. 1, p. 351; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 665; Wilson, op. cit., p. 207; Miles op. cit., p. 324; Coupland, op cit., p. 149.

(١) Low, op. cit., oVl. 1, pp. 351-2; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 665; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 86.

تجمع لسفن بريطانية في الخليج شوهد حتى ذلك الوقت »[1] .

غادر الاسطول بومباي نحو الخليج في ٣ تشرين الثاني ١٨١٩ .
وقد توجهت سفينة القيادة (ليفربول) الى مسقط ، فيما تابعت بقية القطع سيرها الى مكان التجمع في جزيرة قشم . وصلت (ليفربول) مسقط في ١٢ تشرين الثاني ، حيث عقد اجتماع بين القادة الانكليز وسيد سعيد ، وعد فيه الاخير بأمداد الحملة بأربعة آلاف رجل وثلاث سفن حربية ، كما تعهد بتجهيز ٧٥ قاربا لانزال الجنود والمهمات ، الى جانب ٦٠٠ الى ٨٠٠ من الجنود سيرافقون الحملة بحرا للمشاركة في الهجوم .

حينما تسلمت حكومة بومباي تقرير الجنرال كير المتضمن نتائج مباحثاته في مسقط ، أرسلت اليه بتعليمات جديدة معدلة لبعض تعليماته السابقة ، عن الاجراءات الواجب اتخاذها بعد سقوط رأس الخيمة . وبموجبها منح القائد الصلاحية بتسليم المدينة الى سلطان بن صقر ، الشيخ السابق للقواسم ، « اذا وجده يمتلك الوزن الكافي لضمان الحكم على القبيلة » . وبخلاف ذلك ، يجب ان يعهد بالمدينة الى احد الزعماء تختاره القبيلة ، « بشرط ان لا يكون له ارتباط بالوهابيين وان يتعهد بعدم تجديد القرصنة ، التي أدت الى قيام هذه الحملة »[2] .

بعد ان انجز كير مهمته في مسقط ، غادرها في ١٨ تشرين الثاني ، متوجها للقاء بقية الإسطول في قشم . فوصلها بعد ثلاثة ايام ، ليجد ان بعض القطع التي غادرت بومباي لم تكن قد وصلت بعد . لذلك قرر استغلال فترة الانتظار لاستطلاع الطرق المؤدية الى رأس الخيمة ولفرض الحصار عليها . فتوجه نحو ساحل القواسم في ٢٥ منه على متن (ليفربول)

---

(١) Wilson, op. cit., p. 207.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 52, 8th Dec., 1819.

ترافقها (بنارس) • وقام القائد وأركان حربه والمهندسون ، باستكشاف المدينة عن بعد ، خلال يومي ٢٦ و ٢٧ ، فتوصل الى قرار بوجوب الاسراع بمهاجمة رأس الخيمة ؛ اذ كان موسم رياح الشمال الشتوية يقترب بسرعة • وكان واضحا ان أي تأخير في انزال الجنود سيؤدي الى تقليل فرص النجاح امام الحملة ، وقدر القادة ان القوات المتجمعة في قشم كافية للاستيلاء على رأس الخيمة • وبناء على ذلك ، أرسلت (بنارس) الى قشم لاستدعاء الاسطول • وفي ٢ كانون الاول ، أقلع الاسطول الى عاصمة القواسم ، ترافقه فرقاطتان مسقطيتان تحمل ٦٠٠ رجل على رأسهم سيد سعيد • وعند الظهر من نفس اليوم ، وصلت سفن النقل الاربع قادمة من بومباي ، فأصبحت كل قوات الحملة على استعداد للمباشرة بالهجوم[١] • وقد تقرر ان تلعب المدفعية الدور الاساس في هذا الهجوم، نظرا للتحصينات القوية التي كانت عليها رأس الخيمة •

موقعة رأس الخيمة :

تمثلت تحصينات المدينة ، كما وجد القائد البريطاني ، بسور جديد يحيط بها من الجهة المواجهة للبحر والجانب الجنوبي الغربي ، ارتفاعه تسعة اقدام وسمكه قدمان ، وهو معزز على مراحل بأبراج صخرية تحتوى على فتحات لاطلاق البنادق اما الجانب المواجه للخليج الصغير ، فكان مفتوحا ولكن اقيم عليه عدد من البطريات • والى الجنوب من المدينة تنتصب قلعة مربعة وكانت تعتبر « اقوى بناء شهده الخليج حتى ذلك الوقت »[٢] •

(١) Low, op. cit., Vol. 1, p. 353; Kelly, op. cit., 152

(٢) Low, op. cit., p. 354.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, Footnote 1, p. 666.

كما توجد قلعة اخرى على جزيرة مهرة المقابلة للمدينة . وينبث عدد من الابراج في منطقة مزارع النخيل[١] . قدر عدد القوات القاسمية في رأس الخيمة عند وصول الحملة بسبعة آلاف رجل . ولكن احد الضباط الذين ساهموا في القتال يذكر ما يلي : « من تحرياتي التي قمت بها منذ نزولنا ، لا اعتقد بأن هذا العدد قد زاد ، في أي وقت ، على أربعة آلاف رجل »[٢] . ويظهر بأن القواسم قاموا حين قدوم الحملة ، بأرسال النساء والاطفال الى مزارع النخيل ، واستعدواللدفاع بقيادة الزعيم حسن بن رحمة وأخيه ابراهيم[٣] .

بوشر بعملية الانزال في فجر يوم ٣ كانون الاول[٤] ، عند قاعدة شبه الجزيرة ، تحت غطاء من القصف الكثيف المتواصل ، قامت به زوارق المدفعية والاسطول . وانزل الجنود بواسطة زوارق السفن على بعد حوالي الميلين من المدينة . وكانت الزوارق الكبيرة العائدة لحاكم مسقط « ذات خدمة كبرى ، في حين عمل رجاله [سيد سعيد] بنشاط كلي في انزال المدافع والذخائر » . كما تم انزال خمسمائة بحار من سفن الاسطول لتعزيز القوات العسكرية . أما المقاومة الضعيفة التي جوبهت بها عملية الانزال ، فيعود سببها الى الهجوم المضلل الناجح الذي قامت به (ارورا) و (نوتيلوس) ، اللتان تقدمتا الى قرب مدخل الخليج وفتحتا نارا حامية

---

(١) Low. op. cit., Vol. 1, p. 354.

(٢) Quoted in: Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) ان قول گراهام بأن عملية الانزال بدأت في الساعة الرابعة من فجر يوم ٤ كانون الاول ، غير دقيق .

Graham, op. cit., p. 249.

في ذلك الاتجاه ، مما جلب انتباه المدافعين[١] • وقد انصرم باقي اليوم في تعزيز مراكز القوات المهاجمة ، ونصب البطريات وحفر الخنادق •

في فجر اليوم التالي ، ٤ كانون الاول ، وقعت مناوشات عنيفة ، وتعرضت مواقع القواسم الامامية للهجوم • ونجحت مفرزة طوارىء من الفوج السابع والاربعين في السيطرة على مرتفع يبعد حوالي ٩٠٠ ياردة عن أقرب جزء من التحصينات[٢] • كما تقدمت مفرزة اخرى من الفوج الخامس والستين الى مسافة عشرين ياردة من القلعة المربعة الكبيرة لاستطلاعها • وفي خلال ذلك ، كان القصف الكثيف من زوارق المدفعية لا ينقطع • ونجح البريطانيون في اقامة متراس متقدم من أكياس الرمل ، نصبت فيه بطرية ، على مسافة ٣٠٠ ياردة من المدينة ، وباشرت تلك البطرية بالقصف من هذا المجال القريب • ولكن احد مدافع بطريات القواسم ، تمكن من تدمير هذا المتراس[٣] •

ازدادت العمليات ضراوة في اليوم التالي ، ٥ كانون الاول • ومنذ الفجر تقدمت سفن الاسطول من المدينة ، لتشارك البطريات الارضية وزوارق المدفعية في القصف بكثافة متزايدة • ولم يؤثر ذلك في معنوية القواسم ، الذين كانوا يردون بمدافعهم بنشاط • وفي مساء ذلك اليوم أسر أحد القواسم ، فأفاد بانهم عانوا خسائر كبيرة من جراء القصف البريطاني ، وانهم خسروا حوالي تسعين قتيلا وجريحا[٤] •

أنزل في صباح اليوم التالي ، ٦ كانون الاول المزيد من المدافع من سفن الاسطول ، وتواصل القصف بعنف متزايد • وظهر للمهاجمين ان

---

(١) Low, op. cit., Vol. 1, pp. 353-4.

(٢) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 666.

(٣) Low, op. cit., p. 355.

(٤) Ibid.

القواسم أصبحوا يعانون من نقص في الذخيرة ، وهذا يفسر ظاهرة تساقط اطلاقات من الصخور الكبيرة على القوات المهاجمة ، واندفاعهم من وراء تحصيناتهم لالتقاط القذائف البريطانية قبل انفجارها ، ليعيدوا اطلاقها على الفور على المهاجمين ، وتواصل القصف ولم يتوقف الا حين حلول الظلام[١] . وفي تلك الليلة ، فوجيء أحد المتاريس البريطانية المتقدمة ، بهجوم انتحاري من جانب مفرزة قاسمية يقودها ابراهيم بن رحمة ، فوقع اشتباك بالسلاح الابيض ، نجح فيه القواسم في السيطرة على احد مدافع المورتر . ولكنهم تعرضوا الى هجوم مضاد كبير قام به فصيل من الفوج الخامس والستين فدار قتال ضار ومستميت ، ولكن سرعان ما تعرضوا للطعن بالحراب ، فخسروا حوالي ٩٠ قتيلا وجرح قائدهم ابراهيم ، واضطروا للانسحاب[٢] . يسجل كرانت قول جندي من كتيبة مدفعية بومباي عن هذا الهجوم « لا أقل من ثمانية رجال من فصيلنا رقدوا موتى ، خمسة منهم بدا بالتأكيد انهم قتلوا قبل ان يتاح لهم الوقت للمقاومة ، ولكن الثلاثة الآخرين كانت سيوفهم بأيديهم وعليها آثار دماء ، مما يدل على نجاحهم في قتل بعض القواسم »[٣] .

هذا وقد كرر القواسم المحاولة قبل الفجر بهجوم آخر ولكنه لم يحقق اي نجاح[٤] .

وفي صباح اليوم الخامس من القتال ، ٧ كانون الاول ، قام الجنرال

---

(١) Low, op. cit., pp. 355-6.

(٢) Ibid, pp. 356-358.

أما لوريمر فيقول ان القواسم انسحبوا بعد هذه العملية مخلفين وراءهم ستة قتلى

(Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 666-7).

(٣) Quoted in: Grant, op. cit., Vol. I, p. 555.

(٤) Kelly, op. cit., p. 153.

كير بدراسة الموقف ، فوجد ان المدافع من عيار ١٢ و ١٨ باوند ، لم تستطع التأثير الا قليلا على الاسوار ، والاخطر من ذلك ، ان القواسم كانوا يستخدمون قنابلها لاعادة اطلاقها على القوات المهاجمة ، لكونها تلائم حجم مدافعهم . وبناء على ذلك اصدر كير اوامره بانزال مدفعين من عيار ٢٤ باوند ، من (ليفربول) ، واقيمت على الاثر بطرية جديدة . وقد فتحت المدافع الضخمة هذه نارها ، فأحدثت تأثيرا بالغا ، واهتزت أبراج القلعة تحت وطأة هذه القنابل ، وقد « حاول العدو [القواسم] الاستفادة من هذه القنابل ، ولكنه وجدها لا تلائم مدافعه لكبرها ، فعاد الى قنابله اليدوية والصخرية »[١] . وقبل حلول الظلام « ارتفعت الاعلام البيضاء عدة مرات من المدينة ولكن لم يعرها المهاجمون اي التفات »[٢] .

استمر القصف طيلة يوم ٨ كانون الاول ، وتواصل بدون انقطاع في خلال الليل[٣] . وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، ٩ منه ، تم احداث ثغرة كبيرة في القلعة ، فاتخذت الاستعدادات لاقتحام الموقع[٤] . وعند اعطاء الاشارة ، اندفعت القوات البريطانية من الخنادق ، وتقدمت نحو الثغرة ، ولكنها لم تجابه بأية مقاومة . اذ كان القواسم قد انسحبوا في خلال الليل نحو التلال[٥] . دخل الجنود المدينة وبدأوا « عملية نهب كامل ، على الرغم من اوامر القيادة العسكرية »[٦] . ويشير لو الى هذه

---

(١) Low, op. cit., p. 356.

(٢) Ibid, p. 357.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 667.

(٤) Low, op. cit., Vol. I, p. 357.

(٥) Ibid.

(٦) Grant, op. cit., Vol. I, p. 555.

الحقيقة قائلا[١] :

« كانت خيبة أمل المهاجمين انهم لم يجدوا ما يسلبونه • فقد نقل القواسم معهم كل الاشياء الثمينة خارج المدينة ، ولم يخلفوا وراءهم سوى العجول والماعز • وقد شوهد الجنود الانكليز يسوقونها بشكل قطعان نحو الساحل ، خمسة وعشرة وعشرين ، وكل جندي لم يكن يسمح بالتدخل في غنيمته ونقلوا اكبر عدد ممكن من الماعز الى سطح السفن » •

وتم انزال العلم القاسمي الاحمر ورفع محله العلم البريطاني[٢] • وصدر الامر بتدمير المدينة وتحصيناتها • كانت خسائر القوات البريطانية مقتل ضابط واربعة جنود ، وجرح ثلاثة ضباط وتسعة واربعين رجلا • اما خسائر القواسم فكانت كبيرة ؛ اذ قتل ثلاثمائة رجل على الاقل وجرح سبعمائة[٣] •

اعلن الزعيم حسن بن رحمة في اليوم التالي رغبته في التسليم ، على ان تضمن سلامته مع اتباعه • وأجيب بتعهد السلامة معبرا عنه بالتعبير العربي (أمان) • وعليه فقد قدم الى معسكر كير يرافقه اربعة من حاشيته ، فوضع في الحجز ، لحين ورود التعليمات المحددة ، التي ستتخذ بموجبها الاجراءات الواجب تنفيذها[٤] صادر الانكليز حوالي سبعين مدفعا ، كثير منها لم يعد صالحا للعمل ، وحوالي ثمانين سفينة من حجوم مختلفة تتراوح حمولتها من ٤٠ الى ٢٥٠ طن • ولم ير كير من الحكمة تدمير هذه السفن ،

---

(١) Low, op. cit., p. 357.

(٢) للوصف الكامل للقتال في معركة رأس الخيمة ، انظر رسالة الجنرال كير الى القائد الاعلى للجيش ، والمؤرخة في ٦ كانون الاول ١٨١٩ في : Ibid, Footnote, pp. 358-60.

(٣) Ibid, pp. 357, 359-60.

(٤) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 103.

طالما كانت تحت تصرفه ، فقرر حجزها لحين ورود أوامر محددة بتدميرها • وقد قام الانكليز باستخدام تسع من هذه السفن ، بعد وضع بحارة بريطانيين عليها ، واستخدمت للخدمة[1] •

اما عن دور القوات العمانية في معركة رأس الخيمة ، فانها لم تشترك فيها لانها جاءت الى الميدان بعد انتهاء العمليات العسكرية • وهذا يتوضح من محضر جلسة حكومة بومباي في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٨٢٠ حيث جاء فيه[2] :

« ومن سوء الحظ ، انها [قوات مسقط البرية] لم تصل الا بعد انسحاب القواسم ، اذ كان بالامكان ، بعد تعزيز قواتهم بعدد قليل من جنودنا ، وتمركزهم في الجانب المقابل من الخليج الصغير الذي تقوم عليه رأس الخيمة ، أن نحول دون امكان نجاح العدو بالفرار » •

ومن تقرير الجنرال كير ومحضر جلسة حكومة بومباي ، يبدو لنا الخطأ الذي يقع فيه بعض المؤرخين في القول بمشاركة قوات مسقط البرية في عمليات القتال ومن هؤلاء كوبلاند يقول « لحق سعيد بالاسطول البريطاني في قشم قبل مغادرته الى رأس الخيمة بثلاث سفن و ٤٠٠٠ر٤ رجل »[3] ، وكراهام يثبت « حينما تم الانزال الاول ••• لحق بهم بعد وقت قصير ٢٠٠٠ر٢ من جنود السلطان ، نجحوا في اختراق طريقهم عبر التلال »[4] • ونفس الخطأ يقع فيه سانجر الذي يقول « بينما كانت مدفعية السفن البريطانية تقصف من البحر ، كان أربعة آلاف جندي تابعون

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 4, 26th Jan., 1820.

(٢) Ibid.

(٣) Coupland, op. cit., p. 150.

(٤) Graham, op. cit., p. 249.

لسلطان مسقط يهاجمون القواسم من الخلف »[1] • ويشارك في الخطأ هذا ، كلارنس مان حين يسجل « أطبقت القوتان [العمانية والانكليزية] على رأس الخيمة بشكل كماشة »[2] • ولم يطل بقاء القوات العمانية في المنطقة ، اذ طلب الجنرال كير من حاكم مسقط سحبها الى ما وراء الجبال نظرا لانتفاء الحاجة اليها ، وخوفاً من حدوث تعقيدات بسبب وجودها[3] •

بعد الاستيلاء على رأس الخيمة ، بدأت الاستعدادات لمهاجمة رامس ، الواقعة على بعد ستة اميال شمال شرق رأس الخيمة • وهي قاعدة الزعيم الشهير حسين بن علي ، نائب الوصي السابق على الاتحاد القاسمي • فتحركت (كيرلو) و (اورورا) و (نوتيلوس) لحصارها ، لحين تقدم قوات الحملة[4] • ولكن وجد ان سكان المدينة قد انسحبوا منها الى قلعة ضية ، الواقعة في التلال عند مدخل خليج صغير ، والتي تبعد حوالي الميلين عن ساحل البحر • وقدر عدد المقاتلين في هذا الحصن بـ ٤٠٠ رجل بقيادة حسين بن علي[5] •

كان حصن ضية هذا ، يعتبر المفتاح الشمالي لرأس الخيمة ، لانه يتحكم بقوة بالممرات والتلال والطريق الساحلي الموصل اليها • ولحصانته الكبيرة فقد اعتقد بأن مدافع البريطانيين لن تؤثر في تحصيناته • وعلى ذلك ، فقد قرر القادة البريطانيون ان سقوطه سيؤدي الى تدمير معنوية القواسم في الأجزاء الأخرى من البلاد ، ويضعف من مقاومتهم الى درجة كبرى[6] •

---

(١) Sanger, op. cit., p. 172.

(٢) Mann, op. cit., p. 27.

(٣) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 106.

(٤) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, pp. 667-8.

(٥) Low, op. cit., p. 360.

(٦) [I.O.] Precis of Correspondence, p. 104.

تقدم الاسطول بقوة كبيرة في ١٨ كانون الأول ، لمهاجمة هذا الموقع ، بقيادة الميجر وارن Warren (١)، ولكن القائد البريطاني، الجنرال كير ، قرر الذهاب بنفسه للاشراف على سير العملية ، ورافقه الكابتن كولير ، فوصلا في نفس اليوم(٢) • وفي اليوم التالي ، ١٩ منه ، تم دفع القواسم نحو الحصن ، « وكانوا يقاومون في كل شبر من الارض اثناء تراجعهم نحو مزارع النخيل(٣) • بدأ مدفعان مورتر قصفهما للقلعة ، وقد ظهر للقادة ان حصانة ضية كانت اكثر مما هو متوقع ، ولذلك فقد استقدمت المزيد من التعزيزات • وتم احراز بعض التقدم في اليوم التالي • وفي صباح ٢١ منه ، تم تطويق ضية تماما ، وتم في المساء انزال مدفعين من عيار ٢٤ باوند من (ليفربول) ، وضعا في موقع مواجه للقلعة من جانبها الشمالي الشرقي ، ومدفعين من عيار ١٢ باوند ، في مواجهة قصر الشيخ في الجهة الغربية • وفي الساعة ٨٫٣٠ من صباح ٢٢ كانون الاول ، فتحت النيران ، وتم احداث ثغرة فيها بعد ساعتين من القصف ، فتهيأت القوات البريطانية للهجوم منها ، حينما ارتفع علم أبيض • وأعلن المحاصرون الاستسلام بشرط ضمان حياتهم ، على أن يسلموا اسلحتهم وممتلكاتهم • وفي الساعة ١٫٣٠ بعد الظهر تمت السيطرة على ضية ، ورفع العلم البريطاني على قصر الشيخ(٤) • تم على الأثر ، اقتياد الاسرى ، وعددهم ٣٩٨ أسيرا الى السفن لنقلهم الى

---

(١) تألفت القوات التي وضعت تحت أمرة وارن من ثلاثين مدفعي مع مدفعين عيار ١٢ باوند ومدفعين مورتر ٨ انجات ، واربع قطع ميدان ، والفوج الخامس والستين ومفارز من الكتيبة الاولى والثانية • Low, op. cit., Footnote, p. 361.

(٢) Ibid; Precis of Correspondence, p. 104.

(٣) Low, op. cit., p. 361.

(٤) Ibid; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 668.

رأس الخيمة[١]. ولم يبق في ضية سوى النساء والاطفال • ولكن الجنرال كير ، بتوصية من بروس ، أمر باطلاق سراح عدد من الرجال المزارعين ، ولم يبق في الأسر سوى العناصر الشديدة الارتباط بالشيخ ، وعدد من الرجال ينتسبون الى موانيء اخرى ، كان في النية مهاجمتها ؛ وبلغ عددهم مائة وتسعة وستين رجلا على رأسهم حسين بن علي ، تم نقلهم الى رأس الخيمة حيث وضعوا في الحجز مع الاسرى الآخرين[٢] • لقد خسر البريطانيون في معارك ضية ، ضابطا واحدا وثلاثة جنود وجرح ستة عشر رجلا ، مات أحدهم فيما بعد[٣] • وبعد ان قام الانكليز بتدمير كافة التحصينات ،عادوا في ٢٦ كانون الاول ، الى معسكرهم في رأس الخيمة • ويصف أحد الضباط الذين شاركوا في الهجوم الاخير ، رأس الخيمة عند عودته من هذه المهمة، بقوله « حين وصولنا الى رأس الخيمة، وجدنا المدينة مخربة تماما ، فقد جرى نسف القلاع والابراج من قبل الجنود والبحارة »[٤] •

---

(١) Lorimer, op cit., pp. 668-9.

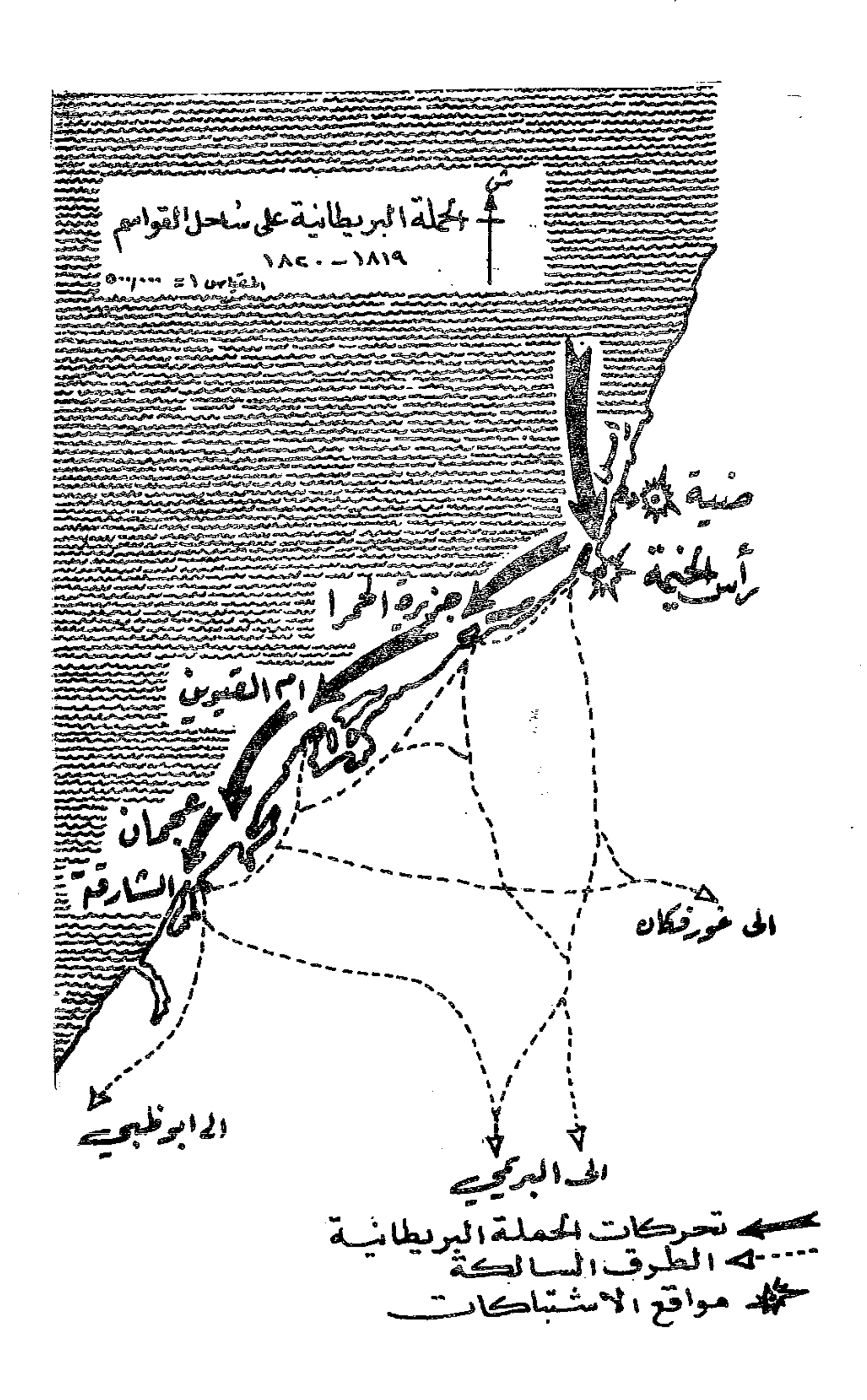
(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, pp. 104-5.

أما لوريمر فيحدد عدد الاسرى الذين نقلوا الى رأس الخيمة ب ١٧٧ أسيرا •

(Lorimer, op. cit., Vol. 1A,, p. 669).

(٣) Low, op. cit., p. 361; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 669.

(٤) Quoted in: Low, op. cit., p. 362.


الحملة البريطانية على ساحل القواسم
١٨١٩ – ١٨٢٠
المقياس ١ = ٥٠٠٫٠٠٠
ش
ضية
رأس الخيمة
جزيرة الحمرا
ام القيوين
عجمان
الشارقة
الى خورفكان
الى ابوظبي
الى البريمي
تحركات الحملة البريطانية
الطرق السالكة
مواقع الاشتباكات

الاتفاقيات الاولية ومعاهدة ١٨٢٠ العامة :

لقد بقي على الجنرال كير أن يجد نوعا من التسوية السياسية تكفل « عدم تمكن القواسم ، مرة اخرى في المستقبل ، من تهديد البحار من البصرة الى بومباي »(١) • كما كان عليه ان يقرر مصير الزعماء الاسرى بما فيهم حسن بن رحمة وحسين بن علي • وبخاصة وان القائد اكتشف بعد ايام قليلة من حجز حسن بن رحمة ، انتشار اضطراب كبير بين العرب ، بسبب حجز هذا الزعيم ، مما أكد له ان بقاء الزعماء في الاسر « سيتحول بالتأكيد الى عائق سياسي امام تكوين علاقات قائمة على الثقة والسلام مع سكان المناطق المجاورة »(٢) • وكان على القائد البريطاني ان يقرر السياسة المناسبة بعد انتهاء العمليات العسكرية ، حيث لم تكن قد وصلته تعليمات جديدة من حكومة بومباي عن الاجراءات الواجب اتخاذها بعد انجاز مهمات الحملة العسكرية •

بدأ كير سياسته التلطيفية ازاء القواسم باطلاق سراح حسن بن رحمة• وقد قابل السكان ذلك الاجراء بارتياح كبير ، وعبروا عن مشاعرهم بمظاهرة عبرت عن الثقة وجاءوا بأعداد كبيرة لاسترجاع الرز والتمر الذي تركوه في رأس الخيمة بعد انسحاب الحامية(٣) • وفي اوائل شهر كانون الثاني ١٨٢٠ ، وصل جميع شيوخ الساحل البارزين الى معسكر كير ، عارضين استسلامهم وصداقتهم : سلطان بن صقر ، شيخ الشارقة ، وشخبوط ابن ذياب والد طحنون بن شخبوط ، شيخ ابو ظبي من البو فلاح ، ومحمد ابن هزاع ، شيخ دبي القاصر – في التاسعة من العمر – ، يرافقه عمه

---

(١) Kelly, op. cit., p. 154.

(٢) [I.O.] Precis of Correspondence, pp. 103-4.

(٣) Ibid, p. 104.

الأكبر ، اضافة الى شيوخ عجمان وام القيوين وجزيرة الحمرا[1] .

بادر الجنرال كير الى عقد اتفاقيات أولية متشابهة مع زعماء القبائل كل على انفراد . نصت على قيامهم بتسليم جميع السفن العائدة لمواطنيهم ، عدا تلك المخصصة للصيد ، وان يعيدوا أي اسير هندي قد يكون في حوزتهم . وهكذا تم التوقيع على المعاهدات التمهيدية مع سلطان بن صقر في ٦ كانون الثاني ، ومع حسن بن رحمة في ٨ منه ، ومع محمد بن هزاع في اليوم التالي ، ومع الشيخ شخبوط بن ذياب في ١١ منه ، ومع حسين بن علي في ١٥ منه[2] .

تبرز أهمية تلك الاتفاقيات مع الشيوخ بأنها أصبحت وسيلة شرعية للانكليز لمواصلة تدمير قوى القواسم العسكرية والبحرية الاخرى . اذ تقدمت السفن (ليفربول) و (ترنت) و (تايكماوث) و (ارورا) على طول الساحل مدمرة سفن القواسم وتحصيناتهم في كل من : جزيرة الحمرا وعجمان وام القيوين والشارقة وفاشت وأبو حايل . ولم تواجه القوات البريطانية في هذه المهمة ، وفي اي من هذه الاماكن اية مقاومة ، وقد تم انجاز تلك المهمة في ١٨ كانون الثاني[3] . ويعلق أحد الضباط على هذا

---

(١) Ibid, p. 106; Kelly, op. cit., p. 154.

(٢) [I.O.] P.G.T.B. Book 21, Kier to W. Bruce, 16th Jan. 1820

وللنص الكامل لهذه الاتفاقيات :

R. Hughes Thomas, Treaties, and: 1820., Engagements, Between the H.E.I.C. and the Native Princes, Chiefs, and States,..., (Bombay, 1851), pp. 26-35; Aitchison, op. cit., Vol. XII, pp. 166-71.

(٣) Low, op. cit., Vol. I, pp. 362-3; Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 669; Moyse-Bartlett, op. cit., p. 97.

الانجاز بقوله : « نأمل ان نكون قد نجحنا في استئصال جـذور وبراعـم القرصنة لفترة طويلة قادمة »[1] .

أمر الجنرال كير بخلع حسن بن رحمة من الزعامة القاسمية ، بعد أن أملى عليه معاهدة السلام في ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ . وتمثل هذه المعاهدة انعطافا خطيرا في علاقة بريطانيا في الخليج ؛ اذ أصبحت الاساس الـذي ارتكزت عليه الهيمنة السياسية والاقتصادية على اقطاره وكياناته ، وتحددت علاقاتها به باعتباره جزءا لا يمكن الاستغناء عنه من امبراطوريتها في الهند . ونظرا لهذه الاهمية ، وللنتائج المهمة التي أسفرت عنها ، فان دراسة تفصيلية للظروف التي عقدت بها ، وابرز موادها ، والموقف المبادر الذكي للجنرال كير ، وردود فعل حكومة بومباي ، هو أمر في غاية الاهمية ، لانه يوضح جوهرة خطوط السياسية البريطانية في هـذه المنطقة ، التي اتسمت حتى ذلك الوقت بالتردد .

فرضت المعاهدة من جانب واحد ، هو المنتصر في الحرب ، ولم يكن امام الطرف الآخر ، الذي تحطم أساس قوته بتدمير ومصادرة اسطوله ، سـوى الاذعان . وحقيقة ان القائد البريطاني قام بعزل زعيم القواسم في نفس الوقت الذي طالبه فيه بوضع توقيعه على المعاهـدة ، تعتبر مؤشـرا واضحا لما سيسفر عنها من نتائج . اذ ان عزله بدون التوقيع قد يضعف من قوة تأثير المعاهدة على جمهور القواسم ، ولكن توقيعه عليها يثبت بصورة قاطعة استسلامه للمشيئة البريطانية . والاخطر من هذا قيام القائد البريطاني بمعاملة الشيوخ كقـوى مستقلـة ، بغض النظر عن تبعيتهم للشيخ الاعلى للقواسم ، كان امرا حاسما في تحطيم الاتحاد القاسمي منذ ذلك الحين . وقد تضمنت مقدمة المعاهدة اشارة واضحة الى هذه النقطة ، فلم تشـر الى كونها معاهدة بين بريطانيا وشيخ القواسم ، وانما « بين الحكومة البريطانية

(١) Quoted in: Low, op. cit., Vol. I, p. 362.

والقبائل العربية الذين هم أطراف في هذا الاتفاق » •

تألفت المعاهدة من احدى عشرة مادة[1] : نصت مادتها الاولى على تحريم النهب والقرصنة نهائيا في البحر والبر • وحددت القرصنة بأي عمل من أعمال العنف يتم بدون حرب معلنة من جانب حكومة ضد اخرى ، ويستحق المخالف اقصى العقوبة وهي المصادرة والموت (مادة ٢) • اما المادة الثالثة فقد حددت شكل العلم الذي يجب على القبائل الموقعة رفعه ، وهو المعروف في البحرية البريطانية باسم « ابيض يخترقه أحمر » • ويكون هذا العلم رمزا للسلام بين القبائل وبين بريطانيا (مادة ٤) • ونصت المادة الخامسة على وجوب تزويد كل سفنهم بوثيقة « سجل » واجازة ميناء موقعتين من قبل الشيخ الحاكم ، تتضمن حقائق هامة عن المحل الذي قدمت منه السفينة ، والذاهبة اليه ، وحجمها وتسليحها وحمولتها وعدد بحارتها واسم قائدها « واذا ما التقت بهم سفينة بريطانية أو غيرها ، فان عليهم تقديم السجل والاجازة » • ان هذه المادة أعطت للبحرية البريطانية في الخليج حقا مشروعا في السيطرة على تحركات السفن العربية • واشارت المادة السادسة الى حرية الطرفين في ارسال مندوب عنهم لدى الجانب الآخر ، يقوم بالمصادقة على توقيع الشيخ على السجل، الذي يجب ان يجدد سنويا • اما المادة السابعة فقد وضعت بشكل يمكن البريطانيين من دعوة جميع القبائل للانضمام اليهم في القضاء على اية حركة ترمي الى خرق المعاهدة « اذا لم تكف أية قبيلة عن النهب والقرصنة ، فان العرب الاصدقاء سيعملون ضدها وفق قابلياتهم وظروفهم • وان اتفاقية لهذا الغرض ستجري بين العرب الاصدقاء في الوقت الذي يحدث فيه مثل هذا النهب والقرصنة » • وتضمنت

(١) انظر نص المعاهدة في :

Thomas, op. cit., pp. 21-5; Aitchison, op. cit., Vol. XII, pp. 171-3; Hurewitz, op. cit., Vol. I, pp. 89-90.

المادة الثامنة نفس هذا المفهوم في معرض تحريمها لقتل الاسرى • فالقبيلة التي تخرج على هذا المبدأ ، فعلى العرب الموقعين على المعاهدة « العمل ضدها بالاتحاد مع البريطانيين » • في حين تناولت المادة التاسعة تحريم تجارة العبيد • وسمحت المادة العاشرة لسفن القبائل البحرية بدخول الموانيء البريطانية وممارسة التجارة فيها بحرية • وقد أمنت هذه المادة استمرار العلاقات التجارية بين البريطانيين والعرب • وجعلت المادة الاخيرة المعاهدة مفتوحة لكل القبائل والاشخاص الراغبين بدخولها في المستقبل ، بحيث تطبق عليهم نفس الشروط التي تنطبق على الموقعين عليها في البداية • وكان اول الموقعين عليها حسن بن رحمة شيخ القواسم السابق ، ورجب بن احمد ، شيخ جزيرة الحمرا في نفس اليوم ، ٨ كانون الثاني • وفي ١١ منه وقعها شيخ ابو ظبي ، شخبوط بن ذياب ، ، وفي ١٥ منه وقعها حسين بن علي ، شيخ رامس وضية ، وفي ٤ شباط وقعهـا سلطان بن صقر ، شيخ الشارقة ، وفي ٢٣ شباط انضم الى المعاهدة شيخ البحرين ، سلمان بن احمد آل خليفة ، وفي ١٥ مارت دخل فيها شيخا عجمان وام القيوين •

وبالنظر لاهمية دور الجنرال كير ، وتأثيرات هذه المعاهدة ، نجد من الضروري تتبع رد فعل حكومة بومباي وردود الجنرال كير • لقد سبقت لنا الاشارة الى ان القائد البريطاني ، قام باجراءاتـه قبل ان تصله تعليمات حكومة بومباي ، عن الترتيبات التي يجب اتخاذها بعد انتهاء عمليات الحملة العسكرية • ومن الجدير بالذكر ان نسجل استياء حاكم مسقط من هذه التسويات ، وقد عبر عن عدم قبوله بها برفع معسكره ومغادرته المنطقة عائدا الى مسقط ، حتى قبل التوقيع على المعاهدة ، لما « اعتبره تساهلا كبيرا من قبل القائد البريطاني تجاه القواسم »[1] • اما تعليمات حكومة بومباي فلـم تصل الا في يوم ٢٨ كانون الثاني ، وهي نسخة من التوصيات التي قدمهـا

(١) Kelly, op. cit., p. 157.

الفنستون Elphinstone حاكم بومباي الجديد ، الى الحكومة العليا في الهند في ١٥ كانون الاول ١٨١٩ ، حول السياسة الواجب اتباعها في الخليج[1] • وقد جاء في تلك التوصيات تأكيدها على تدمير كل السفن ذات الصفة الحربية من قبل قوات الحملة في الموانيء الواقعة بين رامس وأبو ظبي ، ولا يسمح الا لتلك المخصصة للاغراض التجارية بالابحار من رأس الخيمة « التي يجب ان تجرد من كل وسائل الدفاع » • كما أكدت على ضرورة اقامة وكيل اهلي في تلك المدينة ، للتأكد من الصفة التجارية لكل سفينة تغادرها • وان يسمح للطرادات البريطانية بحرية الدخول في اي وقت الى ذلك الميناء • وبتمركز بعض السفن البريطانية المسلحة عند مدخله ، او اي ميناء قريب ، مع حريتها في الدخول اليها في اي وقت • وأكدت التوصيات على ضرورة تشجيع الفعاليات التجارية للقواسم وذلك بالسماح لهم بالترددعلى الموانيء الهندية • ووجوب الحصول على تعهد من خليفة حسن بن رحمة ، الذي يجب تنحيته من زعامة القواسم ، بتطبيق هذه الالتزامات ، وبخلافه « يجب نقل ملكية منطقة (السر) الى حكومة مسقط » • ويجب اعادة كل الدويلات الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج التي كانت تابعة في ولائها للحكومة الفارسية قبل تفوق القواسم ، الى ولائها السابق • كما ان اقامة قاعدة بريطانية دائمية « هي أمر اساس لممارسة سيطرة مباشرة على مياه الخليج » • كما يجب ابقاء أقوى قوة بحرية يمكن توفيرها فيه ، من اجل القيام بتفتيش نظامي على موانئه المختلفة و « مصادرة اي سفينة ذات صفة حربية » • وختم الفنستون توصياته هذه بالاشارة الى وجوب فرض الحظر على تصدير الخشب من

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cnos. of 16th Dec., 1819.

الهند الى اي جزء من الخليج »[1] .

لم يكن بمقدور كير تنفيذ هذه التعليمات ، لوصولها متأخرة جدا ، وبعد التسويات التي اجراها في المنطقة ، ولذلك فقد اجاب « بأنه يأمل ان تحظى التسوية التي قام بها بموافقة الفنستون »[2] . ولكن الامر لم يكن كذلك . فمع تقدير حكومة بومباي لدور الجنرال العسكري وسلوكه « الانساني » ، الا انها لم تكن راضية على « التساهل الكبير » في تسوية القائد العامة[3] . وكانت النقاط الرئيسة للاعتراض على المعاهدة هي انه بعد تدمير سفن القواسم الحربية وكل تحصيناتهم ، فقد كان من المرغوب فيه « عزل جميع الزعماء المرتبطين بالقرصنة وتوقيفهم » . كما ان اطلاق سراح الزعيمين حسن بن رحمة وحسين بن عليّ ، هو تساهل كبير ، ذلك انهم « لم ينالوا بأي شكل من الاشكال العقاب الذي يتناسب مع عظم جرائمهم » . وكان من المرغوب فيه كذلك ، وضع الحظر على تصدير الخشب من الهند لكل اولئك الذين يثبت ارتباطهم بالقرصنة ، لمنع بناء السفن الضخمة ، ومنع اعادة بناء الحصون ، ويحتفظ البريطانيون بحق الانزال وتدمير أية تحصينات قد يحاول الزعماء انشاءها وتحديد حجم وعدد بحارة السفن العربية . اما تعهد الشيوخ بترك القرصنة والتخلي عن تجارة العبيد واعدام الاسرى ، كما جاء في المعاهدة ، فيبدو « ان الوسائل من اجل تطبيق هذه النواحي غير كافية » . اذ لا يمكن الاعتماد على الوعد فقط ؟ فالسجلات ورخص الميناء لا تتضمن الا اشارة الى الميناء الذي ابحرت منه السفينة « هذا ولم يكن تعرضنا لهجماتهم لفترة طويلة نتيجة لجهل بالموانيء التي كانت سفن القراصنة

---

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. of 16th Dec., 1819.

(٢) Quoted in: Kelly, op. cit., pp. 156-7.

(٣) Lorimer, op. cit., 1A, p. 673.

تبحر منها » • ومن اجل ان تكون هذه الرخص ذات فعالية أكبر ، ان تردف بعقوبة رادعة لكل اولئك الذين يزوّرون الاوراق او يبحرون بدونها • وفي حالة ابحار أية سفينة بدون تزويدها بمثل هذه الاوراق « فانها ستكون عرضة للاسر او حتى للمصادرة » • وانه كان من الافضل لو ان الجنرال كير تمكن من الحصول على موافقة الشيوخ بتحديد حجم سفنهم ؛ وبذلك « يصبح من السهل التغلب عليهم من قبل طراداتنا فيما اذا استخدمت لاغراض قرصنية » • وختم حاكم بومباي انتقاداته تلك بالقول « ان له القناعة التامة بأن اي تغيير يجرى على تلك الاتفاقيات سيعتبره سكان الجزيرة العربية ••• نقضا لما اتفق عليه » ولذلك فليس امامه خيار سوى ان يوصي بها الى الحاكم العام للمصادقة عليها »(١) •

لم يتسلم الجنرال كير هذه الانتقادات الا بعد انتهاء الحملة ، وهو في طريق عودته الى بومباي في بداية شهر نيسان • ولم يتردد في الدفاع بصلابة واعتدال عن تصرفه ، والخط السياسي الذي اتبعه مع الشيوخ العرب ، والتسوية التي توصل اليها معهم • وقد ضمن وجهات نظره على نقاط الاعتراض السابقة ، في تقرير بعثه الى حكومة بومباي مؤرخ في ١١ نيسان ١٨٢٠ ، اشار فيه الى انه متفق مع الحاكم في عدم الركون على وعود الشيوخ وحدها ، الذين انضموا للمعاهدة بترك القرصنة ، ما لم تستمر « مراقبة حذرة ودقيقة لتحطيم اول بادرة تشير الى عودتهم اليها • واني افكر بأن القوة التي عليها القيام بذلك يجب ان تبقى بيد السلطات البريطانية في الخليج » وان من اهم المكاسب الاساسية التي تم الحصول عليها من المعاهدة الحالية ، توصلنا الى تدمير تحصيناتهم وسفنهم ، وقد قمنا بذلك

(١) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 8, 1st Mar., 1819; Precis of Correspondence, pp. 111-13; See also: Lorimer op. cit., Vol. 1A, p. 673; Kelly, op. cit., p. 157; Adamiyat, op. cit., p. 76.

« على اساس انه مثبت في المعاهدات ••• لا كأجراء انتقامي يقطع كل الصلات الودية معهم في المستقبل » ولم يكن من الحكمة في شيء « استعراض قوتنا العسكرية لاسر وتدمير التحصينات والسفن ، ونحن بجميع الاحتمالات كنا سننسحب عاجلا الى السفن تحت النيران التي سيفتحها العدو الذي قمنا بدحره ، والذي كان سيستعيد ثقته بنفسه من عملية انسحابنا في مثل تلك الظروف » • اما ما أشار اليه الحاكم من تحديد حجم وتسليح سفنهم ، فان ذلك من شأنه « ان يضع التزاما على الحكومة البريطانية في الدفاع عن القبائل الموقعة على المعاهدة ضد المهاجمين من جيرانهم الذين لم تكن سفنهم هدفا لمثل هذه التحديدات » • كما انه ليس من الحكمة ان تنص المعاهدة على منع تصدير الخشب من الهند ، طالما انه بمقدور السلطات البريطانية فرضه في الهند نفسها • اما انتقاد معاملة الاسرى ، والاجراء الذي اتخذه باطلاق سراح حسين بن علي وأتباعه ، فيعود الى ان قسما كبيرا منهم كان يعاني من المرض والجراح ، وقد خشي كير من ان موتهم وهم في قبضة القوات البريطانية « لن يترك انطباعا سياسيا مرغوبا، في حين انني واثق من ان تحريرهم سيؤدي بالضرورة الى ذلك »• وان الزعماء استسلموا له طواعية بعد ان لمسوا اجراءاته الحكيمة في معاملة الاسرى واطلاق عدد كبير منهم في ضيّة ، ولو انهم رفضوا الاستسلام فان ذلك كان سيؤدي الى تحريك القوات البريطانية بعيدا الى الداخل • حيث لجأ بعضهم فعلا قبل عقد المعاهدة ، وهذا الامر يناقض تعليماته الاصلية بتجنب الابتعاد عن الساحل قدر الامكان • وانه لو قام بابدال الزعماء بمرشحيه هو ، فانه كان سيتعين على الحكومة البريطانية مواصلة دعمهم ، وسيؤدي هذا بالضرورة الى « تورطها في المستقبل في المشاكل الداخلية للقبائل » اما عزل حسن بن رحمة ، وهو الاستثناء الوحيد في هذه القضية، فانه يعود الى تعليمات الفستون القاضية بتسليم رأس الخيمة الى سلطان بن صقر بعد ان يتعهد بتغيير سلوك قبيلته ، والذي كان بمقدوره احراز

السيطرة بعد ابعاد حسن بن رحمة وحسين بن علي ، وسيظل سلطان هذا مدينا لبريطانيا بمكانته الجديدة[1] •

لو امعنا النظر في دراسة موقف الجنرال كير ، لوجدنا انه أظهر الكثير من الحصافة والحكمة في تعامله مع الشيوخ العرب ، في حين كانت حكومة بومباي تمتلك نظرة ضيقة فيما يتعلق بالخليج • فقد كانت هذه الحكومة ترمي الى سحق سلطة الزعماء العرب بتطبيق اجراءات صارمة بحقهم ، في حين سعى الجنرال كير الى تأمين تعاونهم في المستقبل بتجنب الاجراءات الانتقامية غير الضرورية ؛ وهذا الاسلوب سيحول الاعداء القدامى الى حلفاء جدد لبريطانيا • وسيكون من شأن هذا التطور ان يصبح مركز بريطانيا في الخليج قائما على اسس متينة[2] وقد برهن الوقت على صواب موقف الجنرال •

اجراءات الحملة الاخيرة :

كانت مهمات الحملة على الساحل العربي قد انتهت في الاسبوع اولال من شباط ، وقد أبلغ الجنرال كير حكومة بومباي ، في رسالة خاصة في ٧ شباط ، بانتهاء العمليات على هذا الساحل وتدمير كافة التحصينات من رامس الى ابو ظبي وحرق او مصادرة كل السفن الكبيرة ، وعددها مائتا سفينة وسفينتان اثنتان[3] • وعلى الاثر توجه اهتمام الجنرال كير نحو

---

(١) نص رسالة الجنرال كير في :
[I.O.] Precis of Correspondence, pp. 113-16, See also: Lorimer, 1A, pp. 673-4; Kelly, op. cit., pp. 158-9, Adamiyat, op. cit., pp. 77-9.

(٢) Adamiyat, op. cit., pp. 79-80.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 8, 1st Mar., 1820.

الشق الثاني من مهمته ، وهو ضرب الموانيء الحليفة للقواسم والواقعة على الساحل الشرقي ، مع محاولة استرضاء الحكومة الفارسية ، ولكن معارضتها لن تحول دون تنفيذه لهذه المهمة[1] • ويجب ان نذكر هنا ، بأن حكومة بومباي قد سعت الى كسب تأييد الحكومة الفارسية ، فبالاضافة الى الرسالة التي ارسلت الى أمير شيراز لشرح اهداف الحملة ومحاولة الحصول على دعمه لها ، عهدت بمهمة اقناع شاه ايران بهدف هـذه العمليات وفائدتها للحكومة الفارسية ، الى الكابتن هنري ويلوك H. Willock القائم باعمال البعثة البريطانية في طهران[2] • وقد اجتمع ويلوك بوزراء الشاه في ٢٢ كانون الاول ١٨١٩ ، لهذا الغرض • وبعد ان اطلعهم على الخطوات التي تزمع حكومة بومباي اتخاذهـا لمعاقبة القواسم ، أعرب عن أملـه في ان لا تسمح الحكومة الفارسية لحلفائهم بالتملص من العقاب بسبب من كونهم يقطنون الاراضي الفارسية ، وقد اثـارت هـذه الاشارة كبرياء الوزراء الفرس ، لانها عبرت عن عجز حكومتهم في كبح رعاياها ، فأجابوا بأن الشاه غير مطلع على اية اعمال قرصنية ارتكبها رعاياه ، وانـه حتى في حالـة حدوث مثل هذه الاعمال ، فان الاسلوب اللائق الذي يجب على الحكومة البريطانية ان تسلكه ، هو ان تلجأ الى الشاه طلبا بالانصاف ، لا أن تلجأ الى الاعمال العدائية على سواحله ، فلفت ويلوك انظارهم الى ان امير فارس ، لا يملك القوة للسيطرة على القبائل الساحلية[3] • بعد اسبوع من ذلـك ، أعلم ويلوك بأن الشاه قد أصدر اوامره الى ولده ، حسـين مرزا ، امـير شيراز لتقديم كل مساعدة ممكنة للحملة ، وعلى الرغم من ان الاخير قد

(١) أنظر أعلاه ص ٣٠٨ •

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. of 16th Dec. 1819, See also: Kelly, op. cit., p. 160.

(٣) Ibid, p. 160.

كتب الى كير عند وصول الحملة الى الخليج معبرا عن سروره بالعقاب المنوي انزاله بالقواسم وعارضا تقديم التموينات لقوات الحملة ، فان رسالة ثانية منه ، استلمت بعد سقوط رأس الخيمة ، كانت باردة في لهجتها بشكل واضح[1] • في حين اتسمت رسالته الثالثة بروح عدائية بشكل جلي ؛ حيث أشار فيها الى نية الجنرال كير المقررة لمهاجمة قواسم لنجة بقوله « ••• ان ميناء لنجة يعود لمقاطعة فارس ••• وسكانه هم رعايا الحكومة الفارسية ، ولم يتصرفوا بأي شكل بما يناقض الرعوية التي ينتسبون اليها ••• فعليك بناء على ذلك ••• ما دمت باقيا في الخليج ، اذا سمحت ، ان تأمر بأن لا يتعرض اي من السكان المنتسبين الى اي من موانيء فارس ، ولنجة بشكل خاص • الى اي شكل من اشكال التحرش ••• »[2] •

مما لاشك فيه ان سقوط العاصمة القاسمية ، سيؤدي حتما الى تفتيت الاتحاد القبلي البحري القوي ، وبذلك ستنجح السلطات الفارسية بسهولة ، لم تتوفر لها في السابق، من فرض سلطتها على سواحلها وموانئها الرئيسة•

لم يثن موقف الامير الفارسي كير عن مواصلة تنفيذ تعليماته ، فقرر في الاسبوع الأول من شباط ، القيام بعملية استطلاع للساحل الشرقي قبل المباشرة بالعمليات • ولكنه وقبل ان يغادر رأس الخيمة وصلته انباء قيام قسم من القوة البحرية البريطانية، بعمليات حربية على الساحل الشرقي[3] • فقد قام الكابتن لوك ، قبطان (ايدن) ، في اثناء توجهه الى البحرين ترافقه (كيرلو) و (نوتيلوس) ، لتنفيذ لامر الصادر اليه بالتحري عن السفن القاسمية التي قد تكون قد لجأت الى هناك ، بمهاجمة ثلاث سفن راسية في

---

(١) Kelly, op. cit., p. 160.

(٢) Quoted in: Ibid, 6p. 11.

(٣) Ibid.

اسالو Asalu على الساحل الشرقي ، حينما شك بكونها قرصنية ، فاحرق سفينتين منها تابعة للنجة ، وسحب الثالثة التابعة لدبي . وفي كنكون Kangun عثر على سفينتين اخريين تابعتين للنجة فقام باحراقها ايضا[1] .
وقد توقع الجنرال كير ان يقوم الحاكم الفارسي بالاحتجاج على عملية لوك ، كما ساوره الشك في ان يكون هذا القبطان قد تأكد بشكل كاف من الصفة القرصنية للسفن ، قبل قيامه بتدميرها . وبناء على ذلك قرر ، قبل امكان وقوع المزيد من العمليات ضد الموانيء الواقعة على الساحل الشرقي ، القيام بتحقيق دقيق عن تهم القرصنة الموجهة ضدها ، وبخاصة لنجة وخارج وأسالو ومغو . وقد عهد بهذه المهمة الى المستر بروس ، المقيم في بوشهر . وبنفس الوقت ابحر بنفسه لاستكشاف هذا الساحل ، كما خطط لذلك من قبل ، على ان تلحق به سفن النقل ، والقسم الاكبر من الجنود باسرع ما يمكن[2] . وقد ظهر للقائد من تقرير بروس الذي وصله بعد اسبوعين ، ان سكان هذه الموانيء لم يرتكبوا عمليات قرصنية ضد السفن البريطانية ، الا في حالتين : الاولى قيام سكان خارج بنهب سفينة تحطمت بالقرب من جزيرة قيس سنة ١٨١٤ . والاخرى قيام سكان لنجة بنهب سفينة اخرى سنة ١٨١٥ ، وفي الحالتين كانت هناك ظروف مخففة ؛ فشيخ خارج عاون في انقاذ حمولة السفينة الاولى ، بينما في الحالة الثانية كانت لنجة تحت سيطرة سلطان بن صقر ، لا تحت سيطرة شيخها الحالي[3] . ولذلك لم

---

(١) Ibid ، حين وصول لوك الى البحرين ، بادر شيخا الجزيرة ، سلمان بن احمد وعبدالله بن احمد ، بتسليم سفن القواسم الراسية في الميناء ، وعددها عشر الى لوك ، الذي قام باحراقها ، كما حصل على تعهد الشيخين بقطع كل علاقة لهم بالقواسم (Ibid, p. 165).

(٢) Ibid, p. 161.

(٣) Ibid.

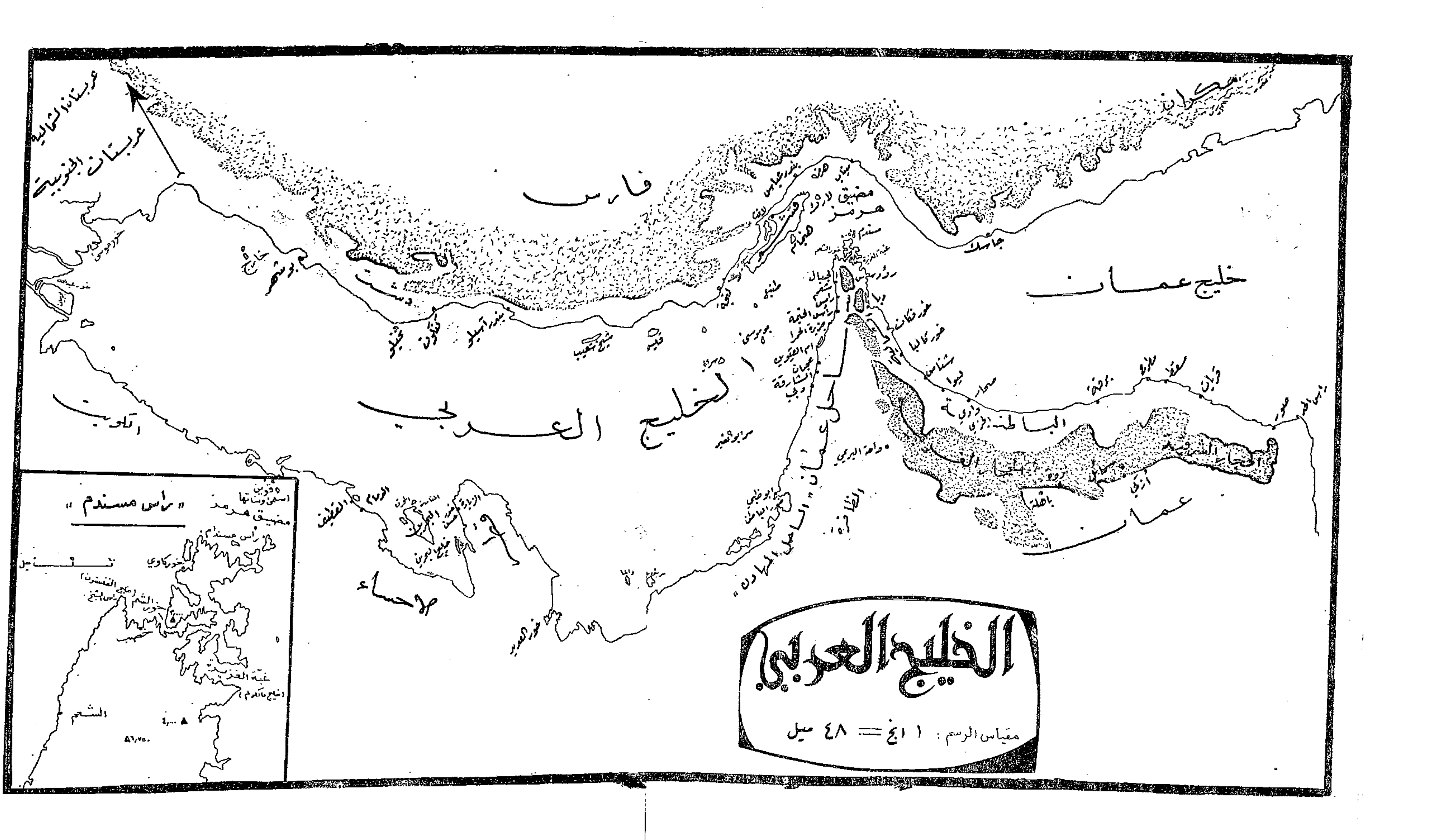
يكن امام كير ما يفعله ، سوى ترك فكرة الهجوم على المـواني‌ء الفارسية ، خاصة وان رد الفعل الفارسي المتوقع ، ضد قيام عمليات اخرى ، جعلت كير ومن بعده حاكم بومباي ، يعيدان التفـكير في المسألة • ولم يكتف حاكم بومباي بتأييد قرار كير بالتوقف عن مهاجمة هذه المواني‌ء فقط ، بل انـه أمر باتخاذ الخطوات لتعويض اصحاب السفن التي دمرت من قبل عمارة لوك[1] • وهذا يعني بأن دور الحملة قد أشرف على نهايته ، وهكذا أمر كير في الاسبوع الاخير من شباط ، سفن النقل التي تحمل الجنود الاوربيين، والراسية بالقرب من جزيرة قيس ، بالعودة الى بومباي • وعاد هو الى رأس الخيمة في ٢٨ شباط مـع بقية القوات ، من اجـل وضع الترتيبات النهائية وتحديد القوة التي سيتركها هناك كحامية[2] •

انتهت الحملة على مواني‌ء القواسم في مارت ١٨٢٠ ، وكانت معظم السفن في طريق العودة الى بومباي ، حينما قام كير بزيارته الاخيرة للساحل في الاسبوع الثاني من مارت ، وفي ١٥ منه ، استقبل شيوخ عجمان وام القيوين على سطح (ليفربول) ومنحهم حق الدخول الى المعاهدة العامة[3] • ان هذه الواقعة ذات اهمية خاصة في عكس بعد النظر السياسي لهذا القائد • اذ قبل شهر من ذلك ، وحينما سمح لسلطان بن صقر بالتوقيع على المعاهدة، صرح الاخير بأن راشد بن حامد ، شيخ عجمان ، وعبدالله بن راشد ، شيخ ام القيوين ، هم من رعاياه ، وبأنه يوقع نيابة عنهم في الوقت الذي يوقع فيه عن نفسه • ولكن كير بعد ان امعن التفكير ، قرر انه من الأصوب ان يضع حدودا لادعاءات الـزعيم القاسمي بالسلطة ، وذلـك بالاعتراف بالشيخين

(١) Ibid, p. 162; Graham, op. cit., 251.

(٢) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 20, 5th Apr., 1820; also, Kelly, op. cit., p. 162.

(٣) Ibid, p. 166.



فارس
خليج عمان
الخليج العربي
عمان
الاحساء
الكويت
مضيق هرمز
رأس مسندم
الخليج العربي
مقياس الرسم : ١ انج = ٤٨ ميل

كحكام مستقلين[١] • وقد اعترف بذلك بقوله « ••• فقد فكرت بانه يمكن الحصول على فوائد من ضم اسمائهم الى المعاهدة »[٢] • ويبرز بعد النظر والدهاء السياسي للقائد ، في الحيلولة دون انبعاث جديد للاتحاد القاسمي ، عن طريق تحطيم سلطة الشيخ القاسمي السياسية على بقية المشايخ • وذلك بالاعتراف بسلطة الشيوخ الآخرين كقوى مستقلة ، وبذلك لن يواجه البريطانيون خطرا من قوة متحدة تستطيع ، بعد ان تنفض عنها آثار الهزيمة العسكرية الاخيرة ، ان تسبب خطرا على مركز بريطانيا المتفوق في الخليج • فعلى انقاض الاتحاد القاسمي ، ووفق التسويات الجديدة ، قامت مشيخات صغيرة مستقلة ، وكل شيخ كان ينظر الى بريطانيا باعتبارها الدعامة الاساسية لضمان حكمه ، ويصبح المقيم البريطاني في الخليج ، هو الحكم الاعلى في المنازعات التي تنشب بين هؤلاء الشيوخ • وبذلك نجحت بريطانيا في تحقيق وضمان هيمنتها بخلق انصار لمصالحها بالخليج ، دون ان يكلفها ذلك شيئا •

وكان آخر اجراءات كير ، ترك حامية بريطانية في رأس الخيمة ، تألفت من ألف ومائة وستين رجلا ـ ٤٠ رجلا مدفعيا و ٦٠ بحارا ، و ١٠٦٠ من المشاة السيبوي ـ وضع على قيادتها الكابتن بيرونت طومبسون Perronet Thompson من فصيلة الفرسان السابعة عشر[٣] • وفي ٦ مارت ، ابحر كير عائدا الى بومباي[٤] •

(١) Kelly, op. cit., p. 166.

(٢) I.O. Precis of Correspondence, p. 126.

(٣) [I.O.] F.R.P.P.G., Vol. 32, Sec. Cons. No. 20, 5th Apr. 1820.

(٤) Kelly, op. cit., p. 166. ، اما لو Low فيقول ان كير غادر المنطقة الى بومباي في ٢٤ مارت ، ولكن وبما ان وصوله الى بومباي تم في أوائل شهر نيسان ، فيظهر ان كيلي ادق منه في ذلك (Low, op. cit., Vol. 1, p. 366).

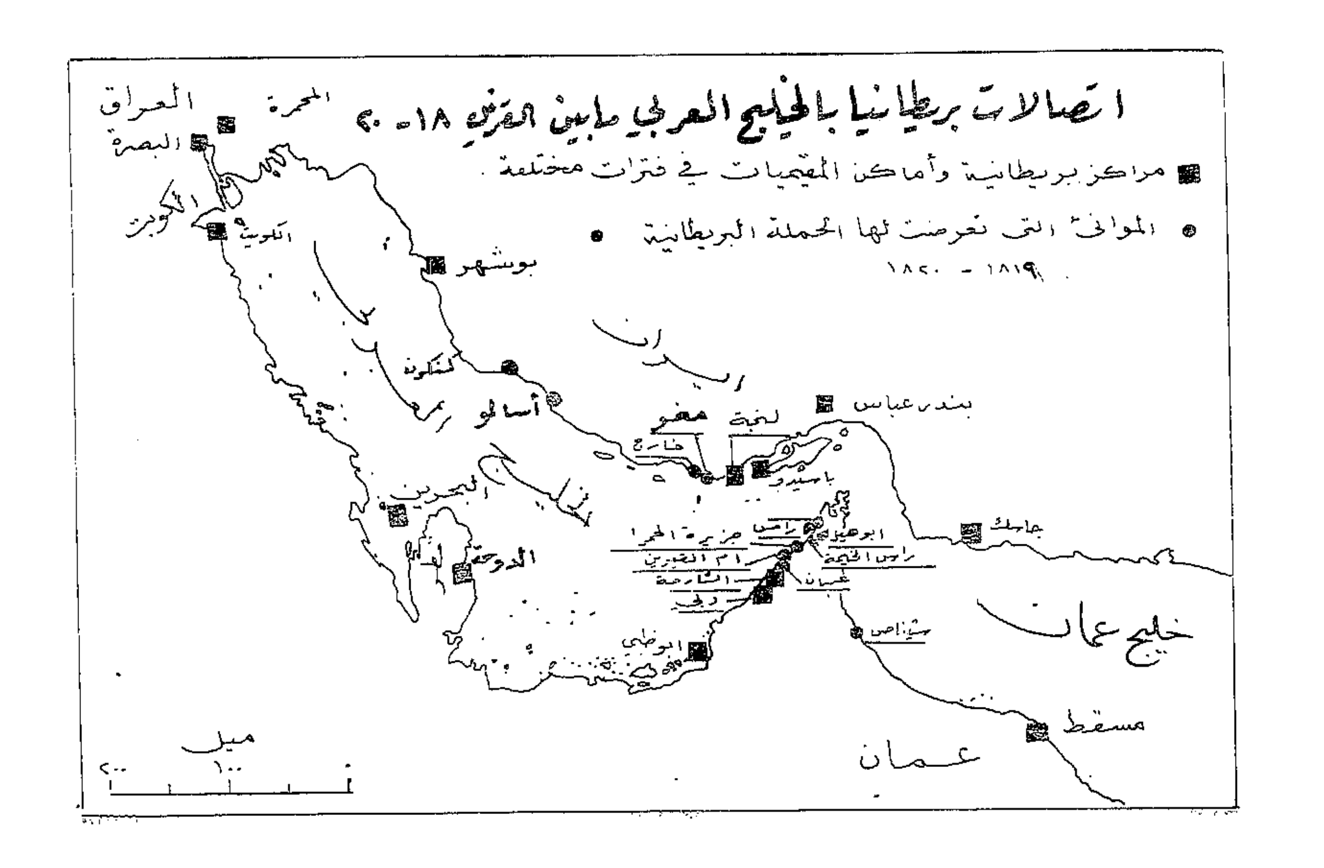
لم يطل بقاء الحامية البريطانية في رأس الخيمة • اذ ان الجنرال كير ، على الرغم من اعتباره ان وضع الحامية فيها كان مؤمنا بصورة جيدة ، الا أنـه أشـار الى ان الصعوبـة الاساسية التي تواجـه الحامية هي تأمين تجهيزات المياه وخطر العدوى من الامراض كالحمى ، ونصح بنقل الجنود من رأس الخيمة الى جزيرة قشم القريبة واتخاذها قاعدة ، باعتبارها اكثر ملاءمة[١] • وبناء على ذلك صدرت الاوامر الى طومبسون بنقل قواته الى جزيرة قشم ، بعد ان يقوم بتدمير تحصينات رأس الخيمة قبل الجـلاء ، وتسليم المدينة الى سلطان بن صقر ، او اي زعيم مناسب آخر ، وقـد قـام طومبسون بتدمير « كل بناية تقريبا في رأس الخيمة » ثم غادرها في ١٨ تموز ، وبعد يومين نزل الجنود في قشم[٢] • ولكن للمشاكل التي آثارها احتلال قشم ، ومصاعب المناخ غير الصحي كليا ، تم وضع نظام بديل يعتمد على الدوريات البحريـة • جرى تبنيه في النهاية ، سنة ١٨٢١ ، من قبل حكومة بومباي ، بنصيحة من المستر مريتون Meriton رئيس البحرية الاعلى وبموجب ذلك ، تقرر الاحتفاظ بست طرادات ثلاث منها تتمركز في قشم ، ومهمتها القيام بالطواف باستمرار قرب الموانى العربية من راس الى دبي ، وثلاث الاخرى ؛ اثنتان منها مهمتها حمل الرسائل الرسمية ومهمات اخرى بين البصرة ومسقط ، والأخيرة لابقاء الاتصالات مع بومباي ، وبعد سنة واحد ، جرى تعديل طفيف ، اصبحت فيه اربع طرادات بدل ثـلاث تقوم بالدورية وواحدة لاستخدامها بين مسقط والبصرة[٣] •

---

(١) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 675.

(٢) Ibid, p. 676, Low, op. cit., Vol. 1, pp. 366-270; Graham, op. cit., p. 252.

(٣) Lorimer, op. cit., Vol. 1A, p. 676.



اتصالات بريطانيا بالخليج العربي مابين القرنين ١٨ - ٢٠
مراكز بريطانية وأماكن المقيميات في فترات مختلفة.
الموانئ التي تعرضت لها الحملة البريطانية ١٨١٩ - ١٨٢٠
العراق
المحمرة
البصرة
الكويت
بوشهر
أسالو
بندر عباس
لنجة
مغو
خارج
باسيدو
البحرين
الدوحة
رأس الخيمة
جزيرة الحمرا
ام القيوين
الشارقة
دبي
عجمان
ابوظبي
جاسك
شناص
مسقط
خليج عمان
عمان
ميل
١٠٠
٢٠٠

الخاتمة

برز القواسم كقوة بحرية مهمة منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وما إن أشرف ذلك القرن على الانتهاء ، حتى أصبحت البحرية القاسمية المنافسة الاولى للبحرية العمانية ، التي كانت أقوى قوة محلية آنذاك ، في الخليج والمحيط الهندي • وقد ساعدت الظروف المحلية والدولية وانعكاساتها في منطقة الخليج ، على اشتداد شوكة القواسم في الحقبة الزمنية المشار اليها اعلاه •

شهدت المنطقة الساحلية الغربية للخليج العربي ، تحولات خطيرة في شتى المجالات بداية القرن التاسع عشر • وقد تمثلت تلك التحولات في التوسع الوهابي عسكريا ودينيا والتي أثرت تأثيرا بالغا في المنطقة بصورة عامة ، وفي القواسم بصورة خاصة • اذ تسلح القواسم بالعقيدة الوهابية التي الهبت حماسهم القتالي ، فضاعفوا من نشاطاتهم البحرية ضد كل من يخالفهم بتلك العقيدة ، سواء أكانوا من المسلمين أو غيرهم • ولم تقتصر تلك النشاطات والفعاليات على منطقة الخليج فحسب ، بل امتدت الى أعماق أبعد في المحيط الهندي ، من سواحل الهند الغربية شرقا ، وحتى مدخل البحر الأحمر غربا •

لقد تعامد ازدياد النشاط القاسمي مع تزايد الهيمنة البريطانية في جهات شبه القارة الهندية والبحار الشرقية ؛ فكان على بريطانيا أن تسعى للقضاء على هذه القوة التي شكلت تهديدا مباشرا على أمن مواصلاتها البحرية مستعينة بأساليب دبلوماسية واخرى عسكرية ، في الفترة الواقعة بين ١٨٠٥ و ١٨٢٠ • وهناك جملة عوامل ساعدت بريطانيا اخيرا على تحقيق ذلك الهدف • منها تمكنها من تحطيم المنافسة الفرنسية في منطقة المحيط الهندي ، باستيلائها على قاعدتي فرنسا الرئيسيتين في جزيرتي

بوربون وموريشيوس في ١٨١٠ ، وتخلصها من المخاطر الفرنسية على مصالحها الشرقية اثر اندحار نابليون في ١٨١٥ • ونجاح بريطانيا في تحطيم اتحاد الماهراتا في الهند بشكل حاسم في اوائل سنة ١٨١٨ ؛ وكذلك انهيار السند البري القوي للقواسم المتمثل بسقوط الدرعية في سنة ١٨١٨ •

لهذا وضعت بريطانيا مخططها الهادف لتدمير الاتحاد القاسمي ، متعاونة في ذلك مع حاكم مسقط ، عدو القواسم التقليدي • وكان من حصيلة ذلك المخطط ، الحملة الكبرى في ١٨١٩ - ١٨٢٠ ، التي حققت بريطانيا بواسطتها ، خطوة رئيسية في سياستها الهادفة للسيطرة على الخليج العربي ، وذلك بالقضاء على القواسم عسكريا ؛ بتدمير اسطولهم البحري ، وسياسيا بتفتيت الاتحاد القاسمي ، وتكبيل المشايخ القواسم بقيود ثقيلة تضمنتها الاتفاقيات الأولية ومن ثم معاهدة السلام العامة التي عقدت في اوائل ١٨٢٠ • تلك الاتفاقيات التي اصبحت نموذجا تحتذى بريطانيا به تجاه المشايخ الآخرين منذ ذلك التاريخ •

ملحق رقم (١)

حكام القواسم (١٧٤٧ ـ ١٨٢٠)

١ ـ رحمة بن مطر (١٧٢٢ ـ ١٧٦٠) :

أول زعيم بارز للقواسم • أسهم في دعم الامام محمد بن ناصر الغافري (١٧٢٤ ـ ١٧٢٨) ضد الهناوية • لعب دورا مهما في الاحداث التي اعقبت اغتيال نادر شاه ، وبخاصة في الفترة ١٧٥٥ ـ ١٧٦٠ • تزوج ابنة ملا علي شاه فتهيأ له استخدام قطع الاسطول الفارسي ، التي كانت تحت امرة الاول ، ببراعة لمصلحة قبيلته في صراعها مع امام عمان • توفي في حوالي ١٧٦٠ •

٢ ـ راشد بن مطر (١٧٦٠ ـ ١٧٧٧) :

الشخصية الثانية البارزة في تاريخ القواسم • استولى على باسيدو ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧ • قاد المرحلة الثانية من التوسع القاسمي على الساحل الشرقي من الخليج والجزر القريبة منه ؛ خاض في سبيل ذلك صراعا عنيفا مع قبيلة بني معين القوية في جزيرة قشم • وقف ندا للامام احمد بن سعيد ، وقاد قبائل (السر) في مقاومته • تنازل عن الزعامة لمصلحة ولده وقائده صقر سنة ١٧٧٧ بسبب الشيخوخة •

٣ ـ صقر بن راشد (١٧٧٧ ـ ١٨٠٣) :

مخطط النهضة القاسمية الحديثة • تحالف مع بني معين في نفس السنة التي تولى فيها الحكم ، وعزز التحالف بالمصاهرة بزواجه من ابنة شيخ تلك القبيلة • خاض صراعا طويلا في البر والبحر ضد امام عمان ، كانت فيه المعارك سجالا بين الطرفين • قاوم الزحف الوهابي لاخضاع بلاده في الفترة ١٧٩٧ ـ ١٨٠٠ ، قبل ان يعلن دخوله للوهابية •

٤ ـ سلطان بن صقر (١٨٠٣ ـ ١٨٠٨) :

اصبح والي سعود بن عبدالعزيز على كل مناطق عمان قبل ان يعزل عن المشيخة ويحجز في الدرعية سنة ١٨٠٨ • نجح في الفرار والتجأ الى سعيد بن سلطان حاكم مسقط في ١٨١٣ ، في محاولـة لاستعادة مركزه السـابق • نجح في ١٨١٤ بمعونـة سيد سعيد في الحـصول على حـكم الشارقة • أصبح بعد حملة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠ البريطانية ، شيخا للشارقـة ورأس الخيمة حتى وفاته سنة ١٨٦٦ ، عن عمر ناهز السابعة والتسعين •

٥ ـ حسين بن علي (نائب الوصي الوهابي) (١٨٠٨ ـ ١٨١٤) :

عـين من قبل سعود بن عبـدالعزيز بصورة مؤقتة لزعامة القواسم • أعيد في أوائل سنة ١٨١٤ الى مركزه السـابق كشيخ لـرامس • اشتهر بالنشاط والحيوية • قاوم ببسالة القوات البريطانية في حملة ١٨٠٩ وحملة ١٨١٩ • أجبر على الاستسلام والتوقيع على المعاهدة العامة في ١٥ كانون الثاني ١٨٢٠ •

٦ ـ حسن بن رحمة (١٨١٤ ـ ١٨٢٠) :

امتاز بالنشاط الواسع والحنكة السياسية • تضاعف في عهده نشاط القواسم البحري مما حرك حكومة الهند للقضاء على القواسم بصورة حاسمة سنة ١٨١٩ ، وبسبب تطورات الاوضاع في الجزيرة العربية حاول التفاوض مع الانكليز لتسوية الخلافات سلما ، ولـكن السلطات البريطانية رفضت الاستجابة لمبادرته • أمر الجنرال كير بتنحيته عن زعامة القواسم ، بعد ان أجبره على التوقيع على المعاهدة العامة في ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ •

ملحق رقم (٢)

سلالة اليعاربة (١٦٢٤ ـ ١٧٤٩)

الامام ناصر بن بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) ـ مؤسس السلالة •

الامام سلطان بن سيف الاول (١٦٤٩ ـ ١٦٧٩) : فتح مسقط في كانون الثاني ١٦٥٠ •

الامام بلعرب بن سلطان (١٦٧٩ ـ ١٦٩٢) •

الامام سيف بن سلطان الاول (١٦٩٢ ـ ١٧١١) • فتح ممباسا وپمبا وزنزبار وپاتا وكيلوا •

الامام سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ ـ ١٧١٨) • فتح البحرين وقشم ولارك في ١٧١٧ •

الامام سيف بن سلطان الثاني [الامامة الاولى] ١٧١٨ ـ ١٧١٩ •

فترة الحروب الاهلية (١٧١٩ ـ ١٧٤٩)

الامام مهنا بن سلطان [حكم اقل من سنة] ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ •

الامام سيف بن سلطان الثاني [الامامة الثانية] ١٧٢٠ ـ ١٧٢٢ : تحت وصاية يعرب بن بلعرب •

الامام يعرب بن بلعرب [حكم اقل من سنة] ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣ •

الامام سيف بن سلطان الثاني [الامامة الثالثة] ١٧٢٣ ـ ١٧٢٤ : تحت وصاية بلعرب بن ناصر •

الامام محمد بن ناصر الغافري (١٧٢٤ ـ ١٧٢٨) •

الامام سيف بن سلطان الثاني [الامامة الرابعة] ١٧٢٨ ـ ١٧٤٣ :

نادر شاه يغزو عمان (١٧٢٧ – ١٧٤٤) ٠

تزايد الاضطرابات وظهور منافسين للامام : –

١ – بلعرب بن حمير ١٧٢٨ – ١٧٣٨ ٠

٢ – سلطان بن مرشد بن جدى ١٧٤٢ – ١٧٤٣ ٠

الامام بلعرب بن حمير ١٧٤٣ – ١٧٤٩ : منافسة أحمد سعيد البو سعيد ١٧٤٥ – ١٧٤٩ ٠ وانتهاء السلالة ٠

ملحق رقم (٣)

سلالة البو سعيد

(الامام) أحمد بن سعيد

(١٧٤٩ ـ ١٧٨٣)

؟ ؟

- قيس
  - عزان
    - (الامام) عزان (١٨٦٨ـ١٨٧١)
- سلطان (١٧٩٢ـ١٨٠٤)
  - سعيد (١٨٠٦ـ١٨٥٦)
    - ثويني (١٨٥٦ـ١٨٦٦)
      - سليم (١٨٦٦ـ١٨٦٨)
    - تركي (١٨٧١ـ١٨٨٨)
      - فيصل (١٨٨٨ـ١٩١٣)
        - تيمور (١٩١٣ـ١٩٣٢)
          - سعيد (١٩٣٢ـ١٩٧٠)
            - قابوس (١٩٧٠ـ)
- سيف
  - بدر (١٨٠٤ـ١٨٠٦)
- (الامام) سعيد (١٧٨٣ـ١٨٢١)
  - حمد (١٧٨٦ـ١٧٩٢)

ملاحظة : التواريخ تشير الى سنوات الحكم .



ملحق رقم (٤)

قولنامة أو اتفاقية بين الكابتن وليم بروس ، المقيم في بوشهر ، نيابة عن الحكومة البريطانية ، وحسن بن محمد بن غيث القاسمي ، نيابة عن الأمير حسن بن رحمة ، زعيم القواسم في رأس الخيمة ، معقودة في اليوم الحالي في بوشهر •

تقرر من الآن فصاعدا تحقيق علاقات صداقة ملزمة بين الحكومة البريطانية وقواسم رأس الخيمة ، ويجب اعتبار كافة ما حدث سابقاً في طي النسيان وفقا للشروط التالية :ــ

المادة الاولى : ان على القواسم احترام الراية البريطانية والامتناع عن التحرش او عرقلة الملاحة فيما يتعلق بكافة انواع السفن سواء أكانت سفنا أو داوات أو زوارق الخ ••• التي تبحر حاملة الرخصة والعلم البريطاني ، بل على العكس من ذلك ، فان عليهم تقديم المساعدة والعون اللازمين لهـا لغرض مواصلة رحلتها •

المادة الثانية : يكون ميناء رأس الخيمة وكافة الموانيء الاخرى الواقعة تحت سيطرة حكومة القواسم مفتوحة للرعايا البريطانيين ، الذين يكون من حقهم زيـارة وانجاز مهامهم التجاريـة فيها كما هو الحال بالنسبة لموانيء الخليج الاخرى ؛ وان نفس هـذا المبـدأ سوف يطبق بالنسبة للموانيء البريطانية في الهند ، اذ انها ستكون مفتوحة للقواسم بنفس الشروط المطبقة على العرب الآخرين •

المادة الثالثة : في حالة تحطم سفينة ما أو تعرضها لبعض الحـوادث الاخرى حين تواجدها بالقرب من سواحل او جزر الخليج التابعة لحكومة القواسم او الواقعة تحت نفوذها ، يتحتم تقديم كافـة المساعدات اللازمـة

لتلك السفينة وملاحيها ، مع اتخاذ كافة الاحتياطات لمنع اتلاف أو سرقة شحنتها •

المادة الرابعة : لغرض تلافي الاشتباه ولتمييز سفن القواسم عن غيرها من سفن الدول العربية الاخرى ، يوافق القواسم على رفع علم أحمر مكتوب في وسطه بالعربية « لا اله الا الله محمد رسول الله » وسيعتبر هذا العلم راية لرعايا حسن بن رحمة وقواسم رأس الخيمة في المستقبل •

المادة الخامسة : اذا استولى قواسم رأس الخيمة على زورق أو سفينة من أية مواصفات كانت تابعة لقبائل معادية لهم ، فانه يجب اعادة الاموال التي تكون محمولة عليها عند المطالبة بها مباشرة اذا ثبت ان تلك الاموال تعود ملكيتها الى رعايا يتمتعون بالحماية البريطانية •

المادة السادسة : يتعهد حسن بن غيث ، وكيل حسن بن رحمة ، والذي عقدت معه هذه الاتفاقية بشكل قاطع بانه حال عودته الى رأس الخيمة سوف يعيد الـ H.C. Mares [1] والاموال العائدة ملكيتها لأحمد شاه[2] والتي ذكر انها نقلت من جزيرة قيس في زورق قاسمي ، ويرسلها الى Coja Golab وسيط الشركة الموقرة في مسقط •

المادة السابعة : اضافة الى ما تقدم ، تم الاتفاق على انه في حالة بروز ضرورة لابطال هذه الاتفاقية ، فعلى الراغب في ابطالها اعطاء اشعار مسبق بذلك • « فان من يرجع في عهده فانما يبتعد عن الله » ـ مضمون بيت شعر عربي •

---

(١) هكذا وردت في النص •

(٢) (احمد شاه) اسم السفينة العمانية التي اسرها القواسم في ١٨١٤ وكانت محملة بالافراس المرسلة الى الفرقة السابعة عشر البريطانية وكبريت الى الحكومة البريطانية •

المادة الثامنة : بما ان في نية حسن بن رحمة ايفاد وكيل عنه ، مخول بكافة الصلاحيات الى بومباي لمناقشة وتوقيع اتفاقات اكثر الزاما وشمولا مع الحكومة البريطانية في وقت قريب ، فان الاتفاق الحالي على هذه المواد المبدئية سيكون رهنا بموافقة حاكم بومباي الموقر ، والذي ستحال اليه بأقرب فرصة ممكنة لغرض دراستها •

وقعت في بوشهر في هذا اليوم من تشرين الاول ١٨١٤ ، الموافق ٢١ من شهر شوال ١٢٢٩ هجرية ، بأيدينا وختمنا •

وليم بروس
المقيم
٢٢ تشرين الاول ١٨١٤

ملحق رقم (٤)

Coluamah or Agreement between W.M. Bruce, Fsq., Resident at Bushire, on the part of the British Government, and Hassan iben Mohammed iben Gaise Joassemee on the part of Ameer Hassan iben Rehma, the Chief of the Joassemee at Rasel Khima, entered into this day of Bushire.

That strict friendship from henceforth shall exist between the British Government and the Joassemees of Rasel Khima and all transactions that have heretofore passed be buried in oblivion on the following conditions:-

Article 1st. That the Joassemee shall respect the British flag and offer no molestation or interruption to vessels of whatever description they may be either ships, dows boats, etc., navigating under British pass and colours, but on the contrary aid and assist them in the prosection of the voyage.

Article 2nd. That the Port of Rasel Khima and all others under the Government of the Joassemees shall be open to British subjects who shall have free permission to visit them and carry their mercantile transactions the same as in other ports of the Gulph; and that in like manner the British ports in India shall be open to the Joassemees on the same terms as to the other Arabs.

Poll. Dept. Diary No. 419 of 1815, pp. 126-7.

Article 3rd. That in case of shipwreck or vessels meeting with other accidents on the shores or Islands in the Gulph under the government or influence of the Joassemees, every aid and assistance shall be afforded to such vessel and crew and every precaution taken to prevent the property, etc., from being destroyed or embezzled.

Article 4th. That the Joassemee vessels from henceforth, to prevent their being mistaken for other Arab States, agree to hoist, as a distinguishing mark from other Arabs, a red flag with an Arabic inscription of "There is but one God and Mohumed is His Prophet" in the middle, and this is to be considered as the colours of the subjects of Hassan iben Rehma and the Joassemees Rasel Khima in future.

Article 5th. That all property which may be on board of any boat or vessels of whatever description belonging to tribes at enmity with the Joassemees of Rasel Khima and can be proved to be the property of subjects under the British protection shall be immediately restored on application should such vessel be captured by the Joassemees.

Artilce 6th. Hassan iben Gaise the Vakeel of Hassan iben Rehma with whom this agreement is entered into does hereby solemnly promise that immediately on his return to Rasel Khima to restore such of the H.C. Mares* and property as is reported to have been carried over by a Joassemee boat from the Island of Khen and belonging to the Ahmed Shah and to forward such property to Cojia Golab the Hon'ble Company's Broker at Muscat.

Sic in copy in the Diary*

Article 7th. It is further agreed that if it should be found necessary to annuel this engagement, previous notice is to be given by the party who finds it necessary to annuel it. "He that breaketh his vow, breaketh with the Lord"—Arabic verse.

Article 8th. That as Hassan iben Rehma intends deputing to Bombay at an early period a Vakeel fully authorized by him to discuss and enter into more full and firm engagements with the British Government these Preliminary Articles are entered into for the time being, subject, however, to the approval of the Right Honourable the Governor in Council of Bombay to whom they are to be forwarded by the earliest opportunity for consideration.

Executed in Bushire this day of October 1814 or 21st of Shadal 1229 Hijree. Witness our hands and seals.

WILLIAM BRUCE,

Resident.

22nd October 1814.

مصـــادر

ومراجع البحث

١ ـ المصادر الاجنبية

(أ) السجلات الرسمية الخطية غير المنشورة :

[I.O.] Bombay Political Letters Received (Letters in the Political Department from the Governor in Council to the Court of Directors), Vol. 5.

[I.O.] Factory Records of the Late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf, Vols: 20, 32.

[I.O.] Persian Gulf Territories, R/15, Bushire, Vols., 11, 18, 21.

(ب) المصادر والمراجع المطبوعة :

Abu Hakima, Ahmad M., History of Eastern Arabia 1750-1800, The Rise and Development of Bahrain and Kuwait, (Beirut, 1965).

Adamiyat, Fereydoun, Bahrein Islands, A legal and Diplomatic Study of British-Iranian Controversy (N.Y., 1955).

Aitchison, C.U. (Comp.), A Collection of Treaties, Engagements and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries, (Calcutta, 1909), Vol. XXII.

Albaharna, H.M., The Legal Status of the Arabian Gulf Status, (London, 1968).

Amin, Dr. Abdul Amir, British Interests in the Persian Gulf, (Leiden, 1967).

Avery, Peter, Modern Iran, (London, 1965).

Badger, George Percy, History of the Imams and Seyyids of 'Om'an, by Salil ibn Razik, from A.D. 661-1856; translated from the Original Arabic, and edited with Notes, Appendices, and an Introduction, Continuing the History down to 1870, (London, 1871).

Baer, Gabriel, Population and Society in the Arab East, trans. From the Hebrew, by Hanna Szöke, (London, 1964).
Bagley, F.R.C., Egypt and the Eastern Arab Countries; in the Muslem World, Part III, (Leiden, 1969).
Balfour, Edward, The Cyclopaedia of India and Eastern and Southern Asia, (London, 3rd ed., 1885), Vol. III.
Bartlett, H. Moyse, The Pirates of Trucial Oman, (London, 1966).
Bathurst, R.D. Maritime, Trade and Imamate Government: Two Principal Themes in the History of Oman to 1728, in the Arabian Peninsula, Society and Politics, ed. Hopwood, (London, 1972).
Beauchamp, Joan, British Imperialism in India, (London, 1934).
Beckingham, C.F., "Bahr Faris". Encylopaedia of Islam, New ed. (Netherland, 1960), Vol. I.
Belgrave, Charles, The Pirate Coast, (London, 1966).
Benoist-Mechin, Jaques, Arabian Destiny, trans. from the French by, Denis Weaver, (London, 1957).
British Admirality, War Office, Intelligence Division, A Handbook of Arabia, (London, 1916), Vol. I.
Brucks, Capt. G.R., "Memoir Descriptive of the Navigation of the Gulf of Persia, with Brief notes of the manners, customs, religion, commerce, and resources of the People inhabiting its shores and island"; in S.R.B.G., No. XXIV, New series, (Bombay, 1856).
Brydges, Harford Jones, An Account of the Transactions of H.M. Mission to the Court of Persia, in the years 1807-11. To which is Appended a Brief History of the Wahauby, (London, 1834). 2 Vols.
Buckingham, J.S., Travels in Assyria, Media and Persia, (London, 2nd. ed. 1830), Vol. II.

Cadell, Sir Patrick, History of the Bombay Army, (London, 1938).
Carruthers, Alexander (ed.), The Desert Route to India, Being the Journals of four Travellers by the Great Desert Route Between Aleppo and Basra, 1745-1751, (Hakl. Soc., 1929).
Chesney, F.R., The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrated and Tigris, (London, 1850), Vol. II.
Coupland, R., East Africa and it's Invaders, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856, (Oxford, rep. 1961).
Crichton, Andrew, History of Arabia, Ancient and and Modern, (Edinburgh, 1833), Vol. II.
Curzon, George, Persia and the Persian Question, (London, 1892), Vol. II.
Danvers, Fredrick Charles, The Portguese in India, Being a History of the Rise and Decline of their Eastern Empire, (London, 1894), Vol. II.
Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, (London, 1956).
Dodwell, Henry, The Founder of Modern Egypt, a Study of Muhammed Ali, (Cambridge, rep. 1967).
Edwards, Michael, Asia in the European Age 1498-1955, (London, 1961).
——, History of India, (Norwich, 1961).
Encyclopaedia Britanica, (U.S.A., 1965), Vol. VII.
Fasai, Hasan-e, Farsnama-Ye Naseri, trans. from the Persian by H. Bussel, Under the title: 'History of Persia under Qajar Rule' (Columbia, 1972).
Fenlelon, K.G., The Trucial States, a Brief Economic Survery, (Beirut, 1967).
Foster, William, The English Factories in India 1622-1623, A Calender of Documents in the India

office and British Museum, (Oxford, 1908).
Franklin, William, Observations made on a Tour from Bengal to Persia, in the Years 1786-1787, (London, 1790).
Fraser, Lovat, India Under Curzon and After, (London, 1912).
Fraser, James Biallie, Narrative of a Journey into Khorasan, in the years 1812 and 1822, (London, 1825).
Fraser, James, The History of Nadir Shah, formerly called Thames Kuli Khan, the Present Emperor of Persia, (London, 1742).
Frye, Richard N., Persia, (London, 1968).
Gibb, H.A.R., Modern Trends in Islam, (Chicago, 1947).
Graham, Gerald, S., Great Britain in the Indian Ocean, a Study of Maritime Enterprise 1810-1850, (Oxford, 1967).
Grant, James, Cassell's Illustrated History of India, (London, 1876/77), Vol. I.
Hall, D.G.E., A History of South-East Asia, (London, 1955).
Hamilton, Alexander, A New Account of the East Indies, ed. Sir William Foster, (London, rep., 1930), Vol. I.
Hannel, S., "Sketch of Proceedings of Rahmah bin Jaubir, Chief of Khor Hassan", S.R.B.G. No. XXIv.
——, "Continuation of the Foregoing Sketch, to the year 1831", in S.R.B.G. No. XXIv.
Harlow, Vincent T., The founding of the second British Impire 1763-1793, (London, 1952).
Hawley, Donald, The Trucial States, (London, 1970).
Herbert, Sir T., Some years travel into Africa and Asia the Great, (London, 1638).

Heude, William, A Voyage Up the Persian Gulf, and a Journey Overland from India to England, 1819).

Hogarth, H.G., Arabia, (Oxford, 1922).

Hope, Stanton, Arabian Adventurer, (London, 1951).

Hoskins, Halford Lancaster, British Routes to India, (London, new imp., 1966).

Hourani, George F., Arab Seafaring, (Beirut, rep. 1963).

Hurewitz, J.C., Diplomacy in the near and Mddie East, A Documentary Record 1535-1914, (U.S.A., 1956), Vol. I.

Innes, Arthur D., A History of England and the British Empire, (London, 4th imp., 1920), Vol. IV.

Ives, Edward, A Voyage from England to India in the year 1754: also, A Journey from Persia to England by an Unusual Route, (London, 1773).

James, William, The Naval History of Great Britain, 1793-1827,(London, 1886), Vol. IV.

Johnston, H.A., History of the Calonization of Africa by Alien Races, (Cambridge, rep. 1930).

Kaye, John William, The Life and Correspondence of Major-General Sir John Malcolm, (London 1851), Vol. I.

Kelly, John B., A Prevalence of Furies: "Tribes Politics. and Religion in Oman and Trucial Oman, in the Arabian Peninsula, ed. Howpood, (London, 1972).

——, Britain and the Persian Gulf 1795-1880, (Oxford, 1968).

——, Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964).

Kemball, Arnold Burrowes, "Memorand on the Resources, Localities, and Relation of the Tribes inhabiting the Arabian Shores of the Persian Gulf" S.R.B.G. No. XXIV.

——, "Observations on the Past Policy of the British

Government towards the Arab Tribes of the Persian Gulf", S.R.B.G. No. XXIV.

Kumar, Ravinder, India and the Persian Gulf 1858-1907, (India, 1965).

Landen, Robert, Oman Since 1856, (Princeton, 1967).

List of Factory Records of the late East India Company, (I.O., London, 1897).

List of Marine Records of the late East India Company, (I.O., London, 1896).

Lockhart, Laurence, Nadir Shah, a Critical Study based mainly upon Contemporary Sources, (London, 1938).

——, Persian Cities, (London, 1960).

——, The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, (Cambridge, 1958).

Lorimer, J.G., Gazetteer of the Persian Gulf, 'Oman, and Central Arabia, (Holland, rep., 1970), 2 Vols.

Low, Charles R., History of the Indian Navy 1613-1862, (London, 1877), Vol. I.

Mahan, Alferd T., The Influence of Sea Power upon History, 1600-1783, (London, 1890).

Malcolm, Sir John, Sketches of Persia, from the Journals of a Traveller in the East, (London, new ed., 1828), 2 Vols.

——, The History of Persia from the most Earley Period to the Present Time, (London, 1815), 2 Vols.

——, The Political History of India, from 1784 to 1823, (London, 1826), Vol. I.

Mann, Major Clarence, Abu Dhabi; Birth of an Oil Sheikdom, (Beirut, 1964).

Marco Polo, The Travels of Marco Polo the Venetian, revised from Marsden's trans, and ed. with Introduction by Manuel Komroff, (N.Y., 1930).

Margoliouth, D.S., Wahhabiya, Encyclopaedia of Islam,

(Leyden, 1934), Vol. IV.
Marlowe, John, The Persian Gulf in the Twentieth Century, (London, 1962).
Marston, Thomas, Britain's Imperial Role in the Red Sea Area, 1800-1878, (U.S.A., 1961).
Memorial of the Government of Saudi Arabia, (?, 1955), Vol. I.
Milburn, William, Oriental Commerce; or the East India Trader's Complete Guide, (London, 1813), 2 Vols., another copy (London, 1825).
Miles, Colonel S.B., Countries and Tribes of the Persian Gulf, (London, 2nd. imp., 1966).
Muir, Ramsay, The making of British India, (Karachi, rep., 1969).
Niebuhr, C., Travel Through Arabia and other Countries in the East, trans. by Robert Heron, (Beirut, rep., ?), 2 Vols.
Owen, Sidney J., A Selection from the Despatches, Treaties, and other Papers of Marquess of Wellesley, during his Government of India, (Oxford, 1877).
Palgrave, W.G., Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-63, (London, 1865), 2 Vols.
Parkinson, C. Northecote, Trade in the Eastern Seas, (London, new imp., 1960).
Parsons, Abraham, Travels in Asia and Africa, (London, 1808).
Panikar, K.M., Asia and Western Dominance, (London, new imp., 1956).
Penrose, Boies, Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, (Cambridge, 1967).
Philby, H. st. J.B., Arabia, (London, 1930).
——, Sa'udi Arabia, (London, 1955).
Phillips, Wendell, Oman, a History, (London, 1967).

——, Unknown Oman, (London, 1966).

Pires, Tome, The Summa Oriental, an Account of the East, from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512-1515, trans, from the Portguese and ed. by, Armando Cartesao, (London, Hakl. Soc., 1944), Vol. I.

Rentz, George, The Wahhabis, in: Religion in the Middle East, ed. A.J. Arberry, (Cambridge, 1969), Vol. II.

——, Whhabism and Saudi Arabia, in: The Arabian Perninsula, Society and Politics, ed. D. Hopwood, (London, 1972).

Robert, P.E., History of British India under the Company and the Crown, (Oxford, 3rd. ed., 1958).

J.A. Saldanha, ed., Précis of Correspondence Regarding the Affairs of the Persian Gulf 1801-1853, Calcutta, 1906).

——, ed., Précis of Nejd Affairs 1904-1904, (Calcutta, 1904).

——, ed. Selections from State Papers, Bombay Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf 1600-1800, (Calcutta, 1908).

Thomas, R. Hughes, (Comp.), Treaties, Agreements and Engagements, Between the H.E.I.C. and the Native Princes, Chiefs and States in Western India the Red Sea, the Persian Gulf; Also Between H.B. Majesty's Govrt. and Persia, Portugal and Turkey, (Bombay, 1851).

Toreen, Olaf, A Voyage to Suratte, (London, 1771).

Villiers, Alan, Monsoon Seas, the Story of the Indian Ocean, (U.S.A., 3rd imp., ?).

——, The Indian Ocean, (London, 2nd imp.,) 1953.

Warden, Francis, "Extract from Brief Notes Relative to the Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf", in: S.R.B.G. No. XX1V,

Bombay, 1856).
——, "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in: S.R.B.G. No. XX1V.
——, "Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muskat; commencing with the year 1694-95, and continued to the year 1819", in: S.R. B.G. No. XX1V.
——, "Historical Sketch of the Wahabee Tribe of Arabs, from the year 1795 to the year 1817", in: S.R.B.G. No. XX1V.
Wellsted, Lieutenant J.R., Travels in Arabia, (London, 1838), Vol. I.
——, Travels to the City of Caliphs, along the Shores of the Persian Gulf and the Mediterranean, (London, 1840), Vol. I.
Weigham, H.J., The Persian Problem, (London, 1903).
Wilber, Donald N., Iran, Past and Present, (Princeton, 1967).
Wilkinson, J.C., The Origins of the Omani State, in the Arabian Peninsula, Society and Politics, ed. D. Hopwood, (London, 1972).
Williams, Judith Blow, British Commercial Policy and Trade Expansion 1750-1850, (Oxford, 1972).
Williamson, James, A., The Age of Drake, (London, 4th ed., 1960).
Wilson, Sir Arnold, The Persian Gulf, (London, 3rd imp., 1959).
Winder, R. Bayly, Saudi Arabia in the Nineteenth Century, (London, 1965).
Wood, Alfred C., A History of the Levant Company, (London, 2nd imp., 1964).
Woodward, William Harrison, A short History of the Expansion of British Impire 1500-1920, (Cambridge, 4th ed. 1920).

Wright, Arnold, Early English Adventurers in the East, (London, 1914).

ج ـ الدوريات :

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, "Nadir Shah's Campaigns in Oman 1737-1744" by Laurence Lockhart, Vol. VII, Part I, (London, 1936).

Journal of the Central Asia Society, "Said-bin-Sultan 1791-1856", by Rudolph Said-Ruete, Vol. XVI, Part IV, (London, 1829).

Proceeding of the Iran Society, "The Navy of Nadir Shah", by Laurence Lockhart, Vol. I, Part I, (London, 1936).

٢ ـ المصادر والمراجع العربية :

أ ـ المؤلفات :

الاحسائي ، محمد بن عبدالله ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، (الرياض ، ١٩٦٠) ٠

الآلوسي ، السيد محمود شكري ، تاريخ نجد ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، (القاهرة ، ١٤٣٧هـ) ٠

ابراهيم ، عبدالفتاح ، على طريق الهند ، (بغداد ، ١٩٣٥) ٠

ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض ، ؟) ٠

ابن عيسى ، ابراهيم بن صالح ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الاعيان وانسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ الى ١٣٤٠هـ ، (الرياض ، ١٩٦٦) ٠

ابن غنام ، حسين ، تاريخ نجد (روضة الافكار والافهام) ، حرره وحققه ناصر الدين الاسد ، (القاهرة ، ١٩٦١م) ٠

ابو حاكمة ، د . احمد مصطفى ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة (القاهرة ، ١٩٦٧) .

أمين ، د . عبدالامير محمد ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، (بغداد ، ١٩٦٦) .

البسام ، الشيخ محمد ، الدر المفاخر في اخبار العرب الاواخر ، (مخطوط ـ المتحف البريطاني ، برقم ٧٣٥٨) .

البغدادي ، ابراهيم فصيح بن السيد صبغةالله بن الحيدري ، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ، تحقيق علي البصري ، (بغداد ؟) .

البوريني ، احمد قاسم ، الامارات السبع على الساحل الاخضر ، (بيروت ، ١٩٥٧) .

بيريبي ، جان جاك ، الخليج العربي ، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ، (بيروت ، ١٩٥٩) .

الدباغ ، مصطفى مراد ، جزيرة العرب ، موطن العرب ومهد الاسلام ، (بيروت، ١٩٦٣) .

الريحاني ، أمين ، تاريخ نجد الحديث وملحقاته (بيروت ، ط٢ ، ١٩٥٤) .
زلوم ، عبدالقادر ، عمانوالامارات السبع ، (بيروت ، ١٩٦٣) .

السالمي ، نورالدين عبدالله بن حميد ، تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ، (القاهرة ، ط٢ ، ١٣٥٠هـ) .

سرهنك ، الميرالاي اسمعيل ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، (القاهرة ، ١٣١٢هـ) .

سعيد ، أمين ، تاريخ الدولة السعودية ، (القاهرة ؟) .

السيابي ، سالم بن حمود ، اسعاف الاعيان في أنساب اهل عمان ، (بيروت ، ١٩٦٥) .

شركة الزيت العربية الامريكية ، عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، (القاهرة ، ١٩٥٢) .

عبدالرحيم ، عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الاولى ، (القاهرة ؟) .
العقاد ، د . صلاح ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، (القاهرة ، ؟) .
، التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ، ؟) .

غرايبة ، عبدالكريم محمود ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٩١٨ ، (دمشق ، ١٩٦٠) .

فلبي ، جون ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، ترجمة عمر الديراوي (بيروت ، ؟) ٠

قاسم ، د ٠ جمال زكريا ،الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، (القاهرة ، ١٩٦٦) ٠

، دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١ ، (القاهرة ، ؟) ٠
؟) ٠

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، مؤلف مجهول ، تحقيق د ٠ احمد مصطفى ابو حاكمة ، (بيروت ، ؟) ٠

النبهاني ، محمد خليفة ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربيــة ، (القاهرة ، ط٢ ، ١٣٤٢) ٠

نوفل ، د ٠ سيد ، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ، (بيروت ، ١٩٦٩) ٠

وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين (١٩٣٥) ٠

ب الدوريات :

المجلة التاريخية ، « اضواء على تاريخ الخليج العربي الحديث » ، د ٠ عبدالامير محمد امين ، العدد ١ ، (بغداد ، ١٩٧٠) ٠

مجلة كلية الآداب ، « التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية في منطقــة الخليج العربي والاقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر » د ٠ عبدالامير محمد امين ، العدد ٦ ، (بغداد ، ١٩٦٣) ٠

المجلة التاريخية المصرية ، « الادعاءات الايرانية في الخليج العربي » ، د ٠ جمال زكريا قاسم ، المجلد العشرون ، ١٩٧٣ ٠

ABSTRACT

This thesis is an attempt to analyse the role played by an Arab sea-power; "Al-Qawasim". A power which exerted a great deal of influence in the Arabian Gulf since its emergence in 1747, until the collapse of its naval strength in 1820.

This work concentrates on the period mentioned above, in which two main fields are covered: firstly, Al-Qawasim's relationship with the local powers in its positive and negative aspects; secondly; in regard to their dealings with outside powers, especially the British.

As for the first point, we find that the emergence of Al-Qawasim took place, on the one hand with the establishment of the rule of Al Bu Sa'id dynasty in Oman, which strengthened ties with the British; and on the other, with the expansion and growing influence of the Wahhabi movement in mid-Arabia; a movement of which Al-Qawasim later became ideologically an integrate part up to the present time, and politically, until the collapse of the First Saudi State in 1818.

As for the second point, i.e. is Al-Qawasim's relations with the British; we notice that their up-coming appeared at a time of growing British dominance over many parts of the Indian sub-Continent. This domination was accompanied by the ousting of other European rivals from the Gulf area.

Apart from any economic and political considerations, British had attached a great strategic importance to the Gulf. The area required the need to protect the Indian clonies which in turn necessitated the domination of the Gulf area.

The strength and naval activities of Al-Qawasim caused many disruptions to the British plans in the area, and represented a direct threat to their sea communications. This, eventually led Britain, through the East India company, to exert pressures on this Arab power to deprive it of its naval force.

The year 1747 had been chosen as a starting point of our study, primarily to show the repercussions which followed the assassination of Nadir Shah and the consequences it had on the area in general, and on Al-Qawasim in particular, up to the collapse of their federation in 1820.

This period marks a decisive turning point in the history of the area. It was characteried by sharp conflicts among the different Arab and non-Arab powers, the main aim being supremacy at sea which would ensure the domination of both coasts of the Gulf.

The present thesis comprises five chapters; the first of which is an introduction describes the general affairs in the Gulf area during the first half of the 18th Century, as far as the emergence of Al-Qawasim is concerned and their subsequent coming to power during the second half of the same century.

The second chapter deals with the Qawasim's beginnings, expansion and role in the Gulf, up to their merger with the Wahhabis in 1800, Here, we discussed the various points of view and opinions concerning their origin, the establishment and nature of their federation and the environmental influences on their economic sources and way of life. Further, we examined their position in regard to local and outside powers, particularly with Oman, the Arabian settlements on the eastern coast and with the British.

Third chapter is devoted to the period of their domination by the Wahhabis 1800-1818), and analysed the nature of the Qasimi-Wahhabi relations. It also elaborated the Qasimi attitude towards Al Bu Sa'id dynasty in Oman. This is rather important, because the affairs existing between the two sides did not remain within limited confines, but managed to involve other powers represented by the British, Persians and Wahhabis.

The fourth chapter deals with relations which existed between the British and the Qawasim during the period of Wahhabi domination and their consequences. Britain's role and the Franco-British rivalry in the Gulf, which ended in a final British supremacy in the area, have also been examined.

The fifth and final chapter is entirely devoted to the Great British Campaign of 1819 against Al-Qawasim. This campaign ended in the destruction of the Qasimi federation and the diminishing of their influence in the Gulf.

المختصرات المستعملة في هوامش البحث

I.O. : India Office Records.

F.R.P.P.G.: Factory Records, Persia and Persia Gulf.

P.G.T.B. : Persian Gulf Territories, Bushire.

B.P.L.R. : Bombay Political Letters Received.

S.R.B.G. : Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV.

مُحتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

فهرست الملاحق ٣٤٧ـ٣٥٩

فهرست الخرائط والصور

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٦٩ لسنة ١٩٧٦

THE QAWASIM'S ROLE IN THE ARABIAN GULF 1747-1820

BY

SALEH M. AL-ABID (M.A.)

College of Law and Politics,

University of Baghdad.

THE QAWASIM'S ROLE IN THE ARABIAN GULF 1747-1820

BY

SALEH M. AL-ABID (M.A.)

College of Law and Politics,

University of Baghdad.

السعر ١٥٠٠ فلس